

دروس في

علوم القرآن

حسين جوان آراسته

تعريب: خليل العصامي

الطبعة الثالثة - (طبعة جديدة ومنقّحة)


بسم الله الرحمن الرحیم

سرشناسه: جوان آراسته، حسین، ۱۳۴۳ -
عنوان و نام پدیدآور: دروس فی علوم‌القرآن/المولف حسین جوان آراسته؛ تعریب خلیل العصامی.
وضعیت ویراست: ویراست جدید
مشخصات نشر: قم : مرکز بین‌المللی ترجمه و نشرالمصطفی، ۱۳۹۳.
فروست اصلي : مركز بين المللي ترجمه و نشر المصطفي : ۱۳۹۳/۲۰/آ۷۷
فروست فرعي : پژوهشگاه بين المللي المصطفي ١٦.
فروست: مرکزالمصطفی العالمی للدراسات والتحقیق؛ ٧٣٦
مرکز بین‌المللی ترجمه و نشرالمصطفی؛
شابک: ٩٧٨-٩٦٤-١٩٥-٨١٤-٧
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: چاپ قبلی: قم: المنظمه‌العالمیه للحوزات والمدارس‌الاسلامیه، ۱۳۸۳. ۳۵۵ص.
یادداشت: چاپ سوم.
یادداشت: کتابنامه.
موضوع: قرآن -- علوم قرآنی
شناسه افزوده: عصامی، خلیل، ۱۳۳۷ - ، مترجم
شناسه افزوده: جامعة المصطفی العالمیة. مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی
رده بندی کنگره: BP ٦٩/٥/ج٨٧ع٨٠٤٣ ١٣٩٣
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۵
شماره کتابشناسی ملی: ۳۴۷۰۳۸۱

دروس في علوم القرآن

حسين جوان آراسته

تعريب

خليل العصامي





دروس في علوم القرآن

المؤلف: حسين جوان آراسته

تعريب: خليل العصامي

الطّبعة الثالثة (طبعة جديدة ومنقّحة): ١٤٣٥ق / ١٣٩٣ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: زلال كوثر ● **السّعر:** ١٥٠٠٠٠ ريال ● **الكميّة:** ١٠٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

- ايران؛ قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ١٨، هاتف: ٣٧٨٣٩٣٠٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ٣٢١٣٣١٠٦ ٢٥ ٩٨+ فاكس: ٣٢١٣٣١٤٦ ٢٥ ٩٨+
- ايران؛ طهران، شارع انقلاب، بين شارع الوصال وشارع الشيرازي، الرقم ١٠٠٣. هاتف: ٦٦٩٧٨٩٢٠ ٢١ ٩٨+
- ايران؛ مشهد المقدّسة، شارع الإمام الرضا عليه السلام، شارع دانش الشرقي، بين فرعي ١٥و١٧. هاتف: ٨٥٤٣٠٥٩ ٥١١ ٩٨+

pub.miu.ac.ir miup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

- **مدير مركز النشر:** محمد سعيد پناهي
- **مدير الإنتاج:** تورج روحاني
- **المشرف على الإنتاج:** جعفر قاسمي‌الأبهري
- **المشرف الفني:** محمدباقر شكري
- **مصمم الغلاف:** مسعود مهدوي
- **المشرف على الطباعة:** نعمت‌الله يزداني
- **الإعداد الفني:** علي اكبري
- **الإخراج الفني:** السيّد محسن عمادي مجد
- **تقويم النصّ:** عادل الأسدي
- **المقابلة الفنية:** جواد حاج‌حسيني

كلمة الناشر

بسم‌الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

وبعد، إنّ التطوّر المعرفي الذي يشهده عالمنا اليوم في مختلف المجالات، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الحديثة التي هيأت فرصاً فريدة للاطلاع الواسع، ودفعت بعجلة الفكر والثقافة والتعليم إلى آفاق واسعة.

وغدا الإنسان يترقّب في كلّ يوم تطوّراً جديداً في البحوث العلمية، وفي المناهج التي تنسجم مع هذا التطوّر الهائل. ومع كلّ ذلك بقيت بعض المناهج الدراسية حبيسة الماضي ومقرراته.

وبعد أن بزغ فجر الثورة الاسلامية المباركة بقيادة الإمام الخميني قُدّس سرّه، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، مما حدا برجال العلم والفكر في الجمهورية الإسلامية أن يعملوا على صياغة مناهج دراسية جديدة لمجمل العلوم الإنسانية، الإسلامية بشكل خاص؛ فأحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً وأساسياً في الكتب الدراسية في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية.

وفي ظل إرشادات قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي(مدّظله)؛ أخذت

المؤسسات العلمية والثقافية على عاتقها تجديد الكتب الدراسية وتحديثها على مختلف الصعد، بخاصة مناهج الحوزة العلمية، التي هي ثمرة جهود كبار الفقهاء والمفكرين عبر تاريخها المجيد.

من هنا بادرت جامعة المصطفى ﷺ العالمية إلى تبنّي المنهج العلمي الحديث في نظامها الدراسي، وفي التأليف، والتحقيق وتدوين الكتب الدراسية لمختلف المراحل الدراسية ولجميع الفروع العلمية، ولشتى الموضوعات بما ينسجم مع المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمعرفة.

فقامت بمخاطبة العلماء والأساتذة، ليساهموا في تدوين كتب دراسية على الأُسس المنهجية الحديثة للعلوم الإسلامية خاصّة، ولسائر العلوم الإنسانية: كعلوم القرآن، والحديث والفقه، والتفسير، والأصول، وعلم الكلام والفلسفة، والسيرة والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفس، وغيرها، حملت هذه المناهج طابعاً أكاديمياً مع حفاظها على الجانب العلمي الأصيل المتّبع في الحوزات العلمية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية.

ومن أجل نشر هذه المعارف والعلوم، بادرت جامعة المصطفى العالمية ﷺ إلى تأسيس «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر» لتحقيق، وترجمة، ونشر كلِّ ما يصدر عن هذه الجامعة الكبيرة، مما ألّفه أو حقّقه العلماء والأساتذة في مختلف الاختصاصات وبمختلف اللغات.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم الذي يحمل عنوان دروس في علوم القرآن هو ثمرة تأليف الأُستاذ الفاضل الشيخ حسين جوان آراسته وقام بترجمته من اللغة الفارسية إلى العربية الأُستاذ خليل العصامي.

ويحرص مركز المصطفى العالمي على تسجيل تقديره لمترجمه الجليل على مابذله من

جهد وعناية، كما يشكر كلٍّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام.

وفي الختام نتوجّه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيلة. للمساهمة في ترشيد هذا المشروع الإسلامي بما لديهم من آراء بنّاءة وخبرات علمية ومنهجية، وأن يبعثوا إلينا بما يستدركون عليه من خطأ أو نقص يلازم الإنسان عادة، لتلافيهما في الطبعات اللاحقة، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى ﷺ العالمي

للترجمه والنشر

مقدّمة قسم المناهج الدراسية

وضعت الحوزات العلمية ـ عبر تاريخها المجيد ـ مهمّة التربية والتعليم على رأس مهامها و جزءاً من رسالاتها الأساسية، الأمر الذي ضمن إيصال معارف الإسلام السامية وعلوم أهل البيت عليهم السلام إلينا خلال الأجيال المتعاقبة بأمانة علمية صارمة، وفي هذا الإطار جاء اهتمام تلك الحوزة العلميّة بالمناهج الدراسية التعليمية.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ التطوّر التكنولوجي الذي شهده عصرنا الحالي وثورة الاتصالات الكبرى أفرزتا تحوّلاً هائلاً في حقل العلم والمعرفة، حتّى أصبح بمقدور البشرية في عالم اليوم أن تحصل على المعلومات والمعارف اللازمة في جميع الفروع بسرعة قياسية وبسهولة ويسر. فقد حلّت الأساليب التعليمية الحديثة والمتطوّرة محلّ الأساليب القديمة والموروثة كمّا و نوعاً ، وسارت هذه التطوّرات بسرعة نحو تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة.

وبرزت جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية في هذا الخضم كمؤسسة حوزوية وأكاديمية تأخذ على عاتقها مسؤولية إعداد الكوادر العلمية والتعليمية الأجنبية في مجال العلوم الإسلامية، حيث تعكف أعداد غفيرة من الطلبة الأجانب الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة على مواصلة الدراسة في مختلف المستويات التعليمية وضمن العديد من فروع العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية التابعة لهذه الجامعة.

وبطبيعة الحال، إنّ العلوم والمعارف الإسلامية التي يتوافر عليها الطلبة الأجانب تتمايز بتمايز البلدان والأصقاع التي ينتمون إليها، مما يدفع جامعة المصطفى ﷺ العالمية إلى تدوين مناهج حديثة تستجيب لطبيعة التمايز الذي يفرضه تنوّع البلدان وتنوع حاجات مواطنيها.

لطالما أكّد أساتذة الحوزة ومفكّريها ولا سيّما الإمام الخميني ﵀، وسماحة قائد الثورة الإسلامية (دام‌ظله) على ضرورة أن يستند التعليم الحوزوي للأساليب الحديثة المستلهمة من مناهج الاستنباط في الفقه الجواهري، وأن يتمّ سوقه نحو مسارات التألّق والازدهار، وفي هذا السياق نشير إلى مقطع من الكلمة المهمّة التي ألقاها سماحة قائد الثورة السيّد الخامنئي (دام ظله) في عام ٢٠٠٧م، مخاطباً فيها رجال الدين الأفاضل:

> بالطبع، إنّ حركة العلم في العقدين القادمين ستشهد تعجيلاً متسارعاً في حقول العلم والتكنولوجيا مقارنة بما مرّ علينا في العقدين المنصرمين ...، وفيما يتعلّق بالمناهج الدراسية يجب علينا توضيح العبارات والأفكار التي تتضمّنها تلك المناهج إلى الدرجة التي تنزاح معها كلّ العقبات التي تقف في طريق من يريد فهم تلك الأفكار، طبعاً، دون أن نُهبط بمستوى الفكرة.

في الحقيقة، لقد استطاعت الثورة الإسلامية المباركة في إيران ـ ولله الحمد ـ أن تسند المحافل العلمية والجامعات بطاقات وإمكانات هائلة لتفعيلها و تطويرها. ومن هذا المنطلق، واستلهاماً من نمير علوم أهل‌البيت ﷺ وبفضل الأجواء التي أتاحتها هذه الثورة العظيمة لإحداث طفرة في النظام التعليمي، أناطت جامعة‌المصطفى ﷺ العالمية مهمّة ترجمة وطباعة ونشر المناهج الدراسية التي تنسجم مع النظام المذكور، إلى مركز المصطفى ﷺ العالمي، وذلك بالاعتماد على اللّجان العلمية والتربوية الكفوءة، وتنظيم هذه المناهج بالتركيز على الأهمية الإقليمية والدولية الخاصّة بها.

وللحقيقة فإنّ جامعة المصطفى ﷺ العالمية تملك خبرة عالية في مجال تدوين

المناهج الدراسية والبحوث العلمية، حيث حقّقت تحوّلاً جديداً في ميدان انتاج المعرفة، وذلك من خلال تجربتها في تدوين مجموعة المناهج الخاصّة بالمؤسّستين السابقتين التي انبثقت عنهما، وهما: «المركز العالمي للدراسات الإسلاميّة» و«مؤسسه الحوزات والمدارس العلمية في الخارج».

وكانت حصيلة الفعاليات العلمية لهذه الجامعة في مجال تدوين المناهج؛ إصدار أكثر من مئتي منهجٍ دراسي لداخل البلاد وخارجها، وإعداد أكثر من مئتي منهجٍ وكرّاسةٍ علميّة، والتي نأمل بفضل العناية الإلهية وفي ظلّ رعاية الإمام المهدي المنتظر عليه السلام أن تكون قد ساهمت بقسط ولو قليل في نشر الثقافة والمعارف الإسلامية المحمّدية الأصيلة.

وبدوره يشدّ مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي على أيدي الروّاد الأوائل ويثمّن جهودهم المخلصة، كما يعلن عن شكره للتعاون البنّاء للّجان العلمية التابعة لجامعة المصطفى صلى الله عليه وآله على مواصلة هذه الانطلاقة المباركة في تلبية المتطلبات التربوية والتعليمية من خلال توفير المناهج الدراسية طبقاً للمعايير الجديدة.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم الذي يحمل عنوان **دروس في علوم القرآن** هو ثمرة تأليف الأستاذ الفاضل الشيخ **حسين جوان آراسته** وقام بترجمته من اللغة الفارسية إلى العربية الأستاذ **خليل العصامي**.

ويحرص مركز المصطفى العالمي على تسجيل تقديره و شكره للمترجم المحترم على مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب.

كما لا يفوتنا أن نتوجّه بالرجاء إلى العلماء و الأساتذة و أصحاب الفضيلة أن يبعثوا إلينا بإرشاداتهم، و بما يستدركونه عليه منه خطأ أو اشتباه؛ لتلافيه في الطبعات اللاحقة.

نسأله تعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي

الفهرس

الباب الثالث: نزول القرآن

الباب الرابع: جمع القرآن

الباب الخامس: قراءات القرآن

الباب السادس: سلامة القرآن من التحريف

الباب السابع: إعجاز القرآن

الباب التاسع: المُحْكَم والمُتَشابه

مقدّمة المؤلّف

أوّلاً: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ..﴾.[1]

القرآن أوثق مصدر للمعارف الإسلامية، ومعجزة الرسول الخالدة، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي بقي محفوظاً من التحريف، ويعجز الناس عن الإتيان حتّى بسورة قصيرة مثله. القرآن كلّه نور: ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾،[2] وهو ضمان لسعادة الإنسان ومصدر لهدايته: ﴿... كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾،[3] وحقيقة ساطعة منزلة من الله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ..﴾،[4] ونزلت معه ضمانة الحفاظ عليه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[5] وفيه بيان لجميع الأوامر والنواهي والمعضلات: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيكَ الْكِتَابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيءٍ...﴾.[6] وللقرآن مكانة فيعة حتّى أنّ

---

١. الإسراء: ٩.

٢. النساء: ١٧٤.

٣. إبراهيم: ١.

٤.الإسراء: ١٠٥.

٥. الحجر: ٩.

٦. النحل: ٨٩

الله تعالى وصفه: ﴿...وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾،[1] وأكّد لرسوله ثقله.[2] والمدهش في الأمر أنّ هذه الشجرة الطيّبة مع خفاء عمقها، فهي أجمل الحديث: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...»،[3] وهو جميل إلى درجة أنّ قراءته المتتالية لا تقلل من حلاوته وجذابيّته، وله القدرة على أن يحمل الإنسان المادّي إلى عالم من المعنوية والخلود ويرسم له معالم حياة طيّبة.

وفي ظلّ هذه الأمانة المقدّسة، وفي ضوء التمسّك بما ورد في القرآن الكريم من أحكام وتعليمات، استطاع المجتمع الاسلامي أن يبسط سيطرته على نصف العالم في مدّة وجيزة، ويخلق عصراً ذهبياً للحضارة البشرية في ذلك العصر، وبفضل وجود القرآن غدا تاريخ الحضارة الإسلامية من أعظم وأفخر مراحل تاريخ الحضارة البشرية.

وطالما بقي هذا المشعل الوهاج ينير طريق المجتمع الإسلامي، كانت السيادة، والقوّة والعظمة والشوكة، وكلّ القيم الانسانية النبيلة بيد المسلمين، ولكن منذ أن أزيح القرآن رويداً رويداً من ساحة حياة المسلمين، انحدرت نحو الأفول أيضاً عزتهم وعظمتهم وقوّتهم، ولا شكّ في أنّ السبب الأساسي لانحطاط المسلمين وتخلّفهم يعود إلى إعراضهم عن القرآن، ولو كان هذا الكتاب العظيم، وهذا الكنز الثمين بيد أعدائنا، لانتفعوا منه غاية الانتفاع.

من المؤسف أنّ معرفة المسلمين وحتّى الكثير من متعلّمينا، بالقرآن ضحلة، ووعيهم به ضئيل. ولم يتبوّء القرآن مكانته اللائقة به في المجتمعات الإسلامية، ولكن بعد انتصار الثورة الإسلامية العظيمة بزعامة الإمام الخميني قدس سره، الذي يعتبر معلماً

---

١. الحجر: ٨٧.

٢. المزمل: ٥.

٣. الزمر: ٢٣.

ومفسّراً كبيراً للقرآن، اكتسب القرآن إشراقة جديدة، وبدأت وتيرة التوجّه نحوه ونحو معارفه تأخذ طابعاً شمولياً بين عامة المسلمين وخاصة طبقة الشباب.

وفي عالم اليوم الذي يعيش حالة من الاضطراب، حيث نُسيت القيم في خضم مايثيره طلاب الدنيا من ضجيج وصخب إعلامي مسموم، تكشّف الخواء المعنوي أكثر من أي وقت آخر، ووفّر موجبات التذمّر والتمرّد على نمط الحياة الحالية الباهتة والجامدة والخالية من أية روح. ومن هنا نشعر نحن المسلمون أكثر من أي وقت آخر بضرورة تحكيم ثقافة الوحي في صلب حياتنا الفردية والاجتماعية، والسياسية، وكما قال رسول الله ﷺ:

> إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن؛ فإنّه شافع مشفّع، وماحِلٌ مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل... وله ظَهرٌ وبطنٌ... ظاهره أنيق وباطنه عميق. له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكم....[١]

ثانياً: يتوقّف الفهم الصحيح للقرآن الكريم على مقدّمات، ولعلوم القرآن ـ كما سنبيّن لاحقاً ـ تأثير مباشر أو غير مباشر في كيفية فهم القرآن وتفسيره، وقد حظيت هذه العلوم منذ القدم باهتمام الباحثين في حقل القرآن، باعتبارها مقدّمة لتفسيره.

تُقسم المؤلّفات في مجال علوم القرآن بشكل عام إلى أربعة أقسام:

١. المؤلّفات التي كُتبت في علم معين من علوم القرآن كعلم القراءات، وإعجاز القرآن، وعدم تحريف القرآن، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وما شابه ذلك.

٢. الكتب التي تناولت ـ بشكل انتقائي ـ مجموعة من موضوعات علوم القرآن.

٣. الكتب التي تضم تقريباً كلَّ أو جلَّ مباحث علوم القرآن.

---

١. *الكافي*: ٥٩٩/٢؛ *بحار الأنوار*: ١٧/٨٩، ح١٦.

٤. التفاسير التي جاءت في مقدّمتها مباحث في علوم القرآن.[١]

جاء تدوين هذا الكتاب *دروس في علوم القرآن* بهدف عرض البحوث الأساسية والمهمّة في علوم القرآن على شكل نصّ تعليمي. وقد وقع عليه الاختيار من قبل المراكز الحوزوية وأساتذة الجامعات منذ البداية وجعل مادة دراسية، واختير بعد سنة من طبعته الأولى، كواحد من الكتب المختارة لعام ١٣٧٧هش، من قبل معاونية البحوث في الحوزة العلمية بقم. وكان الاستقبال الواسع الذي لقيه هذا الكتاب من قبل الباحثين في حقل علوم القرآن، بشكل فاق التوقعات، ودفع المؤلف ـ بعد طبعات متعددة ـ إلى المبادرة إلى إعادة النظر في هذا النصّ الدراسي شكلاً ومضموناً. ولا شكّ في أنّ هذه الخطوة المتواضعة في الساحة القدسية للقرآن الكريم، تتطلّب همّة عالية، ليتسنّى لها الاقتراب من غايتها خطوة بعد خطوة، بفضل معونة ذوي النظر ومن خلال توجيهاتهم وتبيان ما فيه من نواقص.

ثالثاً: في هذا النصّ الدراسي، انصبّ الاهتمام على الأمور التالية:

١. الدقّة في اختيار الموضوعات وترتّب كلّ واحد منها على الآخر بأسلوب منطقي ومنظّم.

٢. الاستناد جهد المستطاع إلى المصادر الأولية.

٣. الاستنارة بالبحوث الجديدة في علوم القرآن، وآراء ذوي النظر.

٤. الاشارة إلى الاهداف المنشودة في كلّ باب، لتسليط أنظار الباحثين في علوم القرآن عليها.

٥. ذكر المصادر المهمّة في بداية كلّ باب.

---

١. بفضل همّة «مركز فرهنگ ومعارف قرآن» التابع إلى مكتب الاعلام الاسلامي في قم، تمّ طبع مجموعة مباحث علوم القرآن من ٥٥ كتاباً تفسيرياً من الكتب السنيّة والشيعية في ثلاثة مجلّدات تحت عنوان *علوم القرآن عند المفسّرين*.

٦. عرض خلاصة للموضوعات في نهاية كلّ درس.

٧. وضع أسئلة متعلقة بالموضوع الذي طرح بعد نهاية كلّ باب.

٨. تقديم بعض الموضوعات والمعلومات المفيدة تحت عنوان «للمطالعة».

٩. اجتناب ذكر الآراء والأقوال المتعارضة ونقضها وإبرامها، إلاّ في الحالات الضرورية.

حسين جوان آراسته

صيف عام ١٣٨٢هـ.ش.

الباب الأوّل

نظرة عامّة

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. معرفة مصطلح العلوم القرآنية والمسار العام لما كُتب في مجال القرآن وعلومه.
٢. لمحة على عناوين القرآن (أسماؤه وأوصافه).
٣. بحث في معاني القرآن.
٤. الاطّلاع على سبب تسمية الوحي السماوي بـ «القرآن».
٥. نظرات في اللغة العربية باعتبارها لغة الدين والقرآن.

المصادر المهمّة

القرآن الكريم، *فهرست ابن النديم*، مقدّمة *البرهان في علوم القرآن* لأبي عبد الله الزركشي، *مقدّمة التمهيد في علوم القرآن* لمحمّد هادي معرفة، *القرآن الكريم وروايات المدرستين* للسيد مرتضى العسكري.

الدرس الأوّل

علوم القرآن والتدرّج التاريخي لتدوينها

علوم القرآن هي العلوم التي تبحث حالات وعوارض القرآن، وموضوع كلّ هذه العلوم هو القرآن، والمراد من العوارض هنا مطلق المحمولات التي تُحمل على القرآن. وهناك طبعاً اختلاف في الآراء حول طبيعة الفوارق التي تتمايز بها العلوم في ما بينها، فذهب فريق إلى القول بأنَّ العلوم تتمايز بتمايز أغراضها. وعلى هذا الأساس فليس لتعدد أو وحدة الموضوعات ولا لتعدد أو وحدة المحمولات أي تأثير في التمايز بينها؛ وذلك لأنّه لو كان تمايز العلوم بتمايز موضوعاتها أو محمولاتها لكان ينبغي أن نعتبر كلّ مسألة في المرفوعات في علم النحو، مثل الفاعل مرفوع، والمبتدأ مرفوع، والخبر مرفوع، ممّا يتّحد في المحمولات، علماً مستقلاً. وفي مقابل ذلك يقع في «علوم القرآن» موضوع واحد وهو القرآن، مع تعدد المحمولات. ومن البديهي أنّ هذا التعدد لا يُعتبر ملاكاً لتعدد العلم.

وذهب فريق آخر إلى القول بأنَّ المعيار في تمايز العلوم عن بعضها الآخر يمكن فى التشابه بين مسائل كلّ علم و عدمه، وقالوا بأنّ هناك تشابهاً وسنخيّة بين مسائل كلّ علم. ويكمن هذا التشابه في جوهر هذه المسائل وفي ذاتها، وبما أنّه تشابه ذاتي فهو لا يستلزم التعليل، وهذا التشابه هو الذي يميّز مسائل كلّ علم عن مسائل علم آخر. ولهذا

السبب من النادر أن تكون تعاريف كلّ علم جامعة ومانعة، وتبين إلى حدّ ما حدود وأبعاد العلم المقصود. وبالنتيجة توجد على الدوام مسائل يُشكُّ بانتمائها أو عدم انتمائها إلى علم معين. وهذا الملاك في التشابه والسنخية بين مسائل كلّ علم، يمكن اتّخاذه كأساس مناسب في موضوع علوم القرآن، ولتبرير التعاريف غير الفنية الموجودة. فقيل مثلاً أنّ علوم القرآن هي عبارة عن:

مباحث تتعلّق بالقرآن من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه، ودفع الشبهة عنه، ونحو ذلك.[١]

ويتّضح لنا من ذلك بانّ مراد الباحثين من «علوم القرآن» جميع المعلومات ذات السنخ الواحد، التي تدخل في فهم القرآن على نحو أفضل، أو لها صلة بالقرآن، وبما أنّ القرآن ذو جوانب متعددة، فقد أدّى السعي إلى فهم كلّ واحد منها، منذ البداية وإلى حدّ الآن، إلى نشوء علوم مختلفة مثل: علم أسباب النزول، وعلم القراءات، وعلم التجويد، وعلم الناسخ والمنسوخ. وعلى صعيد آخر، بما أنّ كلّ هذه العلوم تهتمّ بموضوع واحد، وهو «القرآن»، فقد أطلق الباحثون على مجموع هذه العلوم اسم «علوم القرآن». وقد أضحت هذه التسمية اليوم مَعلَماً لهذا العلم. ومن البديهي أنّه لا يمكن على أساس مثل هذا الفهم لـ«علوم القرآن» تقييد مباحثه بعناوين معيّنة وثابتة. وهنا يتّضح أنّ هذا العلم يُعنى بمعرفة مختلف شؤون القرآن، وهو على العموم ينظر إلى القرآن من الخارج وليس من الداخل، خلافاً للتفسير وما يتعلّق بمعارف القرآن التي تُعنى بشكل مباشر بمحتوى وفهم آيات القرآن، وتنظر إليه من الداخل.

اهتمّ المسلمون بالقرآن منذ صدر الإسلام، وشغفهم به باعتباره وحياً سماوياً ومعجزة خالدة، إلى ان يبدي بعض كبار صحابة الرسول ﷺ منذ القرن الأوّل، ومن تلاهم من علماء المسلمين، اهتماماً مضاعفاً في الحقول المختلفة من التفسير والشؤون المتعلّقة بالقرآن.

---

١. *مناهل العرفان*: ٢٧/١؛ *البرهان في علوم القرآن*: ٣١/١.

ويعتقد العلماء المختصّون بعلوم القرآن، أنّ من بين صحابة الرسول ﷺ، كان علي بن أبي طالب عليه السلام من روّاد وطلائع التفسير وعلوم القرآن، حتّى أنّ شخصية كابن عبّاس أخذ تفسير القرآن عنه.[1]

كان عبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب بن قيس، ممّن كانت لهم مكانة رفيعة في التفسير والقراءات. وقد تعلّم الآخرون القرآن منهم.

بدأ عهد تدوين تفسير ومباحث القرآن منذ القرن الثاني. ومن بعد ذلك العهد كثر العلماء الذين انخرطوا في سلك تدوين المؤلّفات القرآنية.

تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح علوم القرآن بصيغته المعروفة حالياً، يختلف عمّا كان مصطلحاً عليه في القرون الأولى. فقد كان مصطلح علوم القرآن يُطلق في الماضي على البحوث التفسيرية أيضاً. والحقيقة هي أنّ علم التفسير كان يدخل في عداد علوم القرآن، ومثله في ذلك مثل علم إعجاز القرآن، وعلم تاريخ القرآن، وعلم الناسخ والمنسوخ، وما شابه ذلك. بيد أنّ كثرة وتنوّع المباحث أدّت إلى نشوء نوع من الحدود بين مباحث العلوم القرآنية وعلم التفسير.[2]

قال الزرقاني:

> ولقد كان المعروف لدى الكاتبين في تاريخ هذا الفن، أنّ أوّل عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح إلى اصطلاح علوم القرآن، هو القرن السابع، لكنّي ظفرت في دار الكتب المصرية بكتاب لعليّ بن ابراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفّى سنة ٤٣٠ هـ. اسمه *البرهان في علوم القرآن*، ويقع في ثلاثين مجلّداً ... وإذن نستطيع أن نتقدّم: بتاريخ هذا الفن نحو قرنين من الزمان؛ أي إلى بداية القرن الخامس.[3]

---

١. *البرهان في علوم القرآن*: ١٥٧/٢.

٢. غدا علم التجويد يطرح اليوم بصفته علماً مستقلاً، بعد أن كان يدخل فيما مضى في عداد علوم القرآن.

٣. *مناهل العرفان*: ٣٥/١.

وبعد أن يعرض بحثاً عن تاريخ علوم القرآن، يستنتج ما يلي:

إنّ علوم القرآن كفنّ مدوّن استهلت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، ثُمّ تربّت في حجر ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة، في القرنين السادس والسابع، ثُمّ ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي، ثُمّ بلغت أشدّها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي وجلال الدين البلقيني، ثُمّ اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر، بهمّة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي *التحبير والاتقان في علوم القرآن للسيوطي*.[1]

بدأ تدوين علوم القرآن بشكل جامع منذ القرن الثامن بتأليف كتاب *البرهان في علوم القرآن* لأبي عبد الله الزركشي. وكانت شمولية كتابه لأنواع علوم القرآن لا نظير لها حتّى ذلك العهد، حتّى أنّ السيوطي أعرب عن تعجّبه من المتقدّمين؛ إذ لم يدوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن. ولكنّه أبدى السرور والانشراح بعد اطّلاعه على كتاب البرهان، وخطر له أن يؤلّف كتاباً مبسوطاً في هذا المجال.[2]

كتاب *الاتقان في علوم القرآن* تأليف جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) من أهمّ مصادر علوم القرآن. ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها السيوطي كتاب *البرهان في علوم القرآن*. وفي أعقاب الاتقان انحسر ازدهار التأليف والتدوين في علوم القرآن إلى حين، وجاءت أكثر المؤلّفات في ميادين معيّنة، وقلّ بعدها التوجّه نحو علوم القرآن.

ومن حسن الحظ أنّ علماء كثيرين كتبوا في القرن الأخير مؤلّفات قيّمة في مختلف صنوف علوم القرآن، يمكن أن نذكر منها ما يلي:

١. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، الأُستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني.

---

١. المصدر: ٣٩. يرى بعض الباحثين أنّ كتاب الحوفي ليس كتاباً في علوم القرآن بالمعنى المصطلح، وإنّما هو عبارة عن تفسير، كُتب بدقّة وترتيب وفصْل بين الموضوعات.

٢. *الاتقان*: ١/٧ و ١٦.

٢. مقدّمة *تفسير آلاء الرحمن*، العلاّمة محمد جواد البلاغي.

٣. *مباحث في علوم القرآن*، الدكتور صبحي الصالح.

٤. *تاريخ القرآن*، آية الله أبو عبد الله الزنجاني.

٥. *تاريخ قرآن*، الدكتور محمود راميار.[1]

٦. *البيان في تفسير القرآن*، آية الله السيّد أبو القاسم الخوئي.

٧. *قرآن در اسلام*، العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي.[2]

٨. *التمهيد في علوم القرآن*، آية الله محمد هادي المعرفة.

٩. *موجز علوم القرآن*، الدكتور داوود العطار.

١٠. *حقائق هامّة حول القرآن الكريم*، العلاّمة السيّد جعفر مرتضى العاملي.

١١. *المعجزة الخالدة*، الأُستاذ محمد أبو زهرة.

١٢. *علوم القرآن*، آية الله محمد باقر الحكيم.

وقد ذكر ابن النديم في كتاب *الفهرست* أسماء الكثير من العلماء وكتبهم ممّن كانوا في عهده؛ أي إلى القرن الرابع. ونكتفي هنا بذكر إحصاء عام لما كتبوه:

التفسير: حوالي ٤٥ كتاباً.

معاني القرآن: أكثر من ٢٠ كتاباً.

ألفاظ القرآن: ٦ كتب.

القراءات: أكثر من عشرين كتاباً.

النقط والشكل للقرآن: ٦ كتب.

متشابه القرآن: ١٠ كتب.

ناسخ القرآن ومنسوخه: ١٨ كتاباً.

---

١. هذا الكتاب باللغة الفارسية.

٢. هذا الكتاب باللغة الفارسية.

للمطالعة

المسار التاريخي للمؤلّفات في القرون الأولى

القرن الأوّل

يحيى بن يعمر (ت ٨٥ هـ)، كتاب في القراءة[1]

القرن الثاني

١. الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)، *نزول القرآن، عدد آي القرآن*.

٢. عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨ هـ)، *اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق، المقطوع والموصول* (في موضوع الوقف والوصل في الآيات).

٣. زيد بن علي (ت ١٢٢ هـ)، القراءة، *تفسير غريب القرآن*.

٤. عطاء بن أبي مسلم ميسرة الخراساني (ت ١٣٥ هـ)، *رسالة في الناسخ والمنسوخ*.

٥. أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ)، *غريب القرآن، كتاب في القراءات*.

٦. محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ)، [2]*أحكام القرآن*.

٧. مقاتل بن سليمان (تـ ١٥٠ هـ)، *اللّغات في القرآن، الجوابات في القرآن، الناسخ والمنسوخ في القرآن؛ الوجوه، والنظائر في القرآن، الآ يات المتشابهات*.

٨. أبوعمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، *الوقف والابتداء*، كتاب القراءات أحد القراء السبعة.

٩. حمزة بن حبيب (ت ١٥٦ هـ)، القراءة، متشابه القرآن، *المقطوع والموصول في القرآن، أسباع القرآن*، حدود *آي القرآن*.

١٠. علي بن حمزة الكسائي، *معاني القرآن؛ القراءات مقطوع القرآن وموصوله*.

---

١. ذكر في هذا الكتاب اختلاف المصاحف المعروفة. وبقي هذا الكتاب إلى القرن الرابع المصدر الأساسي لمعرفة القراءات.

٢. اعتبروه أوّل من كتب في أحكام القرآن.

القرن الثالث

١. يحيى بن زياد الفرّاء(ت ٢٠٧ هـ)، اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف؛ الجمع والتثنية في القرآن لغات القرآن، المصادر في القرآن.

٢. أبو عبيد معمّر بن المثنى(ت ٢٠٩ هـ) *مجاز القرآن*.

٣. أبو عبيد القاسم بن سلاّم(ت ٢٢٤ هـ)، *المقصور والممدود*، *القراءات*؛ *الناسخ والمنسوخ*، *فضائل القرآن*، *غريب القرآن*.

٤. الحسن بن علي بن فضّال(ت ٢٢٤ هـ)، *الناسخ والمنسوخ*، *الشواهد من القرآن*.

٥. علي بن عبد الله جعفر المديني (ت ٢٣٤ هـ)، *اسباب النزول*.

٦. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، *تأويل مشكل القرآن*، *تفسير غريب؛ القرآن*، *إعراب القرآن*، *القراءات*.

٧. أبو حاتم سهل بن محمد عثمان السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)، *إعراب القرآن*، *القراءات*، *اختلاف المصاحف*.

٨. أبو القاسم سعد بن عبد الله الأشعري القمّي (ت ٢٩٩ هـ)، *ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه*.

القرن الرابع

١. محمد بن يزيد الواسطي(ت٣٠٦ هـ)، *إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه*،

٢. محمد بن خلف بن حيّان(ت٣٠٦ هـ)، *عدد آي القرآن*.

٣. حسن بن موسى النوبختي(ت ٣١٠ هـ)، *التنزيه وذكر متشابه للقرآن*.

٤. أبو علي حسن بن علي بن نصر الطوسي (ت٣١٢ هـ)، *نظم القرآن*.

٥. أبوبكر عبد الله بن سليمان السجستاني (ت٣١٦ هـ)، *المصاحف*، *الناسخ والمنسوخ*، *رسالة في القراءات*، *فضائل القرآن*، *نظم القرآن*.

٦. أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)، *غريب القرآن*.

٧. أبو جعفر أحمد بن محمد بن النحّاس (تـ ٣٣٨ هـ)، *إعراب القرآن*، *معاني القرآن*، *الناسخ والمنسوخ*.

٨. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سيّار [1] (ت ٣٦٨ هـ)، *ثواب القرآن*، *التنزيل والتحريف*.

٩. أبو الحسن علي بن عيسى الرمانّي (ت ٣٨٤ هـ)، *النّكت في إعجاز القرآن*.

١٠. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي(ت ٣٨٨ هـ)، *بيان إعجاز القرآن*.

الخلاصة

١. علوم القرآن هي العلوم التي تبحث الحالات والعوارض الذاتية للقرآن. وبعبارة أُخرى: هي جميع المعلومات التي تجمعها سنخية واحدة، وتُوَظَّف لفهم القرآن على نحو أفضل، أو لها صلة بالقرآن.

٢. بدأت أوّل المؤلّفات في حقل القرآن في أواخر القرن الأوّل للهجرة.

٣. كان لعلوم القرآن في البداية معنى عام يشمل حتّى التفسير والتجويد.

٤. تعود بداية مصطلح علوم القرآن بمعناه المتداول حالياً إلى القرن الخامس

٥. أوّل كتاب جامع في مجال علوم القرآن هو *البرهان في علوم القرآن* للزركشي، الذي يعود تاريخه إلى القرن الثامن.

---

١. اعتبره علماء رجال المذهب فاسداً.

الدرس الثاني

أسماء وأوصاف القرآن

هناك اختلاف واسع بين آراء الباحثين في عدد أسماء القرآن. فقد ذكر أبو الفتوح الرازي في تفسيره ٤٣ اسماً للقرآن.[1]

وذكر له الزركشي نقلاً عن القاضي أبي المعالي المعروف بشيذلة ٥٥ اسماً.[2] وبلغ البعض الآخر بأسمائه إلى ٨٠ اسماً،[3] ويعود اختلاف الآراء في هذا المجال إلى عدم التميز بين أسماء وأوصاف القرآن من جهة، وإلى تباين الأفهام والأذواق في اختيار الأسماء من جهة أُخرى ومن الطريف أن نشير هنا إلى ما اعتقده البعض بأنّ القرآن ليس له اسم سوى «القرآن».[4]

نرى من المناسب أن نقسّم عناوين القرآن إلى قسمين، هما: أسماؤه، وأوصافه:

أ) أسماء القرآن

من المسلم به أنّ من بين عناوين القرآن هناك أربعة عناوين استخدمت كأسماء لهذا

---

١. *روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن*: ٨/١

٢. *البرهان في علوم القرآن*: ٣٧١/١ ـ ٣٧٣؛ *الإتقان في علوم القرآن*: ٩٠/١.

٣. *تاريخ قرآن*، محمود راميار: ٣١ ـ ٣٢.

٤. *القرآن الكريم وروايات المدرستين*: ٢٧٤/١.

الكتاب السماوي، وهي حسب ترتيب أهمّيتها وكثرة استخدامها على النحو التالي:

١. القرآن: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾.[١]

٢. الكتاب: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...﴾.[٢]

٣. الذكر: ﴿...إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.[٣]

٤. الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ...﴾.[٤]

وأضاف الزرقاني تسمية «التنزيل» إلى الأسماء المذكورة آنفاً.[٥] والتسميات الثلاثة: الكتاب، الذكر، الفرقان، مشتركة بين القرآن والكتب السماوية الأخرى.[٦] وتسمية «القرآن» هي التسمية الوحيدة التي جُعلت اسماً خاصّاً لهذا الكتاب السماوي.

ب) أوصاف القرآن

نتناول في هذا القسم العناوين التي استخدمت بشكل مباشر كوصف لأسماء «القرآن»، و«الكتاب»، و«الذكر».

١. المجيد: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾.[٧]

٢. الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.[٨]

---

١. البروج: ٢١. جاءت هذه التسمية في ٥٨ موضعاً بهذه الصورة، وفي ١٠ مواضع بصورة «قرآناً».

٢. ص: ٢٩. استخدمت هذه التسمية للقرآن في ما يقرب من ١٠٠ موضع.

٣. يس: ٦٩. استخدمت هذه التسمية للقرآن في ٢٠ موضعاً.

٤. الفرقان: ١.

٥. *مناهل العرفان:* ١٥/١.

٦. ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. البقرة: ٥٣؛ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾. الانبياء: ٤٨.

٧. ق: ١. وأيضاً راجع: البروج: ٢١.

٨. الواقعة: ٧٧.

٣. الحكيم: ﴿يس*وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.[١]

٤. العظيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.[٢]

٥. العزيز: ﴿...وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾.[٣]

٦. المبارك: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾.[٤]

٧. المبين: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾.[٥]

٨. المتشابه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا...﴾.[٦]

٩. المثاني: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ..﴾.[٧]

١٠. العربي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[٨]

١١. غير ذي عوج: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.[٩]

١٢. ذو الذّكر ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.[١٠]

١٣. البشير: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*بَشِيرًا...﴾.[١١]

١٤. النذير: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾.[١٢]

---

١. يس: ١ ـ ٢؛ وكذلك يونس: ١.

٢. الحجر: ٨٧

٣. فصلت: ٤١.

٤. الأنبياء: ٥٠؛ ص: ٢٩.

٥. الحجر: ١.

٦. الزمر: ٢٣.

٧. الزمر: ٢٣.

٨. يوسف: ٢.

٩. الزمر: ٢٨.

١٠. ص: ١.

١١. فصلت: ٣ ـ ٤.

١٢. فصلت: ٣ ـ ٤.

١٥. القيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا* قَيِّمًا...﴾.[١]

وفي الختام نشير إلى اسم آخر من أسماء القرآن، وهذا الاسم لم يأت ذكره في القرآن نفسه إلاّ أنّه غدا أشهر أسمائه بين المسلمين في أعقاب وفاة الرسول الكريم. وهذا الاسم هو المصحف، الذي اختير بسبب كتابة وتدوين القرآن، وتُطلق كلمة لصحيفة على الشيء المنبسط الواسع. ولهذا السبب تُطلق تسمية الصحيفة على الصفحة التي يكتبون عليها. والمصحف: مجموعة من الصفحات المكتوبة التي تقع بين دفّتين.

الخلاصة

١. أسماء القرآن هي: القرآن، الكتاب، الذكر، الفرقان.

٢. شاع استخدام تسمية المصحف بعد وفاة الرسول ﷺ، بسبب جمع القرآن في مجلّد واحد.

٣. بعض أشهر أوصاف القرآن هي: المجيد، الكريم، الحكيم، العظيم، العزيز، المبارك، المنير، العربي، البشير، النذير.

---

١. الكهف: ١ ـ ٢.

الدرس الثالث

معنى القرآن

قالوا في معنى القرآن خمسة أوجه،[1] يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١. القرآن: اسم جامد غير مشتقّ وعلم ارتجالي، وليس له استعمال سابق في لغة العرب، جعله الله اسماً خاصّاً لوحيه الذي أنزله على رسوله، مثل التوراة والإنجيل اللذين جُعلا اسمين لكتابي النبي موسى، والنبي عيسى عليه السلام (الشافعي).

٢. القرآن: اسم مشتقّ ولكن غير مهموز.

أ) مشتقّ من قرنتَ الشيء بالشيء، إذا ضممت أحد هما إلى الآخر، وسُمّي به لقرآن السُوَر والآيات والحروف فيه (حَسبما قال قوم ومنهم الأشعري).

ب) القرآن: مشتقّ من القرائن، جمع قرينة؛ لأنّ الآيات منه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن (وهذا رأي الفرّاء).

٣. القرآن: مشتقّ ومهموز:

أ) مأخوذ من القَرْء بمعنى الجمع؛ ومنه قرأتُ الماء في الحوض، أي جمعته، لكونه جمَعَ ثمرات الكتب السالفة المنزلة. (وهذا رأي ابن الأثير والزجاج وغيرهما).

---

١. *البرهان*: ١/٣٧٣-٣٧٤؛ *الإتقان*: ١/١٦٢ - ١٦٣.

ب) مصدر لقرأتُ، بمعنى التلاوة كالرجحان والغفران، سُمّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر (أي المقروء أو ما يُقرأ). واستخدم القرآن بمعنى القراءة، كالكتاب الذي يُطلق على المكتوب بمعنى الكتابة. (وهذا رأي اللحياني وجماعة غيره).

ويبدو أنّ الرأي الخامس هو أقوى هذه الآراء. وقد قال به الزرقاني بعد تفنيده لسائر الأقوال.[1]

وقال الراغب الإصفهاني أيضاً:

القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل. لا يُقال: قرأتُ القومَ إذا جمعتهم.[2]

وبعبارة أُخرى: القراءة هي تلاوة آيات الله.

قال العلاّمة محمد حسين الطباطبائي.

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾... القرآن هاهنا مصدرٌ كالفرقان والرجحان، والضميران للوحي. والمعنى: لا تعجل به، إذ علينا أن نجمع ما نوحيه إليك بضم بعض أجزائه إلى بعض وقراءته عليك.[3]

يفهم من الآية المذكورة بكلّ وضوح أنّه حتّى لو كان الرأي على ما قاله ابن الأثير من أنّ أساس لفظ القرآن يعني الجمع بسبب اقتران هذا اللفظ بلفظ الجمع في الآية الشريفة، لا بدّ أنّ يكون القرآن بمعنى القراءة والتلاوة. وإلاّ فتكرار اللفظ لغو يتنافى مع فصاحة القرآن.

الدليل الآخر الذي يؤيّد الرأي الخامس هو الأمر «اقرأ» في أوّل وحي نزل على

---

١. *مناهل العرفان*: ١٤/١.

٢. الراغب الإصفهاني، *مفردات ألفاظ القرآن*: مادّة «قرأ».

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٠٩/٢٠.

الرسول، وهو من غير شكّ يدلّ على القراءة. ونزل لفظ القرآن أوّل مرّة في الآية الرابعة من سورة المزمّل، وهي السورة الثالثة في ترتيب نزول السُوَر، وفقاً لما جاء في الحديث المعروف عن جابر بن زيد وابن عبّاس.[1] وقد جاء الأمر في هذه الآية على النحو التالي: ﴿...وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾. وجاء في الآية الأخيرة من هذه السورة أمر عام: ﴿...فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾. وبما أنّ الأمر «اقرأ» و«رتّل» يعني التلاوة، فإنّ المعنى الذي يناسب القرآن في هذه الآيات هو الكتاب الذي يُقرأ.

والنتيجة هي أن أوضح وأنْسب معنى للقرآن هو أن يكون مشتقّاً من مادّة قرأ التي تعني التلاوة.

الخلاصة

١. القرآن اسم خاصّ لكتاب الله وهو لفظ جامد (الشافعي).

٢. القرآن مشتقّ من القرينة ومعناه أنّ آياته يشابه بعضها بعضاً (الفرّاء).

٣. القرآن مشتقّ من قرن الشيء بالشيء، وسُمّي به لقرآن السور والآيات والحروف فيه (رأي الأشعري وجماعة آخرين).

٤. القرآن كلمة مهموزة ومشتقّة من كلمة القرء بمعنى الجمع لكونه جمع ثمرات الكتب السماوية السالفة (ابن الأثير والزجاج).

٥. القرآن كلمة مهموزة ومأخوذة من كلمة قرأ بمعنى التلاوة (اللحياني وجماعة آخرين). وهناك أدلّة تؤيّد الرأي الخامس.

---

١. *الإتقان في علوم القرآن*: ١/ ٢٠.

الدرس الرابع

وجه تسمية القرآن

لكلّ اسم من أسماء كتاب الله وجه تسمية وحكمة تكمن في تلك التسمية، وفي هذا الدرس نتناول من بين أسماء هذا الكتاب الذي نزل على رسول الله، تسمية القرآن دون غيرها من التسميات.

من بين الآراء المختلفة التي طرحت في مجال معاني لفظ القرآن، نلاحظ هاهنا، على أساس الرأي الخامس، وجه تسمية القرآن بهذا الاسم.

نحن نعلم أنّ حقيقة القرآن أوسع ممّا يستوعبه قالب الألفاظ. ومحتوى القرآن أعلى وأسمى ممّا تقدر الألفاظ على بيانه؛ وذلك لأنّ الكلمات والعبارات وضعت لقضايا مادّية، في حين أنّ حقيقة القرآن تنطوي على أعمق المعارف المعنوية. وقد هبط هذا المحتوى السامي من مقامه الأرفع لكي يكون في مستوى أفهام البشر، وبلغ مقام القراءة، ليتسنّى للبشر إمكانية تعقّله.

قال المفسّر والمفكّر القرآني الكبير، العلاّمة الطباطبائي، في معنى الآية الشريفة:

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِي حَكِيمٌ﴾.[1]

---

١. الزخرف:٣ ـ ٤.

> المراد بأُم الكتاب اللوح المحفوظ، وتسميته بأُم الكتاب لكونه أصل الكتب السماوية. والمراد بكونه علياً أنّه رفيع القدر والمنزلة من أن تناله العقول، وبكونه حكيماً أنّه هناك غير مفصّل ولا مجزّى إلى سُوَر وآيات وجمل وكلمات، كما هو كذلك بعد جعله قرآناً عربياً... .[١]

وعلى هذا الأساس يُحتمل أن يكون سبب تسمية معجزة الرسول الخالدة بالقرآن، هو بيان أنّ ما بين أيدينا من ألفاظ مقروءة، له في اللوح المحفوظ منزلة شريفة ونبيلة وتامّة من غير أي تفصيل أو تقسيم، وقد جعل هذا القرآن في صياغة ألفاظ وآيات وغدا مقروءاً من أجل أن يهتدي به الإنسان ويرتوي من معين معارفه.

الخلاصة

سُمّي القرآن قرآناً للتذكير بحقيقته الرفيعة، ولفت الأنظار إلى مكانته الأُخرى، ومصدره الأوّل، وهو اللوح المحفوظ. في ذلك المقام ليس هناك ألفاظ ولا كلمات. وجُعلت هذه التسمية من أجل تنبيهنا إلى أنّنا متى ما سمعنا القرآن، ينبغي أن نعلم بأنّه تلك الحقيقة التي اكتست بغطاء من الألفاظ وباتت مقروءة لكي يفهمها بنو الإنسان.

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٨٤/١٨

الدرس الخامس

لغة القرآن عربية

لغة القرآن هي العربيـة، فـي القـرآن نفـسه ورد أحيانـاً تعبيـر «قـرآن عربـي» فـي سـبعة مواضع، وأحياناً «لسان عربي» في ثلاثة مواضع، أو «حكـم عربـي» فـي موضـع واحـد. وقرن في كلّ هذه المواضع بالتكريم والتعظيم.

وينبغي أن نشير ـ قبل البحث في أنّ لغة كلام الله هي العربية ـ إلى أصل أساسي طرحه القرآن الكريم نفسه، وهو أنّ إرسال الرسل والأنبياء إلى الأمم والأقوام المختلفة، لـم يكـن إلاّ بلغتهم. والمبدأ العام والشمولي هو اتّحاد لغة كلّ رسول مع لغة قومه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾.[1]

وهذه القاعدة العامّة في إرسال الرسل، تنطبق أيضاً على إنزال الكتب السماوية.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.[2]

ولهذا السبب فإنّ نـزول القـرآن باللغـة العربيـة أمـر طبيعي؛ وذلـك لأنّ الرسـول بُعث بالرسالة في قوم كانت لغتهم هي اللغة العربية. وهذا لا يتنافى مع رسـالته العالميـة، ودعوتـه العامّة التي تشمل كلّ العصور والأجيال، ولا مع ما جاء بـه كتابـه مـن «هـدى النـاس». وأمّا

---

١. إبراهيم: ٤.

٢. الشورى: ٧.

إنذاره لأهل مكّة، الذي جاء في سورة الشورى؛ وذلك لأنّ الرسول كان في المراحل الأُولى من حركته العالمية، مكلّفاً بدعوة قومه وهداية أبناء منطقته. ومن غير المعقول أن يؤمر الرسول بإرشاد الناس وهدايتهم، ثُمّ يعرض عليهم كتاباً بلغة غريبة عليهم.

وينبغي الالتفات إلى هذه الحقيقة فيما يخصّ لغة القرآن، وهي أنّ علماء اللغة يرون أنّ اللغة العربية ذات نطاق واسع جدّاً؛ ولهذا فهي تفوق سائر اللغات. نشير على سبيل المثال إلى أنّ الأفعال في اللغة العربية لها أربع عشرة صيغة بدلاً من ستّ صيغ، ولكلّ الأسماء فيها مذكر ومؤنّث، وتتطابق معها الأفعال والضمائر والصفات. وتتميّز اللغة العربية أيضاً بكثرة المفردات واشتقاق الكلمات، وبقواعدها وفصاحتها وبلاغتها. وهناك رواية نقلها ابن عبّاس عن رسول الله تبيّن أنّ اللغة العربية لغة أهل الجنّة.[١]

لا شكّ في أنّ الله تعالى يختار أفضل لغة لآخر كتاب سماوي يبقى حيّاً ومحفوظاً إلى الأبد، ولدفع أي غموض أو لبس، ينسب إلى ذاته مسألة اختيار هذا اللسان ويصفه بـ«العربي المبين».

نلقي فيما يلي لمحة على بعض هذه الآيات:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[٢]

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[٣]

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًا...﴾.[٤]

﴿...وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.[٥]

---

١. أحبُّ العرب لثلاث: لأنّي عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي. *مجمع البيان*: ٥ ـ ٣١٦/٦.

٢. يوسف: ٢.

٣. الزخرف: ٣.

٤. الرعد: ٣٧.

٥. النحل: ١٠٣.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.[١]

الآيتان الواردتان في سورتي يوسف والزخرف تكشفان عن حقيقة أنّ إكساء القرآن باللغة العربية مُسْنَد إلى الله تعالى، وهو الذي أنزل معنى ومحتوى القرآن بثوب اللفظ العربي ليكون قابلاً للتعقّل والتأمّل. وفي الآية الواردة في سورة الزخرف يقول عزّ مِن قائل، بعد بيان أنّ لغة القرآن هي العربية: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

وفي ذلك دلالة ما على أنّ لألفاظ الكتاب العزيز من جهة تعيّنها بالاستناد إلى الوحي، وكونها عربية، دخلاً في ضبط أسرار الآيات وحقائق المعارف. ولو أنّه أوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بمعناه، وكان اللفظ الحالي له، لفظه هو صلى الله عليه وآله، كما في الأحاديث القدسية مثلاً، أو تُرجم إلى لغة أُخرى، لخفي بعض أسرار آياته البيّنات، عن عقول الناس ولم تنله أيدي تعقّلهم وفهمهم.[٢]

وعلى هذا الأساس يمكن الإتيان بدليل آخر على اختيار اللغة العربية، وهو ثراؤها ومقدرتها العالية على بيان المعاني.

وتحدّثت الآية الواردة في سورة النحل، فيمَن زعموا أنّ هناك شخصاً يعلّم الرسول القرآن:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

والاحتمال القوي أنّ المراد بـ«أعجمي» في الآية، أنّه غير صحيح. قال الراغب الإصفهاني:

الإعجام: الإبهام. والعجم خلاف العرب، والعجمي منسوب إليهم. والأعجم: من في لسانه عجمة، عربياً كان، أو غير عربي.[٣]

---

١. الشعراء: ١٩٥؛ وأيضاً الأحقاف: ١٢؛ طه: ١١٣؛ الزمر: ٢٨؛ فصّلت: ٣.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ١١/٧٥.

٣. *مفردات ألفاظ القرآن*: مادة «عجم»؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢/٣٤٨؛ *مجمع البيان*: ٥ ـ ٦/٥٩٥.

وورد في حديث جاء كجواب عن معنى «لسان عربي مبين»: يبين الألسُنَ ولا تبينهُ الألسُنُ.[1]

ومن هنا يمكن الحكم على السؤال القائل: لماذا كلّ هذا التأكيد على أنّ لغة القرآن هي العربية؟ وهل فقط لأنّه نزل بلغة العرب؟ ويأتي جواب هذا السؤال بالنفي طبعاً؛ لأنّ بداهة هذا الأمر لا تتناسب مع تكرار ذكره إحدى عشرة مرّة في القرآن. والآية الواردة في سورة النحل تركّز على بيان حقيقة أنّ العربية تعني الفصاحة، والوضوح، والخلو من التعقيد والإبهام. وبعبارة أُخرى: إنّ القول بأنّ القرآن عربي يعني أنّه كتاب يبيّن معارف وحقائق راقية بلغة فصيحة وبليغة. وإمعان النظر في الآية ٤٤ من سورة فصّلت: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِي...﴾، والآية ٣٧ من سورة الرعد: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِي وَلَا وَاقٍ﴾. يقوّي هذا الاحتمال أكثر؛ لأنّ الافتراض الذي طرحته الآية وهو لو أنّنا أنزلنا القرآن أعجمياً لقالوا لماذا لم تُفصّل ولم تُبيّن آياته، وهذا يعني أنّ التقابل بين الأعجمي والعربي، يفيد أنّ كلمة العربي تعني كونه فصيحاً. وفي الآية الواردة في سورة الرعد، بما أنّ الحكم في ﴿حُكْمًا عَرَبِيا﴾ يتّصف بصفة العربية، ونظراً إلى ما ورد في ذيل الآية: ﴿بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ لا يمكن القول بوجود معنىً لـ«عربياً» غير كونه واضحاً وصريحاً؛ لأنّ هذا الحكم الواضح والصريح هو الذي يفيد الرسول علماً، ولو أنّ الرسول اتّبع هواه من بعد ما جاءه من العلم، لن يكون له عند الله ولي ولا ناصر.

يتّضح ممّا سبق قوله إنّه نظراً إلى ما تتسم به اللغة العربية، وبعثة الرسول في قوم يتكلمون هذه اللغة، ومن خلال التأمّل في استخدام كلمة «عربي» في الآيات، أنّ نزول القرآن باللغة العربية أمر طبيعي، ولو كان الأمر غير ذلك، لكان موضع شكّ وإشكال.

---

١. *الكافي*: ٦٣٢/٢.

الخلاصة

١. جاء نزول القرآن باللغة العربية استناداً إلى أصل عام وهو ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾.

٢. يرى علماء اللغة أنّ اللغة العربية تمتاز على اللغات الاخرى بأنّها واسعة جدّاً وذات قدرة عالية.

٣. نزول القرآن باللغة العربية له تأثير في بيان حقائقه وأسراره بشكل أفضل.

٤. التأكيد على كونه «عربي» في مقابل «أعجمي» يدلّ على قدرته على بيان المعارف الراقية بفصاحة وبلاغة.

الأسئلة

١. عرّف العلوم القرآنية وبيّن حدودها.

٢. في أي زمن ظهر مصطلح علوم القرآن بمعناه الشائع؟

٣. اذكر عشرة من أسماء وأوصاف القرآن.

٤. بيّن بإيجاز معاني كلمة «القرآن»، واذكر أكثرها مناسبة للحال.

٥. لماذا سُمّي القرآن قرآناً؟

٦. لماذا نزل القرآن باللغة العربية؟

٧. اشرح من خلال مراجعة المصادر، دور الشيعة في المراحل الأُولى من تدوين التفسير وعلوم القرآن.

٨. اذكر وجه تسمية عناوين مثل: الكتاب، الفرقان، المثاني.

٩. اكتب خمس روايات نبوية ورد فيها اسم القرآن.

١٠. بأية لغة نزلت الكتب السماوية الأُخرى؟

١١. نظراً إلى أنّ لغة كلّ أُمّة تمثّل جزءاً من ثقافتها، وهو ما يجعلها تفضّلها على اللغات الأُخرى، كيف يمكن تبرير قبول ونشر «اللغة العربية» من قبل الأُمم الأُخرى؟

الباب الثاني

الوحي

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. معرفة إحدى أعقد وقائع الخلقة وأكثرها أسراراً كمدخل لبحوث تاريخ القرآن.
٢. معرفة مجال استخدام كلمة «الوحي» في القرآن، ومدى اختلاف معانيها.
٣. فهم كيفية ارتباط الله بالأنبياء.
٤. إعطاء صورة عن حالات الرسول الكريم عند تلقّي الوحي.

المصادر المهمّة

الميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ٢٩٢، و ٧٢/١٨ وما بعدها، و ٣٤٢/٢٠؛ *القرآن في الإسلام*: وحي أم شعور خفي؟ مجموعة كلمات ومقالات المؤتمر الثاني لعلوم ومفاهيم القرآن الكريم؛ *بحار الأنوار*: ١٨/ القسم المتعلّق بكيفية صدور الوحي؛ *الاتقان*: ١/ النوع ١٦؛ *مناهل العرفان*: ١؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ١/ حول الوحي والقيادة.

الدرس الأوّل

تعريف الوحي

بما أنّ للقرآن صلة بالوحي لا تنفصم عراها، فقد جعل أكثر من بحثوا في تاريخ القرآن، «الوحي» نقطة البداية لمباحثهم.

أ) المعنى اللغوي

الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك. ووحي إليه وأوحى: كلّمه بكلام يخفيه من غيره.

وقال ابن فارس اللغوي المعروف في القرن الرابع:

كلّ ما ألقيته إلى غيرك حتّى علمه فهو وحي كيف كان.[1]

يشمل هذا المعنى بشكل عام كلّ إلقاء كالإشارة، والصوت، والرؤيا، والإلهام، والهاجس، والتنبيه بالكتابة. وقال البعض: إنّ الوحي يتميّز بالخفاء والسرعة. ويطلق العرب على الموت السريع تسمية: «موتٌ وَحِيٌّ». ولم يكن لهذه الصفة وجود في أصل الاستخدام، وربّما تكون قد طرأت من خلال استخدام العرب لها، واقترنت بقيد السرعة في بعض الحالات. وأمّا الصفة الأخرى، وهي الخفاء، فقد أضيفت له أيضاً؛

---

١. معجم *مقاييس اللغة*: مادة «وحي».

وذلك لأنّ المعتاد هو أن يبقى الإلقاء والإشارة السريعة خافية من غير المشار إليه.[١] وعلى أية حال فرغم تعذّر إنكار استخدام كلمة الوحي فيما يُلقى بخفاء وسرعة، ولكن في الوقت نفسه لا يمكن قبول لزوم التمسّك بهذه الخاصيّة في كلّ استخدامات الكلمة. ففي الاستخدام القرآني هناك حالات تخلو من هاتين الصفتين.[٢]

ب) المعنى الاصطلاحي

الوحي عبارة عن: الرابطة المعنوية التي تحصل للأنبياء عن طريق الاتصال بالغيب لتلقّي الرسالة السماوية. والرسول هو المستلم للرسالة التي تأتيه بواسطة هذا الاتصال (الوحي) من الجهة المرسلة. ولا تتوفر في غيره الأهلية والقدرة على مثل هذا التلقّي أو الاستلام. وهذا ما سنتحدّث عنه في الدري الثالث.

الخلاصة

الوحي في أصله اللغوي يعني: الفهم واستيعاب أي نوع من الإلقاء، كالإشارة، والصوت، والإلهام، والرؤيا، والهاجس، والكتابة. ويتضمّن في بعض استخداماته أن يكون خفية وعلى وجه السرعة.

---

١. *التمهيد في علوم القرآن*: ٣/١.

٢. راجع على سبيل المثال: مريم: ١١.

الدرس الثاني

الوحي في القرآن

أ) الوحي إلى غير الأنبياء

استخدم الوحي في القرآن الكريم فيما يخصّ الملائكة، والشياطين، والإنسان، والحيوان، والأرض.

١. الإلهام الربّاني إلى الملائكة: ﴿إِذْ يوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ...﴾.[١]

٢. الإلهام الربّاني إلى الإنسان: ﴿وَأَوْحَينَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾.[٢]

٣. الإلهام الربّاني إلى الجمادات: ﴿يوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾.[٣]

٤. الوساوس الشيطانية:

أ) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.[٤]

ب) ﴿...وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيوحُونَ إِلَى أَوْلِيائِهِمْ لِيجَادِلُوكُمْ...﴾.[٥]

---

١. الأنفال: ١٢.

٢. القصص: ٧.

٣. الزلزلة:٤ ـ ٥.

٤. الأنعام: ١١٢.

٥. الأنعام: ١٢١.

٥. الإشارة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾.[١]

٦. الغريزة: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾.[٢]

وجاء في رواية عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قسّم فيها الوحي إلى: وحي النُبوّة والرسالة، ووحي الإلهام، ووحي الإشارة، ووحي التقدير، ووحي الأمر، ووحي الكذب (بخصوص الشياطين) ووحي الخبر. واستدلّ على كلّ واحد من هذه المعاني بآية قرآنية أو أكثر.[٣]

ب) الوحي إلى الأنبياء

نتحدّث هنا عن أكثر أنواع الوحي شيوعاً، وهو الوحي إلى الأنبياء. وقد وردت هذه الكلمة واشتقاقاتها ما يقارب سبعين مرّة في القرآن الكريم فيما يخصّ الأنبياء، ولم يأت ما يقابلها في معاني ومواضع أُخرى إلّا نادراً. وفي الوقت الحاضر بات إطلاقها بخصوص الأنبياء أمراً بيّناً.

> وعلى هذا الأساس، فإنّ الأدب الديني في الإسلام يقتضي ألا نستخدم هذا التعبير لغير الأنبياء.[٤]

الوحي ظاهرة لا تستوعبها الأطر الذهنية والعقلية المعروفة لدى بني الإنسان، بل هو ظاهرة خفية تكتنفها الأسرار، وفيها رابطة مع عالم آخر، ليتلقّى الإنسان المصطفى أرفع الرسائل الغيبية بعلم حضوري وشهودي، وهو وحده الذي يدرك كنه وحقيقة الوحي ومعنى تلقّي الوحي. ولا يبقى للآخرين سوى إدراك قبسات من تلك الحقيقة التي تُكشف من خلال آثارها وعلاماتها.

---

١. مريم: ١١.

٢. النحل: ٦٨.

٣. *بحار الأنوار*: ١٨/٢٥٤ ـ ٢٥٥.

٤. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢/٢٩٢.

هذه الظاهرة التي تقع فيما وراء العقل، واحدة من أعلى المقامات التي تميّز الأنبياء عن غيرهم من الناس، ومع تأكيد القرآن على أنّ الأنبياء بشر أيضاً، بيد أنّه بيّن استبعاد واستنكار الكفّار للوحي، بالشكل التالي:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يرِيدُ أَنْ يتَفَضَّلَ عَلَيكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً...﴾.[1]

وبما أنّ قبول هذا الأمر الذي يفوق العقل كان صعباً عليهم، فقد لجؤوا إلى وصف النبي بالجنون:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾.[2]

والمثال الآخر على ذلك قولهم: ﴿...فَقَالُوا أَبَشَرٌ يهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا...﴾.[3]

ومع أنّ القرآن الكريم أكّد أنّ الانبياء كلّهم بشر، ولا فرق بينهم وبين سائر الناس في هذا المجال، إلاّ أنّه صرّح بأنّ الفارق بينهم وبين سائر الناس يكمن في أنّ الأنبياء يتلقّون الوحي:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يوحَى إِلَيَّ﴾.[4]

وعلى هذا الأساس، فإنّ النبي المرسل من الله: ﴿وَمَا ينْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يوحَى﴾.

أقسام الوحي النبوي

يتحقّق الاتصال والارتباط الغيبي بين الأنبياء والباري تعالى، وهو ما نسمّيه

---

١. المؤمنون: ٢٤.

٢. المؤمنون: ٢٥.

٣. التغابن: ٦.

٤. الكهف: ١١٠؛ فصّلت: ٦.

بالوحي، بثلاثة أشكال كما نصّ على ذلك القرآن الكريم:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾.[1]

بيّنت هذه الآية أنّ أقسام التكليم الإلهي مع البشر تنحصر في ثلاث حالات: الحالة الأولى هي الوحي المباشر، والثانية أن يكون الوحي من وراء حجاب، والثالثة أن يرسل الله رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. والحالتان الأخيرتان وهما التكليم المقيّد بوجود حجاب، أو وجود رسول، هما عبارة عن وحي غير مباشر وبالواسطة.

والفارق بين الحالتين الأخيرتين هو أنّ الرسول (المَلَك) هو الذي يُبلغ الوحي، ولكن هناك حجاب أو واسطة يتحقّق من ورائها الوحي،[2] كما هو الحال في شجرة الطور التي سمع النبي موسى عليه السلام كلام الله من ناحيتها، ومع أنّ الآية لا تتضمّن كلمة الوحي التي تعني التكليم بغيرواسطة، غير أنّ الوحي بمعناه العام يشمل هذه الحالة أيضاً.

وفي الآية التالية تتّضح كيفية الايحاء إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...﴾.[3] والروح في الآية هو الروح الأمين الذي ذكرته الآية ١٩٣ من سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

وبناءً على ذلك فإنّ جبرئيل أو الروح الأمين كان هو واسطة إبلاغ الوحي فيما يخصّ كلّ القرآن أو قسماً منه. (القسم الثالث من أقسام التكليم).

الخلاصة

١. الوحي لغير الأنبياء، استخدم فيما يخصّ الملائكة، والشياطين، والإنسان، والحيوان، والأرض.

---

١. الشورى: ٥١.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٧٣/١٨.

٣. الشورى: ٥٢.

٢. يمكن أن تُضم إلى الحالات السابقة مفاهيم مثل الإلهامات الروحانية، والهواجس الشيطانية، والإشارة، والغريزة.

٣. حقيقة الوحي إلى الأنبياء لا تنكشف إلاّ لَهُم؛ لأنّهم وحدهم فقط هم الذين يشهدونه. ويمكن أن نعرّفه ـ في ضوء ما يتمخّض عنه من آثار ـ بأنّه عبارة عن نوع من التكليم السماوي الذي لا يمكن إدراكه عن طريق الحس والعقل ويتطلّب شعوراً خاصاً لا تناله إلّا ثلّة ممّن يصطفيهم الله. وبالنتيجة كانوا يتلقّون الرسالات الغيبية بعلم شهودي.

٤. الوحي بالمعنى المذكور أعلاه هو أكثر الأنواع استخداماً في القرآن الكريم.

٥. أهمّ خاصية تميّز الأنبياء عن غيرهم من الناس هي تلقّي الوحي.

٦. يُقسم الوحي إلى الأنبياء إلى ما يلي: أ) الوحي المباشر ب) الوحي من وراء حجاب ج) الوحي عن طريق إرسال ملك.

٧. كان الوحي القرآني عن طريق القسمين أ و ج فقط.

الدرس الثالث

الوحي المباشر

أصعب أنواع الوحي هو الوحي المباشر؛ أي عندما يريد الرسول أن يتّصل بكلّ كيانه بمبدأ الوجود بلا أية واسطة، ومع أنّ عقولنا لا تستوعب هذه الحقيقة، ولكن يسهل علينا تصديقها فيما إذا أطلعنا على بيان القرآن الكريم والأحاديث الكثيرة الدالّة على ثقل الوحي.[1]

تتّضح عظمة الوحي المباشر عندما نعلم بأنّ النبي الكريم كان ذا روح قوية وقدرة هائلة على التحمّل، ولم يكن بإستطاعة أي كان أن يضع نفسه في دائرة الوحي أو يُدخلها ضمن نطاق هذا الأمر العظيم، بينما كان الوحي ثقيلاً إلى درجة أنّ الرسول كان لا يطيقه إلّا بمشقّة.

إليك فيما يلي مجموعة من الأحاديث التي تشير إلى مدى ثقل الوحي:

١. سُئل النبيﷺ: كيف كان ينزل عليك الوحي؟ قال:

أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّ علي فيفصم عنّي وقد وعيت ما قال، واحياناً يتمثل المَلَكُ رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول.[2]

---

١. ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمل: ٥.

٢. مجمع *البيان*. ٥٧٠/١؛ *بحار الأنوار*: ٢٦٠/١٨؛ صحيح *البخاري*: ٥٨١/١.

٢. قال عبد الله بن عمر: سألت النبي ﷺ: هل تحس بالوحي؟ قال:

أسمع صلاصل ثُمّ أسكت عند ذلك، فما من مرّة يُوحى إلى إلّا أنّ نفسي تُقبض.[1]

روى الشيخ الصدوق في *التوحيد* عن زرارة أنّه قال: قلت لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام: جُعلت فداك الغشية التي تُصيب رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي؟ فقال:

ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذلك إذا تجلّى الله له.[2]

٣. عن عائشة قالت:

وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم وأنّ جبينه ليتفصّد عرقاً.[3]

عبّرت بعض الروايات عن هذه الحالة من الوحي المباشر الذي كان ثقيلاً للغاية عليه، بـ«برحاء الوحي»؛ أي شدّة حرارة الوحي.

وهنا، في ختام هذا الدرس، نورد بعضاً من حالات الوحي المباشر كما جاء في الروايات، نقلاً عن كتاب *تاريخ القرآن* للدكتور محمود راميار:

١. سماع صوت جرس، أو صوت طرق جسمين معدنيين.

٢. اضطراب وحمّى بحيث كانوا يغسلون جسمه بالماء البارد ويغطونه.

٣. الشعور بحرارة عالية في الجو البارد ونضوح العرق من وجهه ورأسه.

٤. احمرار أو ازرقاق وجهه.

٥. الإغماء وفقدان الوعي.

٦. ألم شديد وصداع.

٧. يثقل جسمه أحياناً حتّى أنّ الدابة التي تحمله يتعذّر عليها السير.

---

١. *الاتقان*: ١٤١/١.

٢. *بحار الأنوار*: ٢٥٦/١٨؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٧٩/١٨.

٣. *بحار الأنوار*: ٢٦١/١٨؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٧٩/١٨.

الخلاصة

١. الوحي المباشر أصعب أنواع الوحي الذي كان ينزل على الرسول.

٢. ومن حالات الوحي المباشر أنّ الرسول كان يشعر بالثقل، ويقاسي ألماً شديداً، مع احمرار أو ازرقاق وجهه، واضطراب وحمّى، وسماع أصوات مروّعة، إضافة إلى الإغماء.

الدرس الرابع

الوحي غير المباشر

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾.[1]

كان رسول الله ﷺ يتلقّى الوحي بكلّ روحه وكيانه، ولم يكن للعين والأذن الظاهرية أي دور في هذا الأمر، ولو كان غير ذلك لكان بإمكان الناس الآخرين أيضاً سماع ما يسمع ورؤية ما يرى.

يستفاد من روايات النزول غير المباشر للوحي، بأنّ الأمر في هذه المرحلة لم يكن عسيراً على الرسول؛ إذ كان جبرئيل يتمثّل إليه أحياناً على هيئة بشر، ويجلس بين يديه جلسة العبد بين يدي سيّده.

تكشف هذه الرواية عن عظمة الرسول عند جبرئيل الذي وصفه القرآن الكريم بأنّه شديد القوى. وهذا يعني أن تلقّي الوحي عن طريق جبرئيل لم يكن أمراً عسيراً. وقد صرّح القرآن الكريم بتمثّل جبرئيل للسيّدة مريم على هيئة البشر.[2] وهناك أحاديث بشأن الرسول توضّح هذا المعنى.[3] فقالوا: إنّ جبرئيل كان يتمثّل للرسول على هيئة

---

1. الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤.
2. ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا﴾. مريم: ١٧.
3. *بحار الأنوار*: ٢٦٠/١٨؛ *صحيح البخاري*: ٥٨١/١.

رجل اسمه دحية بن خليفة الكلبي، وكان أجمل شخص في المدينة.[١]

ومع أنّ جبرئيل كان أميناً وحاملاً للوحي الإلهي، غير أنّه كان يأتي بالآيات القرآنية محاطة بحماية وكوكبة تشريفات ويرافقه عدد من الملائكة:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.[٢]

الخلاصة

١. الوحي غير المباشر يخلو من الشدّة والثقل اللذين يتّصف بهما الوحي المباشر.

٢. تفيد الآيات ١٩٢ إلى ١٩٤ من سورة الشعراء أنّ الرسول كان بسبب نزول الآيات على قلبه من قبل جبرئيل، يتلقّى الوحي بكل وجوده، ولم يكن للعين والأذن الظاهريّتين أي دخل في تلقّي الوحي.

٣. كان الوحي يتمثّل للرسول أحياناً على هيئة إنسان.[٣]

---

١. *التمهيد في علوم القرآن*: ١/٣٦.

٢. عبس: ١١ ـ ١٦.

٣. للاطّلاع على معنى التمثّل راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ١٤/٣٦.

الأسئلة

١. عرّف الوحي.

٢. لماذا لا نستطيع إدراك حقيقة الوحي الذي يتلقّاه الأنبياء؟

٣. اذكر أربعة موارد من استخدامات كلمة الوحي في القرآن الكريم، مع بيان مفهوم كلّ واحد منها.

٤. بيّن آية قرآنية ورد فيها ذكر أقسام الوحي للأنبياء، مع الشرح.

٥. ماذا تعرف عن الوحي المباشر؟وضّح ذلك.

٦. يعتقد البعض أنّ ظاهرة الوحي ناتجة عن نبوغ الأنبياء. فهل هذا الرأي صحيح؟ ولماذا؟

٧. هل هناك بين العقل والوحي، توافق أو تعارض؟ أو أنّ هذين الموضوعين غريبان عن بعضهما الآخر؟

٨. قال بعض المفسّرين في ضوء ما فهموه من الآيات الأُولى من سورة النجم: إنّ جبرئيل نزل على الرسول بشكله الحقيقي مرّتين. فهل هذا الكلام صحيح؟

٩. من هو دحية بن خليفة الكلبي؟

الباب الثالث

نزول القرآن

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. دراسة عامّة في نزول القرآن.

٢. بيان أسرار النزول التدريجي.

٣. الإطلاع على تقسيم القرآن إلى سُوَر وآيات، وعدد سوره وآياته وكلماته.

٤. معرفة أوّل وآخر ما نزل من السُوَر

٥. لمحة على المعايير المتّخذة في تعيين السُوَر المكّية والمدنية، وفوائد ومزايا كلّ واحدة منها، والاطّلاع على ترتيب السُوَر.

المصادر المهمّة

بحار الأنوار؛ *الإتقان في علوم القرآن*؛ *التمهيد في علوم القرآن*؛ *تاريخ القرآن* لأبي عبد الله الزنجاني؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٢؛ *المعجم الإحصائي للقرآن الكريم*؛ *مناهل العرفان في علوم القرآن*.

الدرس الأوّل

نزول القرآن

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.[1]

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيلَةٍ مُبَارَكَةٍ...﴾.[2]

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيلَةِ الْقَدْرِ﴾.[3]

يفهم من هذه الآيات الثلاثة بكلّ جلاء أنّ القرآن نزل في شهر رمضان، في ليلة القدر المباركة، ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذه الحقيقة وبين القول بأنّ القرآن نزل على الرسول على مدى ٢٣ سنة؟

هنالك احتمال بأن تكون للقرآن صور متعددة من النزول؛ لأنّ الكثير من الروايات لدى الشيعة وأهل السنّة تؤيّد هذا المعنى.

قال جلال الدين السيوطي:

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: وهو الأصحّ والأشهر: إنّه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة

---

١. البقرة: ١٨٥.

٢. الدخان: ٣.

٣. القدر: ١.

واحدة، ثُمّ نزل بعد ذلك منجّماً في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدّة إقامتهﷺ بمكّة بعد البعثة.

جاء عن ابن عبّاس أنّه قال: أُنزل القرآن جملة واحدة حتّى وضع في بيت العزّة في السماء الدنيا، ونزّله جبرئيل على محمدﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم.

القول الثاني: إنّه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، في كلّ ليلة ما يقدر الله انزاله في كلّ السنة، ثُمّ نزل بعد ذلك منجّماً في جميع السنة.

القول الثالث: إنّه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر، ثُمّ نزل بعد ذلك منجّماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.[1]

تحدّثت بعض الروايات عن نزول القرآن إلى البيت المعمور، وقال بعضها: إنّ البيت المعمور في السماء الرابعة،[2] ولكن من غير الواضح لدينا ما حقيقة السماء الدنيا أو السماء الرابعة، وما حقيقة بيت العزّة أو البيت المعمور. والشيء الوحيد الذي نفهمه من هذه الروايات هو أنّ هنالك موضعاً اسمه السماء الدنيا أو السماء الرابعة والبيت المعمور، وقد نزل فيها القرآن ليلة القدر.

للعلّامة السيّد محمد حسين الطباطبائي رأي آخر في هذا الموضوع، خلاصته كما يلي:

الذي يعطيه التدبّر في آيات الكتاب أمر آخر، فإنّ الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه، إنّما عبّرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدّال على الدفّعة دون التنزيل... واعتبار الدفعة أمّا بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منه... وأمّا لكون الكتاب ذا حقيقة أُخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقضي فيه بالتفرّق والتفصيل والانبساط والتدريج. وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿...كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود ١)، فإنّ هذا الأحكام مقابل التفصيل، والتفصيل

---

١. *الإتقان في علوم القرآن*: ١٢٩/١ ـ ١٣١.

٢. *الكافي*: ٦٢٩/٢؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٦/٢ ـ ١٨.

هو جعله فصلاً فصلاً وقطعة قطعة. وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ * هَلْ ينْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ...﴾(الاعراف ٥٢ ـ ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يدَيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ... إلى قوله ...وَلَمَّا يأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾ (يونس ٣٧ ـ ٣٩)، فإنّ الآيات الشريفة ظاهرة الدلالة على أنّ التفصيل أمر طار على الكتاب وفيها إشعار بانّ أصل الكتاب، تأويل تفصيل الكتاب. وأوضح منه قوله تعالى: ﴿حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِي حَكِيمٌ﴾.[1] فإنّه ظاهر في أنّ هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروّاً عربيّاً، وإنّما البس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس، وإلّا فإنّه ـ وهو في أم الكتاب ـ عند الله، عليّ لا تصعد اليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل. وفي الآية تعريف للكتاب المبين وأنّه اصل القرآن العربي المبين ... ثُمّ إنّ كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين ـ ونحن نسمّيه بحقيقة الكتاب ـ بمنزلة اللباس من المتلبس وبمنزلة المثال من الحقيقة هو المصحّح لئن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب كما في قوله تعالى:﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.[2]

ويرى العلّامة أيضاً أنّ الآية: ﴿...وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يقْضَى إِلَيكَ وَحْيهُ..﴾،[3] والآية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَينَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.[4] ظاهرة المعنى في أنّ رسول الله ﷺ كان له علم بما سينزل عليه فنُهي عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي.[5]

النزول التدريجي

ما ذكرناه حتّى الآن يتعلّق بنزول القرآن جملة واحدة في شهر رمضان. أمّا فيما

---

١. الزخرف: ١ ـ ٤.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٦/٢ ـ ١٨؛ *تاريخ القرآن*، الزنجاني: ٦٩.

٣. طه: ١١٤.

٤. القيامة: ١٦ ـ ١٧.

٥. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٨/٢.

يتعلّق بنزوله التدريجي، فبغض النظر عن كونه أمراً بديهياً وقطعياً من الناحية التاريخية، حيث نزلت الآيات في مجالات ومناسبات مختلفة، هناك آيات قرآنية تبيّن أيضاً النزول التدريجي للقرآن:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.[١]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً...﴾.[٢]

الذي يتّضح من هذه الآيات أنّ القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وهذا ممّا أثار اعتراض الكفّار.

وعند المقارنة بين الطائفتين من الآيات: أي الآيات التي تتحدّث عن نزول القرآن جملة في شهر رمضان، والآيات التي تتحدّث عن نزوله تدريجياً، يتّضح عدم وجود أي تعارض بينهما، بل تتحدّث كلّ طائفة منهما عن نوع من نزول القرآن.

وحسب مقتضيات الشؤون اليومية الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو الأحداث والوقائع كقضايا الحرب والصلح، كان حكم كلّ حادثة ينزل مع نزول القرآن تدريجياً، ولم يكن ثمّة معنىً لنزول القرآن دفعة واحدة. وعندما تكون حقيقة القرآن موضع بحث، يتجلّى عند ذاك أنّه نزل دفعة واحدة.

أسرار النزول التدريجي

لماذا نزل القرآن تدريجياً؟ لقد اعترض الكفّار على هذا النزول التدريجي. ولعلّ السبب الكامن وراء ذلك الاعتراض هو أنّ الكتاب السماوي الذي يراد به هداية الناس، يجب أن تكون بدايته ونهايته معروفتين، ويجب أن يقدّم للناس أحكاماً مدوّنة، أي أن تكون جميع أُصوله وفروعه، وقوانينه وأحكامه مثبتة.

---

١. الإسراء: ١٠٦.

٢. الفرقان: ٣٢.

ولكن ما الداعي إلى وجود هذه الفواصل الزمنية في نزول الآيات؟ ولا بدّ من الإشارة إلى وجود حكمة أو حِكَم متعددة في تدرّج نزول القرآن، منها:

١ـ رد القرآن على اعتراض الكفّار الذين قالوا: ﴿...لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً...﴾ قائلاً: ﴿...كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾.[١]

كان النزول التدريجي للآيات ـ خاصّة في الأزمات وفي المواقف العصيبة والمعارك والشدائد ـ أفضل وسيلة لمواساة الرسول وتثبيت فؤاده وشدّ عزيمته. ولا شكّ في أنّ الآيات التي كانت تحثّه على الصبر والثبات، لو كانت قد نزلت دفعة واحدة، لما كان لها مثل تأثير الآيات أثناء الخطر والمجابهة، فعندما كانت كلمات الكفرة تُسيء إلى الرسول وتجرح مشاعره، كانت تنزل عليه آية وتقول له: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.[٢]

وعندما كان الرسول يواجه بالتكذيب من قبل بعض الناس، كان الباري تعالى يسلّي فؤاده بآية: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...﴾.[٣]

كان تكرار نزول مثل هذه الآيات يبعث الطمأنينة في قلب الرسول. ومن الطبيعي أنّ هذه الحالة من تثبيت القلوب وتقوية العزائم كانت تحصل للمسلمين بطريق أولى. وكان النزول التدريجي والمتتابع للآيات يخلق لديهم اطمئناناً وسكينة.

٢. ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ...﴾.[٤]

من الطبيعي أنّ المعارف الإسلامية، وخاصّة ما يتعلّق منها بعمل الإنسان ويبيّن له القوانين الفردية والاجتماعية الموجبة لسعادته في الدنيا، تكتسب مزيداً من الثبات والدوام فيما إذا اتبعت الأسلوب التدريجي. لقد كان أفضل مناهج التعليم وأكمل أساليب التربية،

---

١. الفرقان: ٣٢.

٢. يس: ٧٦.

٣. الأنعام: ٣٤.

٤. الإسراء: ١٠٦.

هو ما نـزل مـن المعـارف الدينيـة بـشكل تـدريجي بحيـث يتيح للنـاس ان ينظّمـوا شـؤون حياتهم الفردية والاجتماعية وفقاً له، ويصلوا من خلال ذلك إلى مرحلة الكمال.

٣. يمكن اعتبار أحد أسرار النزول التدريجي للقرآن عدم تحريفه، وقد أتاح نزوله التدريجي الفرصة للصحابة لكي يحفظوا آياته بسهولة، فعندما اقترن النزول التـدريجي للقرآن مع فصاحته وبلاغته من جهة، ومع اهتمام المسلمين به وإقبالهم عليـه مـن جهـة أُخرى، غدا الحفاظ على الوحي الإلهي أمراً قطعياً.

٤. كان نزول الكثير من الآيات على صلة وتـرابط تـام مع وقـائع ومجريـات زمـن الرسولﷺ، وبما أنّ هذه الحوادث كانت تقع بشكل تـدريجي، فقـد كانـت الآيـات تنزل أيضاً بالتزامن معها أو تبعاً لها، وكانت هـذه الحـوادث والوقـائع التـي تـؤدّي إلـى نزول الآيات تُسمّى بـ «سبب النزول» أو «شأن النزول».

الخلاصة

١. كان نزول القرآن على شكلين: جملة وتدريجياً. والآيات التي تـشير إلـى نزولـه في شهر رمضان تبيّن أنّه نزل جملة واحدة.

٢. تنصّ بعض الأحاديث على أنّ نزوله جملة واحدة كان إلى بيت العزّة والـسماء الدنيا، أو إلى البيت المعمور والسماء الرابعة.

٣. يعتقد العلّامة الطباطبائي أنّ نزوله جملة كـان علـى قلـب الرسـول؛ لأنّ الآيتـين ١١٤ من سورة طه، و ١٩ من سورة القيامة، تدلان على أنّ الرسول كـان أثنـاء النـزول التـدريجي على معرفة بما ينزل عليه، ولهذا السبب نُهي عن قراءة القرآن قبل إتمام نزول آياته عليه.

٤. بعـض أسـرار النـزول التـدريجي عبـارة عـن: تثبيـت وتقويـة عزيمـة الرسـول والمسلمين، التدرّج في تشريع القوانين والأحكام، عدم تحريف القرآن، سـهولة تعلّـم الأحكام وحفظ القرآن، ومماشاة وقائع عصر الرسول.

الدرس الثاني
أسباب النزول

أ) تعريف أسباب النزول

بيّنا في الدرس السابق أنّ آيات القرآن نزلت تدريجياً وفي مدّة طويلة نسبياً. ونبحث في هذا الدرس واحدة من القضايا المهمّة التي لها علاقة تامّة بتدرّج نزول القرآن، وتسمّى بـ«سبب النزول».

تقسم آيات وسُوَر القرآن الكريم بشكل عام من حيث أسباب نزولها، إلى مجموعتين:

الأولى: الآيات التي نزلت من غير سبب خاصّ، وإنّما نزلت لإرشاد وهداية عامّة الناس. وتعتبر هذه المجموعة ذات «سبب نزول عام».

الثانية: الآيات التي نزلت لسبب خاصّ، فالكثير من الآيات والسُوَر نزلت بناءً على حوادث وقضايا حصلت طيلة مدّة بعثة الرسول، أو استجابة لأمر سُئِل عنه. وكانت في الحقيقة تتوفر الأجواء لنزول آية أو آيات أو ربّما سورة كاملة. وهذه الظروف والأجواء تُسَمّى بـ«سبب نزول خاصّ».[1]

---

١. شأن النزول اصطلاح يُطلق على الوقائع التي سبقت عهد الرسولﷺ، ممّا تحدّث عنه القرآن، كقصة هجوم إبرهة، وقصص الأنبياء وأخبار السالفين.

نذكر على سبيل المثال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ﴾[١] أو ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾[٢] أو ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ...﴾،[٣] من الواضح أنّ لمعرفة سبب نزول آيات المجموعة الثانية، تأثير بارز في فهم المراد منها، ولهذا السبب حرص علماء الدراسات القرآنية والمحدّثون حرصاً جاداً على جمع أسباب النزول وتأليف كتب مستقلة لها. ويرى جلال الدين السيوطي أنّ أقدم كتاب أُلّف في هذا المجال هو كتاب علي بن المديني، أُستاذ البخاري، وألّف هو نفسه (السيوطي) كتاباً اسمه أسباب النزول.[٤]

ب) فوائد معرفة أسباب النزول

أوّلاً: معرفة فلسفة الأحكام.

ثانياً: معرفة الآيات المكّية، والآيات المدنية.

ثالثاً: الفهم الدقيق لمعاني الآيات، فمن الطبيعي أنّ معنى الكلام يختلف تبعاً لاختلاف الموقف الذي يقال فيه. ومن اللازم فهم الجوانب الخارجية والقرائن الأخرى، لغرض فهم الكلام بالشكل الصحيح. فإذا أردنا معرفة هل المراد من الكلام الاستفهام، أو التوبيخ، أو اللوم، أو التأكيد، أو الاستهزاء، فذلك يتوقّف على كيفية إلقائه، وعلى الأمارات والقرائن الأخرى الدالّة عليه. ومعرفة سبب النزول ضرورية لمعرفة معنى وكلام الله، كضرورة القرائن الأُخرى والأمارات.

رابعاً: معرفة دائرة شمول الحكم. فمعرفة الآية أو الحكم يزيل وهم حصرها؛ إذ إنّ معرفة سبب النزول يدفع مثل هذا الوهم.

---

١. الكهف: ٨٣

٢. الإسراء: ٨٥

٣. النازعات: ٤٢.

٤. للاطّلاع على مزيد من المعلومات حول أسباب النزول، *الإتقان*: ٩/١؛ السيوطي، *أسباب النزول*؛ الواحدي النيسابوري، *أسباب النزول*.

خامساً: يتعذّر أساساً تفسير بعض الآيات من غير الوقوف على قصّة نزولها.

ويمكن في الحقيقة اعتبار هذه الفائدة خلاصة ونتيجة للفوائد الأخرى. نورد فيما يلي مثلاً للآيات التي تؤثّر معرفة شأن نزولها تأثيراً حاسماً في معرفة معناها:

تنصّ الآية ١١٥ من سورة البقرة على ما يلي: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾.

فإنّا لو تُركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أنّ المصلّي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلمّا عرف سبب نزولها، علم أنّها في نافلة السفر.[1]

وعلى هذا المنوال يتّضح أنّ معرفة ظروف نزول الآيات أو السُوَر القرآنية، لها تأثير حاسم في كيفية فهمها وإزالة الغموض عن بعضها.

ج) عمومية اللفظ أم خصوصية السبب؟

سار المفسّرون على خُطى علماء الأصول فيما يخصّ الأحاديث التي تبيّن سبب نزول خاصّ للآيات، وقالوا: إنّ المهمّ هو النصّ القرآني الذي يحمل معنىً عاماً وشمولياً. فإن كان للآية معنى عام، فهي لا تنحصر في إطار الأفراد المعنيين، بل تشمل الجميع حتّى وإن كان هناك سبب خاص لنزولها.

يقول السيوطي:

> هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ والأصحّ عندنا الأوّل. وقد نزلت آيات في أسباب، واتفقوا تعديتها إلى غير أسبابها شأن هلال بن أُميّة.[2]

أساساً لو اعتبرنا مفاد الآيات خاصاً بسبب نزولها، لفقدت الكثير من آيات القرآن تطبيقاتها، ولغدا القرآن كتاباً للماضين ولا يحمل أية رسالة للآتين، ومن الطبيعي أنّ

---

١. *الإتقان*: ٩٤/١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٦٢/١.

٢. *الإتقان*: ٩٥/١.

أي مسلم لا يقبل بمثل هـذا الاعتقـاد، فالآيـات المتعلّقـة بالـسرقة، والقـذف، واللعـان، والظهار، وبناء مسجد ضرار، وعشرات الآيـات الأُخـرى التـي كـان لكـلّ واحـدة منهـا سبب نزول خاص، تبيّن أحكاماً عامّة وشـمولية، مـثلاً إذا كانـت الآيـة قـد عيّنـت حـد السرقة بقطع اليد، فهذا الحكم لا يطبّق فقط على الحالة التي كانت سـبباً لنـزول الآيـة، وإنّما حكمها عام ويسري على كلّ الحالات المشابهة لذلك السبب الخاصّ.

وحكم الآية التي نزلت في شخص أو اشخاص معيّنين، لا تنحصر في حالة نزولهـا فقط، بل تنطبق على جميع الحالات التي تشترك في صفاتها وخصائصها مع حالة نزول الآية. وهذا هو ما يُسمى في عرف الروايات بـ«الجَرْي» و«الانطباق».

ومفهوم هذا الكلام هو أنّ أحكام القرآن لا تختصّ بزمـان معيّن أو اشـخاص معيّنـين، بل تنطبق على جميع الأزمنة وعلى جميع الحالات المشابهة، بحيـث يمكـن اعتبـار الـسبب الخاصّ مجرّد ذريعة لنزول الحكم الإلهي، وهو حكم عام وشامل. نذكر مثلاً الآية التالية:

﴿يسْأَلُونَكَ مَاذَا ينْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيرٍ فَلِلْوَالِدَينِ وَالْأَقْـرَبِينَ وَالْيتَـامَى وَالْمَـسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١]

في الآية الشريفة سؤال عمّا يريدون انفاقه، ولكن جاء الجواب عن موارد الإنفـاق الخمسة التي بيّنها القرآن بشكل عام. وبعبارة أُخرى طرح السؤال لتعيين أشياء للإنفاق، بينما جاء الجواب في شأن من ينبغي الإنفاق عليهم.

نشير في ختام هذا البحث إلى أنّ المفسّرين ومن كتبوا في أسـباب النـزول، قـالوا: بأنّ أسباب النزول متعددة أحياناً، إلاّ أنّ النـزول واحـد، وأحيانـاً يكـون الـسبب واحـداً وتتعدد الآيات النازلة فيه.[٢]

---

١. البقرة: ٢١٥.

٢. للاطّلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجـال، *راجـع: مناهـل العرفـان:* ١/١١٦ ـ ١٢٣؛ *مـوجز علوم القرآن:* ١٣٠ ـ ١٣١.

د) مدى اعتبار أحاديث أسباب النزول

قال الواحدي:

> لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلّا بالرواية والسماع ممّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.[١]

وكلّ من بحثوا في أحاديث أسباب النزول، استندوا إلى قول الواحدي الذي يتفوّق على غيره في هذا المجال، إلّا أنّ هذه الأحاديث التي نُقل أكثرها عن طريق أهل السنّة، غالباً ضعيفة وغير مسندة.

المشكلة الأُخرى في أحاديث أسباب النزول وجود اختلافات كثيرة دفعت بأمثال جلال الدين السيوطي الى محاولة حل هذه المشكلة والدفاع عن اعتبار الروايات. فقال:

> كثيراً ما يذكر المفسّرون لنزول الآية أسباباً متعددة وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة: فإن عبر أحدهم بقوله: نزلت في كذا، والآخر: نزلت في كذا وذكر امرأ آخر فقد تقدّم أنّ هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قوليهما... وإن عَبَّر واحد بقوله: نزلت في كذا، وصَرَّح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد وذاك استنباط... وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فهو الصحيح المعتمد... الحال الرابع أن يستوي الإسنادان في الصحّة فيُرجّح أحدهما بكون راويه حاضر القصّة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات... الحال الخامس أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة، بأنّ تكون معلومة التباعد فيحمل على ذلك... الحال السادس: ألّا يمكن ذلك فيحمل على تعدّد النزول وتكرّره... .[٢]

إنّ التأمل في بعض التوجيهات التي يوردها السيوطي، يظهر عدم وجود أساس لها. والأدلّة التي تثير الشكّ في حجّية هذه الأحاديث هي:

---

١. *أسباب نزول القرآن*: ١٠.

٢. *الإتقان في علوم القرآن*: ١/١٠١ ـ ١٠٦.

أوّلاً: يظهر من سياق الكثير منها أنّ الراوي لم يدرك العلاقة بين نزول الآية بخصوص حادثة معيّنة، مشافهة وتحمّلاً وحفظاً، بل ينقل القصّة، ثُمّ يورد ما يناسبها من الآيات ويربطها معها، وبالنتيجة يكون سبب النزول نظرياً واجتهادياً، وليس عن طريق المشاهدة والضبط، والدليل على ذلك كثرة التناقضات التي تتخلل هذه الروايات؛ إذ ورد في ذيل الكثير من الآيات عدّة أسباب لنزولها ينقض أحدها الآخر، ولا يمكن التوفيق بينها، حتّى أنّه نُقل عن شخص كابن عبّاس عدّة أسباب نزول لآية واحدة.

هنالك احتمالان لا ثالث لهما فيما يخصّ وجود هذه الأسباب المتناقضة لنزول الآيات: أمّا يجب القول: إنّ أسباب النزول هذه نظرية وليست نقلية محضة. وأمّا يجب القول: إنّ جميع هذه الروايات أو بعضها موضوعة، وعند طرح مثل هذا الاحتمال تفقد روايات أسباب النزول اعتبارها، ولا يُغنيها شيء حتّى صحّة سندها؛ لأنّ احتمال الدس أو الرأي الشخصي يبقى قائماً.

ثانياً: من الثابت أنّ تدوين الحديث مُنع في صدر الإسلام، وبقي هذا المنع قائماً إلى نهاية القرن الأوّل تقريباً. وهذه الحالة فتحت أمام المحدّثين والرواة باب النقل بالمعنى بأكثر ممّا تستدعيه الضرورة، فتراكمت التغييرات القليلة التي تحصل في كلّ مرحلة من مراحل النقل، حتّى كان أصل الموضوع يضيع أحياناً، وأنّ المرء يواجه أحياناً روايات لا يجمعها أي وجه مشترك مع القصّة التي يشرحونها.[1]

ويمكن تلخيص أهمّ مشكلات أحاديث أسباب النزول في اجتهاد الرواة، ونقلهم بالمعنى، والوضع والتحريف، ووجود أحاديث متناقضة.

فما الحل، وكيف يمكن التوفيق بين ما ذكرناه من فوائد أسباب النزول، وواقع

---

١. للاطّلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال راجع ما أورده العلامة الطباطبائي في *تفسير الميزان في تفسير القرآن* من آراء في هذا المجال.

وجود روايات موضوعة أو ظنّية أو اجتهادية؟ الحقّ هو أنّ الحديث أو الخبر إذا كان متواتراً أو قطعياً لكان ينبغي الأخذ بمفادّه، وإلّا فنعرضه على الآية موضع البحث، فإذا كان هناك انسجام بين الآية وما حولها من القرائن، وبين مفاد الحديث، عند ذاك يمكن الوثوق بذلك، الحديث الذي اعتبر سبباً لنزول الآية، ومع أنّ هذه الطريقة يترتّب عليها إسقاط اعتبار الكثير من أحاديث النزول، إلّا أنّ المتبقّى منها يغدو معتبراً ويمكن الوثوق به.

الخلاصة

١. نزلت الكثير من آيات القرآن على أثر ظروف ووقائع معيّنة، أو نتيجة لتساؤلات الناس، وتُسمّى هذه العوامل بـ«سبب نزول» الآية.

٢. معرفة أسباب النزول تؤدّي إلى معرفة فلسفة تشريع الأحكام في القرآن، والفهم الأفضل لمقاصد الآيات التي يقترن فهمها بقرائن خارجية.

٣. السبب الخاصّ لنزول الآية لا يقيّد مفادّها العام بتلك الحالة الخاصّة.

٤. نظراً إلى كثرة الاختلاف بين أحاديث أسباب النزول، هنالك قرائن تدلّ على احتمال تدخل الآراء الاجتهادية للرواة، أو وضع الأحاديث. وبالنتيجة فهناك شكوك حول اعتبار الكثير من هذه الاحاديث.

الدرس الثالث

الآية والسورة في القرآن

يتألّف القرآن من ١١٤ سورة، وتحتوي كلّ سورة على عدد من الآيات، نتناول في هذا الفصل دراسة معاني الآية والسورة، وأسماء وتقسيمات السُوَر القرآنية، وعدد آيات وكلمات القرآن.

أ) الآية في القرآن

١. معنى الآية[١] واستخدامها

الآية في اللغة هي العلامة والدلالة الواضحة والصريحة، قال ابن فارس: الآية، العلامة.[٢] وقال الراغب: الآية هي العلامة الظاهرة.[٣]

وفي الاستخدام القرآني، استُخدِم هذا المعنى اللغوي مع مراعاة بعض الجوانب والحيثيات.

أوّلاً: العلامة الظاهرة: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً...﴾.[٤]

---

١. *مناهل العرفان:* ٣٣٨/١ ـ ٣٩١.

٢. *معجم مقاييس اللغة.*

٣. *مفردات ألفاظ القرآن.*

٤. مريم: ١٠؛ آل عمران: ٤١.

ثانياً: المعجزة الباهرة: ﴿...أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾.[١]

ثالثاً: الدليل والبيّنة: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ...﴾.[٢]

رابعاً: العِبرة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ...﴾.[٣]

خامساً: مقطع من السورة: وهذا هو المعنى الاصطلاحي للآية، وأصله قرآني، وقد استخدم بهذا المعنى في مواضع متعددة: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.[٤]

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ...﴾.[٥]

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.[٦]

﴿...وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾.[٧]

في الحالات السابقة أُطلق لفظ الآية على كلمة أو كلمات من القرآن مفصولة عمّا قبلها وما بعدها، وتقع ضمن سورة.

٢. أوّل الآيات وآخرها

أوّلاً: أوّل الآيات

معرفة أوّل آية وسورة نزلت مفيدة لمتتبعي سَير نزول الآيات، وكذلك الآيات المتعلّقة بكل، موضوع من حيث التقدّم والتأخّر الزمني، وإضافة إلى ذلك يجب أن

---

١. آل عمران: ٤٩؛ البقرة: ٢١١. ﴿...سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾.

٢. البقرة: ١٤٥.

٣. هود: ١٠٣؛ يونس: ٩٢؛ طه: ١٢٨.

٤. فصّلت: ٣.

٥. الرعد: ١؛ يوسف: ١. ﴿...تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

٦. يونس: ١.

٧. الأنفال: ٢.

تكون جميع آفاق القرآن واضحة، ولا يبقى ثمة أمر غامضٌ في أي موضع منه، ولهذا السبب أُتُّبعت الدقّة البالغة حتّى في الأُمور الجزئية المتعلّقة بالقرآن.

في مجال أوائل ما نزل من الآيات يرى الباحثون والمتخصصون في علوم القرآن إنّ الآيات الخمسة الأوائل من سورة العلق قد نزلت في بداية بعثة الرسول. وهناك روايات تؤيّد هذا الرأي. فقد نقل عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال:

أوّل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك....[1]

ثانياً: آخر الآيات

هناك تباين شاسع في الآراء حول آخر آية نزلت، فقد نقل الزرقاني في *مناهل العرفان* عشرة أقوال في هذا المجال،[2] إليك فيما يلي بعضاً منها:

١.آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾.[3] (نقلاً عن ابن عبّاس وأبي حاتم).

٢. آية الربا: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[4] (نقلاً عن ابن عبّاس وابن عمر).

٣. آية الدين: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾.[5]

قال السيوطي:

لا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا (واتقوا يوماً) وآية الدين؛ لأنّ الظاهر أنّها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنّها في قصّة واحدة، فأخبر كلّ عن بعض ما نزل بأنّه آخر، وذلك صحيح.[6]

---

١. *التمهيد في علوم القرآن*: ١/١٢٤؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٠/٣٧٨.

٢. *مناهل العرفان*: ١/٩٧ ـ ١٠٠.

٣. البقرة: ٢٨١.

٤. البقرة: ٢٧٨. والآيتان اللتان بعدها (٢٧٩ و ٢٨٠) مترابطتان معها ترابطاً تاماً، ولا بدّ أنّهما نزلتا معها.

٥. البقرة: ٢٨٢.

٦. *الاتقان في علوم القرآن*: ١/٨٧.

واعتبر الزرقاني في *مناهل العرفان*: إنّ الآية ۲۸۱ من سورة البقرة، آخر ما نزل من القرآن الكريم وذلك لسببين: أحدهما ما تحمله هذه الآية في طياتها من إشارة إلى ختام الوحي والدِّين بسبب ما تحثّ عليه من الاستعداد ليوم المعاد... وثانيهما التنصيص في رواية ابن أبي حاتم على أنّ النبيﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ولم تظفر الآيات الأخرى بنصّ مثله.[۱]

٤. آية: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.[۲]

قال ابن واضح اليعقوبي:

> آخر ما نزل هي هذه الآية، وكان نزولها يوم النصّ على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب بغدير خم.

وقد رجّح صاحب كتاب *التمهيد* رأي اليعقوبي قائلاً:

> لأنّها آية الإعلام بكمال الدين؛ فكانت إنذاراً بانتهاء الوحي عليه. فلَعلَّ تلك الآية كانت آخر آيات الأحكام، وهذه آخرآيات الوحي إطلاقاً.[۳]

۳. عدد آيات وكلمات القرآن

أوّلاً: عدد الآيات

عدد سُوَر القرآن الكريم ١١٤ سورة بالإجماع. أمّا عدد الآيات فهناك اختلاف فيه، وهذا الاختلاف لا بمعنى الزيادة والنقصان فيها، بل بسبب تعيين الفواصل بين الآيات وكيفية حسابهم لها، وقالوا: إنّ سبب الاختلاف في عددها أنّ النبيﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلم محلّها وصل للتمام، فيحسب السامع

---

١. *مناهل العرفان*: ٩٧/١ ـ ٩٨.

٢. المائدة: ٣.

٣. *التمهيد في علوم القرآن*: ١٢٨/١ ـ ١٢٩.

حينذاك أنّها ليست فاصلة.[1] والسبب الآخر هو اختلاف أذواق وآراء القرّاء في الآيات التي يمكن فصلها إلى آيتين. وهذا الاختلاف مجرّد اختلاف شكلي وظاهري ولا يتجاوز الأعداد، وليس ثمة اختلاف في أصل آيات وكلمات القرآن.

كان لكلّ واحد من القرّاء في الحواضر الاسلامية الكبرى رأيه ومذهبه في عدد الآيات، حتّى بلغ عدد الآراء عدد تلك الحواضر، نذكر على سبيل المثال أنّه عندما يُقال: عدد أهل مكّة، فهو يعني عدد آيات القرآن عندهم ممّا نُسب إلى واحد أو أكثر من مشاهير قُرّائهم.

الذين قالوا: إنّ عدد آيات القرآن ٦٢٣٦ آية، رجّحوا العدد الكوفي على سائر الأعداد. وهذا العدد منسوب إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي، وخلف بن هشام. وقال حمزة بن حبيب:

> إنّه نقل هذا العدد عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السُلَمي، عن علي بن ابي طالب عليه السلام.[2]

ثانيا: عدد كلمات القرآن

هنالك اختلاف في الآراء أيضاً بين المفسّرين وأصحاب المعاجم في عدد كلمات القرآن، وهذا الاختلاف ناتج عن كيفية حسابهم لكلمات القرآن، ليس إلّا.

وقد زالت كلّ هذه الاختلافات بفضل همّة الدكتور محمود الروحاني وتدوينه لكتاب *المعجم الاحصائي للقرآن الكريم* حيث أنجز هذا العمل بدقّة متناهية، وصار هذا الكتاب في الوقت الحاضر أدّق معجم لإحصاء كلمات ومفردات القرآن.

تمَّ إحصاء كلمات القرآن في هذا المعجم على طريقتين مختلفتين:

١. الإحصاء المباشر (إحصاء الكلمات).

---

١. *الاتقان*: ٢١/١، النوع ١٩؛ موجز *علوم القرآن*: ١٨١.

٢. *الاتقان*: ٢١١/١.

٢. الإحصاء غير المباشر (إحصاء الكلمات المشتقّة وغير المشتقّة).

وهكذا يتّضح من خلال مقارنة الطريقتين السابقتين، وتطابق نتائجها، بأنّ الثقة الحاصلة من هذا الإحصاء، تحظى باعتبار علمي كافٍ، وهي كالتالي:

سورة	١١٤
آية	٦٢٣٦
كلمة	٧٧٨٠٧

وقد أشار المؤلّف في معجمه هذا إلى عدّة ملاحظات في كيفية إحصائه للآيات والكلمات، ويبيّن أنّ الرغبة في مسايرة سائر المعاجم جعلته يحتسب آية «البسملة» في سورة الفاتحة فقط.

وانطلاقاً من القيمة العلمية والعملية للمعجم الإحصائي للقرآن الكريم، حيث جمع فيه إحصاء آيات وكلمات القرآن من مصادر مختلفة، وقارن بينها، فإنّنا نورده بنصّه في قسم المطالعة الحرّة.[١]

٤. الآيات ذوات العنوان

هناك الكثير من آيات القرآن الكريم تحمل أسماءً خاصة اقتُبِسَ بعضها من الأحاديث بينما اختير بعضها الآخر من قبل المسلمين، ويُعزى سبب هذه التسميات إلى أنّها تحمل دلالة على أمر ما، أو حادثة معيّنة، نورد فيما يلي نماذج من هذه الآيات ذات العناوين:

١. آية الربا: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِي مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[٢]

٢. آية الدَيْن: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَاينتُمْ بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾.[٣]

---

١. *المعجم الإحصائي للقرآن الكريم*: ١/٢٥ وما بعدها.

٢. البقرة: ٢٧٨.

٣. البقرة: ٢٨٢، وهي أطول آية في القرآن الكريم.

٣. آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[1]

٤. آية إكمال الدين: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.[2]

٥. آية الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ...﴾.[3]

٦. آية التطهير: ﴿...إِنَّمَا يرِيدُ اللَّهُ لِيذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيتِ وَيطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[4]

٧. آية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾.[5]

ب) السورة في القرآن

١. معنى السورة

جاءت كلمة «سورة» في اللغة مهموزة، وغير مهموزة.

أوّلاً: في الحالة الأولى من «السؤر» بمعنى ما بقي وما فضل من الماء أو أي شيء آخر، وجمعه أسآر.

ثانياً: غير المهموزة، وتأتي تارة من «سور» بمعنى الحائط والحصن، مثلما تُسَمّي العرب الحائط الذي يحيط المدينة «سور المدينة»، قال الراغب: سور المدينة حائطها المشتمل عليها، وسورة القرآن تشبيهاً بها لكونه محاطاً بها، إحاطه السور بالمدينة.[6] والسور بهذا المعنى يجمع على أسوار وسيران.

---

١. آل عمران: ٦١.

٢. المائدة: ٣.

٣. النور: ١١.

٤. الأحزاب: ٣٣.

٥. النور: ٣٥.

٦. مفردات ألفاظ القرآن؛ *الإتقان*: ١٦٥/١.

ثالثاً: السورة في الأصل بمعنى العلو والمنزلة، قال ابن فارس:

السين والواو والراء أصل واحد يدلُّ على علوٍّ وارتفاع.

قال النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

ألـم تـر أنّ الله أعطـاك سـورة ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

وتكون السورة بمعنى المقام والمنزلة إذا جمعت على صيغة السور، والسُوَر والسُورات، والسُوَرات، وكلّ واحد من المعاني الثلاثة المذكورة آنفاً ينسجم مع السورة في المصطلح القرآني بما تعنيه من قطعة معينة تبدأ بالبسملة.

وأمّا إذا كانت ذات جذر مهموز فلأنّ القطعة من القرآن تُسمّى سورة، أو لأنّ سورة القرآن كالسور الحصين الذي لا يمكن اختراقه، مثلما يحيط سُوَر المدينة بها وبما فيها، فالسورة تحيط بالآيات وتجمعها.

وبالمعنى الثالث أيضاً تكون السورة بمعنى المنزلة الرفيعة؛ لأنّها كلام الله، ولها منزلة رفيعة؛ أو لأنّ قراءتها تؤدّي إلى رفعة القارئ وعلو مقامه.

ويبدو أنّ الرأي الثالث هو الأصح بين الآراء الثلاثة؛ لأنّ السورة في اصطلاح القرآن تُجمع على وزن سُوَر، وهذا الجمع يصحّ في المعنى الثالث فقط.

جاءت كلمة «سورة» بصيغة المفرد وبمعناها الاصطلاحي في تسعة مواضع في القرآن الكريم، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾.[١]

٢. أوّل وآخر سورة

أوّلاً: أوّل سورة

قال البعض: إنّ أوّل ما نزل من القرآن سورة فاتحة الكتاب. قال الزمخشري:

---

١. النور: ١.

واكثر المفسّرين على أنّ الفاتحة أوّل ما نزل، ثُمّ سورة القلم.[1]

إلاّ أنّ هذا الرأي غير صائب؛ لأنّ من يقول به من المفسّرين قليل جداً، هذا أوّلاً، وأمّا ثانياً فقد قال أصحاب علوم القرآن: إنّ سورة «الحمد» هي أوّل سورة كاملة نزلت. وأمّا باعتبار نزول الآيات، فقد نزلت قبلها خمس آيات من سورة العلق. ولم يذكر الزمخشري المفسرين الذين ادّعى أنّهم يقولون بهذا الرأي، ولكنّه ذكر في الموضع نفسه أنّ ابن عبّاس ومجاهداً اعتبرا سورة العلق أوّل سورة نزلت.

وعلى أساس رواية جابر بن زيد كانت سورة «فاتحة الكتاب» من حيث ترتيب النزول خامس سورة نزلت؛ أي في عداد أوائل ما نزل من السُوَر. ويُستفاد ممّا جاء في كتب التاريخ والسيرة أنّ الرسول كان يصلّي منذ أوائل بعثته، وكان يقتدي به جماعة منهم علي وخديجة. وجاء في الروايات أيضاً: «لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب». وهذا يستدعي أن تكون فاتحة الكتاب من عتائق سُوَر القرآن، وأنّها قد نزلت كاملة في أوّل البعثة.

ثانياً: آخر سورة

هنالك ثلاثة آراء في آخر سورة نزلت: فمنهم من قال: إنّها سورة المائدة، وقال آخرون: إنّها سورة براءة، بينما قال غيرهم: إنّها سورة النصر.

روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال:

أوّل ما نزل من على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وآخر ما نزل عليه: إذا جاء نصر الله والفتح.[2]

قال كثيرون: إنّ سورتي المائدة وبراءة آخر ما نزل من السُوَر. ولكن لا بمطلق القول، بينما سورة التوبة باعتبار أوّل آياتها كانت آخر سورة، وآخر سورة نزلت بشكل كامل سورة النصر.

---

١. *الكشاف*: ٧٦٦/٤.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٧٨/٢٠.

قال ابن عبّاس:

كانت سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ آخر سورة نزلت بالتمام.

قيل: إنّ سورة «النصر» لما نزلت قرأها الرسول ﷺ على أصحابه ففرحوا واستبشروا. وسمعها العبّاس فبكى. فقال ﷺ:

ما يبكيك ياعم؟ قال: أظنّ أنّه قد نُعيت إليك نفسك يا رسول الله.[١]

٣. تقسيم القرآن إلى سور

ذكر المختصّون في الدراسات القرآنية فوائد لتقسيم القرآن إلى سُوَر مختلفة، ومن المؤكّد أنّ هنالك حكمة أرادها الله من وراء تقسيم كتابه الخالد إلى مثل هذا التقسيم، وقد استخدمت في القرآن الكريم أدَقّ الصياغات والأساليب، وكان هناك اهتمام خاص حتّى في تنظيم حروفه وكلماته.

وقد سبق أن ذكرنا بعض فوائد تقسيم القرآن إلى سور، ومن المؤكّد أنّ فوائد هذا التقسيم لا تقتصر على ما سبق ذكره، ويمكن أن نضيف إليها الفوائد التالية:

أوّلاً: الأهداف والموضوعات المختلفة في القرآن: ففي الكثير من السُوَر هناك هدف خاصّ تدور حوله كلّ آيات تلك السورة، حتّى أنّ بعض المفسّرين يرى أنّ لكلّ سورة غاية معينة تهدف إليها.[٢] وهذه الغاية المعينة تجعل الآيات المعنية إلى جانب بعضها على شكل سورة. نذكر منها على سبيل المثال سورة يوسف، أو سورة النمل، أو سورة الفيل، حيث تختصّ كلّ سورة ببيان تاريخ نبي، أو واقعة تاريخية.

ثانياً: السهولة في تعلم وحفظ وقراءة القرآن: من الطبيعي أنّ الفصل بين القرآن يُسهّل تعلّمه وحفظه لكلّ من لديه رغبة وشغف بكتاب الله؛ لأنّ القارئ عندما ينتهي

---

١. *مناهل العرفان*: ١٠٠/١؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ١٢٩/١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٧٨/٢٠.

٢. راجع: كتب التفسير ومنها: كتاب *الميزان في تفسير القرآن*: أوائل تفسير السُوَر.

من سورة، يجد في نفسه رغبة لقراءة سورة أُخرى. وهذه الظاهرة مشهودة أكثر في حفظ القرآن؛ لأنّ تقسيم القرآن إلى أجزاء أصغر وإلى طوال وقصار، يحلّ مشكلة الحفظ، وإلاّ فإنّ الرغبة في الحفظ تقل، ويصبح الحفظ أصعب.

ثالثاً: صيانة القرآن من التحريف: أحد جوانب الإبداع والإعجاز في القرآن هو تقسيمه إلى أجزاء تُسمّى بالسُوَر، فهذا ممّا يسهّل حفظها، وخاصة السُوَر المكّية التي جاءت في بداية نزول القرآن قصيرة وموزونة، وكلّ مسلم يحفظ على الأقل عدداً منها، ونشير طبعاً إلى أنّ حفّاظ القرآن ـ كما سنذكر لاحقاً ـ لم يكونوا قليلين.

رابعاً: تعذّر الإتيان بمثيل للقرآن حتّى بالنسبة إلى أقصر سورة: إنّ تقسيم القرآن إلى سُوَر ذات اختلاف شاسع في الآيات، يُعد ظاهرة أُخرى تلفت الانتباه؛ لأنّ القرآن الذي دعا الجميع في آيات التحدي إلى المنازلة والإتيان بسورة واحدة مثل القرآن إن استطاعوا، قد أشار بتقسيمه إلى سُوَر طوال وقصار، إلى حقيقة أنّ طول السورة ليس شرطاً للإعجاز، بل إنّ كلّ سورة مهما قصرت تمثل ذروة الإعجاز والعظمة.

٤. تبويب السُوَر

قسّم المختصّون بعلوم القرآن سوره بشكل عام إلى أربع مجموعات، وجعلوا لكلّ مجموعة منها تسمية خاصّة، وهي كالتالي:

أوّلاً: السبع الطُّوَل، وهي أطول سبع سُوَر في القرآن، وقالت الغالبية: إنّ هذه السور هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف. ولكن هنالك اختلاف في السورة السابعة، فقد نقل عن سعيد بن جبير: إنّها سورة يونس، وقال آخرون: إنّها سورة الكهف.[1]

ثانياً: المئون، وهي أقصر من سابقاتها وتزيد سورها على مئة آية، وهي: التوبة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات.

---

١. *الإتقان*: ١/١٩٩، النوع ١٨.

ثالثاً: المثاني، وهي السُوَر التي يقل عدد آيات كلّ منها عن المئة، وهي عشرون سورة تقريباً، وسميّت بهذا الاسم؛ لأنّها ثَنّت المئون؛ أي كانت بعدها، فهي لها ثوان. وقيلت في تسميتها وجوه أُخرى.

رابعاً: المفصّل، وهو يشمل قصار السُوَر: وسُمّي بذلك لكثرة الفصول التي بين السُوَر بالبسملة، وآخر سورة في المفصّل هي سورة «الناس» بلا منازع، ولكن هنالك اختلافاً حول أوّل سورة فيه، وقد نقل السيوطي اثني عشر رأياً في هذا المجال. ورجّح صاحب كتاب *التمهيد في علوم القرآن*، الرأي القائل بأنّ أُولى سوره هي سورة «الرحمن». بينما ذهب كتاب *مناهل العرفان*، وكتاب موجز *علوم القرآن* إلى أنّ أوّل سورة في قسم المفصّل هي سورة «الحجرات».[1]

جاء في حديث مروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

> أُعطيت مكان التوراة، السبع الطُول، وأعطيت مكان الزبور، المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضّلت بالمفصَّل.[2]

وذكروا نوعاً آخر لتبويب سُوَر القرآن مثل: الممتحنات، المسبّحات، الحواميم، العزائم (التي تحتوي على سجدة واجبة).

٥. أسماء السور

الكثير من سُوَر القرآن لها اسم واحد، وهناك عدد منها لها اسمان أو أكثر. نذكر على سبيل المثال بعض السُوَر التي لها اسمان: حم عسق والشورى، الجاثية والشريعة، القتال ومحمد، الرحمن وعروس القرآن.

---

١. *الإتقان*: ١/ ٢٠٠/ النوع١٨؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٢٥١/١؛ *مناهل العرفان*: ٣٥٢/١؛ موجز *علوم القرآن*: ١٨٠.

٢. *الإتقان*: ١٨٠/١.

أمّا السُوَر التي لها ثلاثة أسماء فهي: المائدة والعقود والمنقذة، غافر والطول والمؤمن.

واليك مثالاً للسُوَر التي ذكروا لها عدّة أسماء: براءة والتوبة والفاضحة والحافرة. وذكر جلال الدين السيوطي لهذه السورة أكثر من عشرة أسماء.[1]

وذكروا لسورة «الفاتحة» المباركة أكثر من عشرين اسماً، نذكرها فيما يلي:

الحمد، فاتحة الكتاب، أُم الكتاب، فاتحة القرآن، أُم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الوافية، الكنز، الكافية، الأساس، النور، الشكر، الحمد الأُولى، الحمد القصرى، الراقية، الشفاء، الشافية، الصلاة، الدعاء، السؤال، المناجاة، التفويض.[2]

وكانت هناك أسباب وأوجه مختلفة لتسمية سورة القرآن، وهي كما يلي:

اوّلاً: التسمية في ضوء الموضوع الذي تبحثه السورة مثل: سورة النساء، الحج، التوحيد، الانبياء، الاحزاب، المؤمنون، المنافقون، الكافرون.

ثانياً: تسمية السُوَر بأسماء الأنبياء أو الأشخاص الذين ورد أسمهم فيها، مثل: نوح، هود، إبراهيم، يونس، يوسف، سليمان، محمّد، لقمان، مريم، آل عمران، المؤمن، الكهف.

ثالثاً: تسمية السُوَر في ضوء الحروف المقطّعة التي جاءت في أوائلها، مثل: ق، ص، يس، وطه.

رابعاً: تسمية السُوَر بأسماء بعض الحيوانات، حيث كان ينظر في كلّ حالة إلى ميزة خاصّة فيها، مثل: البقرة، النحل، النمل، العنكبوت.

خامساً: تسمية السُوَر على أساس أهمّ أقسامها، مثل: سورة الجمعة، الفتح، الواقعة، الحديد، المطفّفين.

سادساً: تسمية السُوَر بما قُسِم به فيها، مثل: الفجر، الشمس، الضُحى، التين، العاديات.

---

١. المصدر: ١/١٧٢ ـ ١٧٣.

٢. *الإتقان*: ١/١٦٧ ـ ١٧١، مع تفصيل كامل للآيات؛ *البرهان*: ١/٣٦٧.

وعلى العموم يمكن القول: إنّ المعيار الأساسي في تسمية سُوَر القرآن الكريم جاء بناءً على أهمّ موضوع ورد فيها، أو أكثر شيء مثير للاهتمام فيها، وتدور حول محوره آيات السورة. وهذه ليست قاعدة عامّة تنطبق على كلّ القرآن.

٦. تسمية السُوَر

يرى البعض: إنّ تسمية السُوَر أمر توقيفي فعله الرسول، ولا يحق لغيره تسمية سُوَر القرآن. فالزركشي يذهب إلى القول بأنّ أسماء السُوَر توقيفية.[١] وذهب جلال الدين السيوطي إلى نفس الرأي أيضاً، ولكن الواقع ينفي أن تكون تسمية السُوَر توقيفية، فالكثير من هذه الأسماء وضع في عهد الرسول نتيجة لكثرة الاستخدام، وليس هناك من توقيف شرعي فيه.

نشير طبعاً إلى أنّ هذا الكتاب لا يمكنه استيعاب البحث التفصيلي لهذا الأمر.

كانت هذه نظرة إجمالية على البحوث المتعلّقة بسُوَر وآيات القرآن الكريم. أمّا فيما يتعلّق بالسُوَر من تسميات، ووجه تلك التسميات، وعدد آيات وكلمات كلّ سورة، والمكّي والمدني منها، وأرقام السُوَر حسب ترتيب النزول، والإشارة إلى مضامينها، فينبغي الرجوع إلى المصادر التي تحدّثت عن هذه الأُمور بالتفصيل.[٢]

الخلاصة

١. الآية لغة: تعني العلامة والدلالة. وفي القرآن الكريم استخدمت في مواضع بمعنى الدلالة الواضحة، والمعجزة، والعلامة، والدليل، والبيّنة، والعبرة، والجزء من السورة.

٢. تُطلق كلمة: «الآية» في المصطلح القرآني على الكلمة أو الكلمات

---

١. *البرهان*: ٣٦٨/١ ـ ٣٦٩.

٢. *المعجم الإحصائي للقرآن الكريم*: ٢٥/١.

المفصولة عمّا قبلها وبعدها، وتقع ضمن سورة معيّنة.

٣. السورة بمعنى: العلو والمكانة الرفيعة، وتطلق على مجموعة من الآيات القرآنية التي تبدأ بـ «بسملة» (باستثناء سورة التوبة)؛ لأنّها كلام الله ولها منزلة رفيعة، أو لأنّ تلاوتها توجب رفعة منزلة ومقام القارئ.

٤. بعض أسباب تقسيم القرآن إلى سُوَر هي: الموضوعات المختلفة لكلّ سورة، وسهولة تعلّم وحفظ وقراءة القرآن، وحفظ القرآن من التحريف، وبيان إعجازه حتّى في السُوَر القصيرة.

٥. تُقسم سُوَر القرآن إلى أربع مجموعات هي: السّبع الطُول، المئون، المثاني، المفصّل.

٦. بناءً على الإحصائيات التي قدّمها كتاب *المعجم الاحصائي لكلمات القرآن الكريم*، فإنّ القرآن يحتوي على ١١٤ سورة، و٦٢٣٦ آية، و٧٧٨٠٧ كلمة.

٧. أوّل ما نزل من القرآن الكريم هي الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق.

٨. سورة فاتحة الكتاب هي أوّل سورة نزلت بشكل كامل، وسورة النصر هي آخر سورة نزلت بشكل كامل.

الدرس الرابع

السُوَر المكية والمدنية

أ) فائدة هذا التقسيم

تقسم آيات وسُوَر القرآن الكريم ـ لأسباب معيّنة ـ إلى قسمين: مكّي، ومدني. وإليك فيما يلي بعض فوائد هذا التقسيم:

١. معرفة سير دعوة ورسالة الرسول، وكيفية تشريع وتبيين الأحكام والقوانين في القرآن.

٢. الفوائد التي تحصل من تقييد أو تخصيص المطلقات والعموميات القرآنية. ومعرفة تقديم وتأخير الآيات والسور، وأحياناً من تشخيص الآيات الناسخة والمنسوخة.

٣. الاطّلاع على أحد أبعاد اعجاز القرآن الكريم وتعذر تحريفه، وهو ما يتحقّق من خلال التأمّل والتدبّر في السُوَر المكّية المدنية. غالباً ما تكون السُوَر المكّية صغيرة وذات آيات قصيرة وموزونة، خلافاً للسُوَر المدنية. وكانت هذه الخصائص في بداية نزول القرآن تظهر إعجازه من حيث التحدّي من جهة، وتظهر من جهة أُخرى عدم إمكانية تحريفه من حيث سهولة تعلّمه وحفظه.

ب) ضوابط المكّي والمدني

ذكروا ثلاثة معايير وضوابط للتمييز بين الآيات والسُوَر المكّية والمدنية.

١. الضابطة الزمانية. ٢. الضابطة المكانية. ٣. الضابطة الخطابية.

١. الضابطة الزمانية: في هذه الضابطة جُعلت هجرة الرسول ﷺ هي المعيار، وكلّ آية أو سورة نزلت قبل الهجرة أو أثناء الهجرة، وقبل الوصول إلى المدينة، فهي مكّية، وكلّ ما نزلت منها بعد الهجرة ـ حتّى وإن نزلت في مكّة ـ فهي مدنية.

٢. الضابطة المكانية: في هذا المعيار يكون مكان نزول الآية هو الذي يحدد أن تكون مكّية أو مدنية، فكلّ ما نزل في مكّة وضواحيها مكّي، وكلّ ما نزل في المدينة وضواحيها مدني. وعلى هذا الأساس فالآيات والسُوَر التي لم تنزل في مكّة ولا في المدينة، لا هي مكّية ولا مدنية.

٣. الضابطة الخطابية: الآيات والسُوَر التي ورد فيها خطاب: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ...﴾ مكّية، والآيات والسُوَر التي ورد فيها خطاب: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ مدنية (ابن مسعود).

والمشهور عند المفسّرين اختيار الضابطة الأولى في التميز بين السُوَر المكّية والمدنية.[١]

ج) خصائص السُوَر المكّية، وخصائص السُوَر المدنية

الخصائص التي غالباً ما تتصف بها السُوَر المكّية هي كالآتي:

١. الدعوة إلى أُصول العقائد، كالإيمان بالله ويوم القيامة، وتصوير مشاهد الحساب وحالات أصحاب الجنّة وأصحاب النار.

٢. صغر السور، وقصرها، وتجانسها الصوتي، وآياتها موزونة، إضافة إلى الإيجاز في الخطاب.

٣. مجادلة المشركين وتفنيد معتقداتهم.

٤. كثرة القسم بالله، وبيوم القيامة، وبالقرآن، وما شابه ذلك، إذ يوجد في المكّية ما يقارب ثلاثين قَسَماً، في حين يوجد في السُوَر المكّية موضعان فقط استخدمت فيهما

---

١. *الإتقان في علوم القرآن*: ٢٦/١.

أداة القسم، وهما: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يؤْمِنُونَ حَتَّى يحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُمْ..﴾،[١] و﴿...بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ..﴾[٢]

٥. كثرة قصص الأنبياء السابقين، والأمم السالفة، إضافة إلى قصّة آدم.

٦. كثرة استعمال عبارة: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ...﴾، وقلّة استعمال عبارة: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.[٣] تجدر الإشارة إلى أنّ الآية ٢١ والآية ١٦٨ من سورة البقرة، والآية الأولى من سورة النساء، وردت فيها عبارة: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ...﴾ رغم أنّها مدنيّة.

قال ابن الحصّار:

وقد اتفق الناس على أنّ سورة النساء، مدنية وأوّلها ﴿يا أَيهَا النَّاسُ...﴾ وعلى أنّ سورة الحجّ مكّية، وفيها ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اركَعُوا...﴾.[٤]

٧. شدّة لهجة الآيات، وأُسلوبها التقريعي، وقوّة حرارتها.

٨ الدعوة إلى القيم الدينية والأخلاق الرفيعة، كالمحبّة، والإخلاص، واحترام الغير، وإكرام الجار، وبر الوالدين، ومحاربة العادات الذميمة كالقتل وإراقة الدماء، وأكل مال اليتيم، وما شابه ذلك.

ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ كلّ سورة في بدايتها حروف مقطّعة ـ عدا البقرة وآل عمران ـ فهي مكّية.

أمّا الخصائص التي غالباً ما تتميز بها السُوَر المدنية فهي كالآتي:

١. طول السُوَر والآيات.

٢. مجادلة المنافقين.

٣. مجابهة المنافقين.

---

١. النساء: ٦٥.

٢. التغابن: ٧.

٣. موجز علوم *القرآن*: ١٤٣.

٤. *الإتقان في علوم القرآن*: ١/٥٢ ـ ٥٣.

٤. الإكثار من ذكر الجهاد وأحكامه والإذن به.

٥. تشريع الأحكام، والحدود، والفرائض، والحقوق، والإرث، والقوانين السياسية والاقتصادية والمعاهدات.

٦. تفصيل الأدلّة والبراهين على الحقائق الدينية.[١]

د) جدول بالسُوَر المكّية والمدنية

سنتحدّث في ختام هذا الدرس عن ترتيب هذه السور، ويُستند عادة إلى الروايتين اللتين نقلهما ابن عبّاس وجابر بن زيد، واتّخذهما السيوطي وغيره ملاكاً في ترتيب نزول السور.

ذكرالسيوطي رواية ابن عبّاس في ما يخصّ ترتيب السُوَر المكّية والمدنية، في كتابه *الاتقان في علوم القرآن*: (١/ ٣١ ـ ٣٢). ولم تُذكر سورة فاتحة الكتاب في هذه الرواية، ولكن جاء في الرواية التي نقلها عن جابر (ص ٨١) أنّ سورة الفاتحة تحتل المرتبة الخمسين في ترتيب نزول السُوَر المكّية، وعلى أساس هذه الرواية يكون عدد السُوَر المكّية ٨٦ سورة، وعدد السُوَر المدنية ٢٨ سورة.

وقد نظّمنا جدول السُوَر تبعاً لما قال به كتاب *التمهيد في علوم القرآن*، الذي جعل ترتيب سورة فاتحة الكتاب طبقاً لما جاء في رواية ابن عبّاس، في هذا الترتيب تؤخذ بنظر الاعتبار الآيات الأولى من السورة، فإذا كانت قد نزلت عدّة آيات من سورة، ثُمّ نزلت بعدها سورة أُخرى، وبعد ذلك أُكملت آيات السورة الأولى، تقدّم السورة الأولى على الثانية في ترتيب النزول.

---

١. موجز *علوم القرآن*: ١٤٤.

ترتيب نزول السور المكّية (٨٦ سوره)

ترتيب النزول	ترتيب المصحف	اسم السورة
١	٩٦	العلق
٢	٩٨	القلم
٣	٧٣	المزمّل
٤	٧٤	المدثّر
٥	١	الفاتحة
٦	١١١	المسد
٧	٨١	التكوير
٨	٨٧	الأعلى
٩	٩٢	الليل
١٠	٨٩	الفجر
١١	٩٣	الضحى
١٢	٩٤	الانشراح
١٣	١٠٣	العصر
١٤	١٠٠	العاديات
١٥	١٠٨	الكوثر
١٦	١٠٢	التكاثر
١٧	١٠٧	الماعون
١٨	١٠٩	الكافرون
١٩	١٠٥	الفيل
٢٠	١١٣	الفلق
٢١	١١٤	الناس

ترتيب النزول	ترتيب المصحف	اسم السورة
٢٢	١١٢	التوحيد
٢٣	٥٣	النجم
٢٤	٨٠	عبس
٢٥	٩٧	القدر
٢٦	٩١	الشمس
٢٧	٨٥	البروج
٢٨	٩٥	التين
٢٩	١٠٦	قريش
٣٠	١٠١	القارعة
٣١	٧٥	القيامة
٣٢	١٠٤	الهمزة
٣٣	٧٧	المرسلات
٣٤	٥٠	ق
٣٥	٩٠	البلد
٣٦	٨٦	الطارق
٣٧	٥٤	القمر
٣٨	٣٨	ص
٣٩	٧	الأعراف
٤٠	٧٢	الجنّ
٤١	٣٦	يس
٤٢	٢٥	الفرقان

ترتيب النزول	ترتيب المصحف	اسم السورة
٤٣	٣٥	فاطر
٤٤	١٩	مريم
٤٥	٢٠	طه
٤٦	٥٦	الواقعة
٤٧	٢٦	الشعراء
٤٨	٢٧	النّمل
٤٩	٢٨	القصص
٥٠	١٧	الإسراء
٥١	١٠	يونس
٥٢	١١	هود
٥٣	١٢	يوسف
٥٤	١٥	الحجر
٥٥	٦	الأنعام
٥٦	٣٧	الصافّات
٥٧	٣١	لقمان
٥٨	٣٤	سبأ
٥٩	٣٩	الزّمر
٦٠	٤٠	غافر
٦١	٤١	فصّلت
٦٢	٤٢	الشّورى
٦٣	٤٣	الزّخرف
٨٥	٢٩	العنكبوت

ترتيب النزول	ترتيب المصحف	اسم السورة
٦٤	٤٤	الدّخان
٦٥	٤٥	الجاثية
٦٦	٤٦	الأحقاف
٦٧	٥١	الذّاريات
٦٨	٨٨	الغاشية
٦٩	١٨	الكهف
٧٠	١٦	النّحل
٧١	٧١	نوح
٧٢	١٤	إبراهيم
٧٣	٢١	الأنبياء
٧٤	٢٣	المؤمنون
٧٥	٣٢	السّجدة
٧٦	٥٢	الطّور
٧٧	٦٧	الملك
٧٨	٦٩	الحاقّة
٧٩	٧٠	المعارج
٨٠	٧٨	النّبأ
٨١	٧٩	النّازعات
٨٢	٨٢	الانفطار
٨٣	٨٤	الانشقاق
٨٤	٢٠	الرّوم
٨٦	٨٣	المطفّفين

ترتيب النزول السور المدينة(٢٨سورة)

ترتيب النزول	ترتيب المصحف	اسم السورة	ترتيب النزول	ترتيب المصحف	اسم السورة
١	٢	البقرة	١٥	٦٣	المنافقون
٢	٨	الأنفال	١٦	٥٨	المجادلة
٣	٣	آل عمران	١٧	٤٩	الحجرات
٤	٣٣	الأحزاب	١٨	٦٦	التّحريم
٥	٦٠	الممتحنة	١٩	٦٢	الجمعة
٦	٤	النساء	٢٠	٦٤	التّغابن
٧	٩٩	الزّلزال	٢١	٦١	الصّفّ
٨	٥٧	الحديد	٢٢	٤٨	الفتح
٩	٤٧	محمّد ﷺ	٢٣	٥	المائدة
١٠	١٣	الرّعد	٢٤	٩	التوبة
١١	٥٥	الرّحمن	٢٥	٦٥	الطّلاق
١٢	٧٦	الإنسان	٢٦	٩٨	البيّنة
١٣	٢٤	النّور	٢٧	٥٩	الحشر
١٤	٢٢	الحجّ	٢٨	١١٠	النّصر

أورد *المعجم الإحصائي للقرآن الكريم* الذي جاءت الآيات المستثنيات[١] فيه، على أساس تفسير *الكشاف* للزمخشري، وينسجم أيضاً مع ما جاء في كتاب *تنوير المقياس* من تفسير ابن عبّاس، *وتاريخ القرآن* لأبي عبد الله الزنجاني، *والمعجم المفهرس*، أورد في جدولين توزيع الكلمات المدنية في السُوَر المكّية من خلال تجزئة السُوَر

١. الآيات المكّية في السُوَر المدنية، والآيات المدنية في السُوَر المكية.

والآيات، وتوزيع الكلمات المكّية في السُوَر المدنية من خلال تجزئة السُوَر والآيـات. ونحن نعرض نتيجة هذا البحث الإحصائي على النحو التالي:[١]

السور المكّية: ٨٦
← عدد سور القرآن: ١١٤
السور المدينة: ٢٨

الآيات المكّية: ٤٤٦٨
← عدد الآيات القرآن: ٦٢٣٦
الآيات المدينة: ١٧٦٨

الكلمات المكّية: ٤٥٦٥٣
← عدد كلمات القرآن: ٧٧٨٠٧
الكلمات المدينة: ٣٢١٥٤

عدد سُوَر و آيات و كلمات القرآن الكريم حسب تقسيم السَور المكّية والمدينة

نوع السور	عدد السور	عدد الآيات	المكّية	المدينة	عدد الكلمات	المكّية	المدنية
المكية	٥١	١٦٨٣	١٦٨٣	-	١١٤٩٢	١١٤٩٢	-
المدنية	٢٦	١٤١٩	-	١٤١٩	٢٦٤١٢	-	٢٦٤١٢
المكّية ذات الآيات المدينة	٣٥	٢٩٣٠	٢٧٧٦	١٥٤	٣٦١٥٤	٣٤٠١٣	٢١٤٢
المكّية ذات الآيات المدينة	٢	٢٠٤	٩	١٩٥	٣٧٤٨	١٤٨	٣٦٠٠
المجموع	١١٤	٦٢٣٦	٤٤٦٨	١٧٦٨	٧٧٨٠٧	٤٥٦٥٣	٣٢١٥٤

يفيد هذا الإحصاء أنّ هناك ٤٤٦٨ آية مكّية تضم ٤٥٦٥٣ كلمة، وهناك ١٧٦٨ آية مدنية تضم ٣٢١٥٤ كلمة في القرآن الكريم، أي أنّ ٧١/٦٪ من آياته مكّي، و٢٨/٤٪ منها مدني. وهذه النسبة تساوي في الكلمات ٥٨/٧٪ (حوالي ٥٣)، و٤١/٣٪ (حوالي٥٢) على التوالي.

---

١. *المعجم الإحصائي للقرآن الكريم.*

الخلاصة

١. تقسم سُوَر وآيات القرآن الكريم إلى قسمين: مكّي ومدني.

٢. السُوَر والآيات التي نزلت قبل الهجرة مكّية، والتي نزلت بعد الهجرة مدنية.

٣. الخصائص الغالبة على السُوَر المكّية هي: الدعوة إلى أُصول العقائد، والأخلاق الرفيعة، والحديث عن القيامة والجنة والنار، ومجادلة المشركين، وكثرة القسم، وقصص الأنبياء، وصغر السور، والآيات فيها قصيرة وموزونة، والإيجاز في الخطاب.

٤. الخصائص الغالبة على السُوَر المدنية هي: مجادلة أهل الكتاب، ومجابهة المنافقين، وذكر الجهاد وأحكامه، وبيان أحكام الحدود، والواجبات، والحقوق، والإرث، والقوانين السياسية والاقتصادية والمعاهدات، وطول الآيات والسور.

٥. في القرآن ٨٦ سورة مكّية و٢٨ سورة مدنية.

الأسئلة

١. لأي سبب نزل القرآن على نحوين (نزول جملة واحدة، ونزول تدريجي)؟

٢. ما معنى أسباب النزول؟ وما مدى اعتبار أحاديث أسباب النزول؟

٣. عرّف الآية والسورة.

٤. لماذا قُسم القرآن إلى سُوَر مختلفة؟

٥. ما هي السُوَر المسمّاة بالسَبع الطُوَل، والمئين؟

٦. اذكر عدد سور وآيات وكلمات القرآن الكريم.

٧. هل كان للكتب السماوية الأُخرى كالتوراة والإنجيل، نحوان من النزول؟ اشرح ذلك.[1]

٨. اذكر ثلاث آيات قرآنية فيها شأن نزول.

٩. اذكر أسباب نزول الآيات التالية:

---

١. *الاتقان في علوم القرآن*: ١/ النوع١٦.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى*أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى*وَمَا يدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزَّكَّى*أَوْ يـذَّكَّرُ فَتَنْفَعَـهُ الذِّكْـرَى*أَمَّـا مَـنِ اسْتَغْنَى*فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى*وَمَا عَلَيكَ أَلَّا يزَّكَّى*وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يسْعَى*وَهُوَ يخْشَى*فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى*كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾. (عبس: ١ ـ ١١).

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يتَبَينَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾. (التوبة: ٤٣).

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَـرُوا بِـاللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَمَـاتُوا وَهُـمْ فَاسِقُونَ﴾. (التوبة: ٨٤).

١٠. اذكر عدّة سُوَر أُخرى من القرآن الكريم، ذات هدف معين.

١١. قدّم بحثاً حول أسباب نزول آيات الشراب، وترتيبها.

١٢. لماذا يربو عدد الآيات والسُوَر المكّية على الآيات والسُوَر المدنية؟

الباب الرابع

جمع القرآن

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. التعرف على الكتابة والتدوين في عهد رسول الله، وكتّاب الوحي، وأدوات كتابة الوحي؛
٢. الاطّلاع على ما قام به علي بن أبي طالب عليه السلام، في جمع القرآن، وخصائص مصحفه؛
٣. البحث في مجال أحد أهمّ الموضوعات المثيرة للجدل في تاريخ القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله؛
٤. دراسة أدلّة جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله؛ ٥. دراسة تاريخية وروائية لتدوين القرآن الكريم؛ ٦. التعريف ببعض المصاحف المعروفة بأسماء كبار الصحابة؛ ٧. بحث في ما قام به عثمان من جمع القرآن ثانية وتوحيد المصاحف، والدوافع والأسباب، وأعضاء شورى توحيد المصاحف، وعدد المصاحف العثمانية وخصائصها؛ ٨ الإجابة عن تساؤلات من قبيل هل ترتيب آيات وسُوَر القرآن توقيفي أو لا؟ وما موقف أهل البيت عليهم السلام إزاء قضية جمع القرآن؟؛
٩. اقتفاء تاريخ أوّل ضبط لحركات القرآن؛ ١٠. نظرة إلى إعجام القرآن ومراحل تطوّره.

المصادر المهمّة

بحار الأنوار: ٨٩؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢/ ١١٨ ـ ١٣٢؛ *البيان في تفسير القرآن*؛ *حقائق هامّة حول القرآن*؛ *صحيح البخاري*؛ *الاتقان*: النوع ١٨؛ *البرهان*: النوع ١٣؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ١؛ *مناهل العرفان*: ١؛ *تاريخ القرآن*، لأبي عبدالله الزنجاني.

الدرس الأوّل

تدوين القرآن في عهد رسول الله ﷺ

تمهيد

من البحوث الدقيقة في علوم القرآن، الدراسة التاريخية لجمع وكتابة القرآن. فكلّ مسلم لديه رغبة في معرفة نبذة عن كتابه، لكي يطلع من بين طيّات الوثائق والمصادر الموجودة على مدى اهتمام المسلمين في صدر الإسلام وأصحاب الرسول ﷺ بهذا الكتاب المقدّس، فممّا يهتّم به المسلم معرفة المنعطفات التي مرَّ بها القرآن على مرّ التاريخ، وكيفية وصوله إليه حالياً من غير تحريف أو تغيير.

يشهد التاريخ بكلّ جلاء أنّ الوحي السماوي عندما عُرض على الناس، لقي منهم استقبالاً أثار دهشة الجميع، وقد سخَّر المسلمون كلّ قواهم في مجالي حفظ وكتابة القرآن، ودخلوا هذا الميدان بشغف وشوق يعجز القلم عن وصفه.

أ) مرحلة حفظ القرآن

في بداية الأمر عقد الرسول وأصحابه العزم على حفظ القرآن في صدورهم. وكان العرب يتمتّعون بهذه الهبة الإلهية (قوّة الحفظ) في حد الكمال، ومع أنّهم كانوا محرومين من نعم كثيرة، إلاّ أنّهم برعوا في الذكاء وقوّة الذاكرة، فكانوا يحفظون القصائد الطويلة

بكلّ سهولة، ويختزنون في ذاكرتهم دواوين من الشعر، وكان العربي يحفظ ما يسمعه مرّة واحدة، ويودعه في ذاكرته إلى الأبد، وهذه الصفة جعلتهم حديثاً يدور على ألسُن الخاص والعام، وقدّم لهم القرآن ببيانه الساحر في صياغته ومحتواه، أروع كلام ورسالة تنفذ إلى أعماق الروح، وكانت الآيات والسُوَر الأُولى التي نزلت في مكّة مسجّعة وموزونة تقريباً. وكان إيقاع الآيات والسُوَر أخّاذاً وجذاباً بحيث كان يبهرهم.

كان رسول الله ﷺ يحثّ أصحابه على حفظ الآيات والسور، ففي بداية البعثة في مدينة مكّة، لم يكن عدد الكُتّاب كثيراً ولا أدوات الكتابة كانت متوفّرة، وهكذا وظّف المسلمون قوّة حفظهم في أكثر السبل قدسية، وجعلوا من صدروهم وقلوبهم موضعاً لآيات القرآن النيّرة.

ب) مرحلة كتابة القرآن

كانت ضرورة كتابة القرآن واضحة تماماً في حياة الرسول ﷺ؛ لأنّ الاعتماد على حفظ القرآن في الصدور لم يكن يبعث على الاطمئنان فيما يخصّ صيانته والحفاظ عليه، ومع أنّ عدد الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة في عصر نزول الوحي كان قليلاً جداً ـ بحيث إنّ البعض ذكر أنّ عدد من كانوا يجيدون القراءة والكتابة في مكّة لم يكن يتجاوز سبعة عشر شخصاً ـ إلاّ أنّ اهتمام الرسول بالقرآن وكتابة الوحي، دفعه إلى استدعاء من يعرفون القراءة والكتابة، من أجل كتابة وضبط آيات القرآن الكريم، ومتى ما كانت تنزل آيات من القرآن، كان يدعو كُتّاب الوحي ويأمرهم بكتابتها، وكانت هذه الجماعة تُسمّى «كُتّاب الوحي».

ج) أدوات كتابة القرآن

كانت أدوات الكتابة في عصر نزول القرآن بسيطة جداً، فكان المسلمون

يستخدمون كلّ ما يُمكن الكتابة عليه، وقد جاء في أحاديث جمع وكتابة القرآن ذكر أسماء هذه الأدوات، وهو ما يتّفق عليه جميع المختصّين بالدراسات القرآنية.

وهذه الأدوات هي:

١. العُسب، جمع عسيب: وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

٢. اللخاف، جمع لخفة: وهي الحجارة الدقاق، وصفائح الحجارة.

٣. الرقاع، جمع رقعة: وقد تكون من جلد أو رَق أو ورق.

٤. الأديم، جمع أدَم أو أُدُم: مادُبغ من جلد الحيوان.

٥. الأكتاف، جمع كتف: وهو عظيم البعير أو الشاة.

٦. الأقتاب، جمع قتب: هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليُركبَ عليه.

٧. الأضلاع، جمع ضلع: الصفحة العريضة من أضلاع الحيوانات.

٨ الحرير: وهو القماش الذي يكتبون عليه أحياناً.

٩. القراطيس، طمع قرطاس: وهو الورق.

١٠. الشظاظ: نوع من الخشب.[١]

د) كُتّاب الوحي

كان علي بن أبي طالب عليه السلام كما يصرّح الجميع تقريباً من أوائل كتاب الوحي والمداومين على كتابته، تجدر الإشارة إلى أنّه كان هناكِ عدا كُتاب الوحيَ كُتّاب يكتبون لرسول الله الرسائل والعهود وعقود الصلح، ولا يُستبعد أن تكون أسماؤهم دخلت في عداد أسماء كُتّاب الوحي. وذكر اليعقوبي في تاريخه:

---

١. *بحار الأنوار*: ٤٠/٨٩.

وكان كُتّاب النبي الذين يكتبون الوحي والكتب والعهود: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان، وعمرو بن العاص بن أُمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، والمغيرة بن شعبة، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وحنظلة بن الربيع، وأُبي بن كعب، وجهيم بن الصلت، والحصين النميري.[1]

وكتب ابن شهر آشوب في مناقبه عند ذكره لكُتّاب الوحي:

كان علي بن ابي طالب يكتب أكثر الوحي، ويكتب أيضاً غير الوحي، وكان أُبي بن كعب وزيد بن ثابت يكتبان الوحي. وكان زيد وعبد الله بن الأرقم يكتبان إلى الملوك، وعلاء بن عقبة وعبد الله بن الأرقم يكتبان القبالات، والزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان الصدقات. وقد كتب له عثمان، وخالد وإبان ـ ابنا سعيد بن العاص ـ والمغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير، والعلاء بن الحضرمي، وشرحبيل بن حسنة الطانحي، وحنظلة بن ربيع الأسدي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو الخائن في الكتابة فلعنه رسول الله ﷺ وقد ارتد.[2]

وقال ابن أبي الحديد:

> فالذي عليه المحققون من أهل السيرة أنّ الوحي كان يكتبه علي عليه السلام، وزيد بن ثابت، وزيد بن الأرقم، وأنّ حنظلة بن ربيع، ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه.[3]

وهكذا يتّضح أنّ هناك اتفاقاً في وجهات النظر حول عدد من صحابة الرسول الذين كانوا يتولّون كتابة الوحي، وكثير ممّن جاءت أسماؤهم في عداد كُتّاب الوحي، كانوا يكتبون أشياء أُخرى غير الوحي.

---

١. *تاريخ اليعقوبي*: ٢/٨٠.
٢. *مدخل التفسير*: ٢٤٠.
٣. المصدر: ٢٤١.

قال الرافعي بعد الإشارة الى وجود اختلاف في الآراء حول كُتّاب الوحي:

أجمعوا على نفر من كتاب الوحي، منهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.[١]

هـ) كيفية كتابة آيات القرآن

١. الكتابة حسب ترتيب نزول الآيات

كان كتاب الوحي يكتبون الآيات حسب تسلسل نزولها، ومتى ما نزلت بسملة كانوا يعرفون أنّ السورة السابقة انتهت، وبدأت سورة أُخرى. جاء في حديث عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال:

كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءً لأُخرى.[٢]

وقال ابن عبّاس:

كان النبي لا يعرف فصل السورة حتّى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد خُتمت واستقبلت سورة أُخرى.[٣]

وهكذا كانت تُنَظَّم آيات القرآن على شكل سور، على أساس الترتيب الطبيعي، وهو ترتيب نزولها، فتأخذ الآيات المكّية موضعها في السُوَر المكّية، وتأخذ الآيات المدنية موضعها في السُوَر المدنية، حتّى وان كان من الممكن أحياناً أن تطول مدّة إكمال السورة التي تنزل آياتُها مجزّأة.

٢. الكتابة بغير رعاية ترتيب النزول، بأمر الرسولصلى الله عليه وآله

يُستفاد من الوثائق التاريخية أنّه كانت أحياناً تنزل آية أو آيات، ولكن النبي كان يأمر

---

١. إعجاز القرآن: ٣٥.

٢. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢١٢/١.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٧/١٢.

كتاب الوحي بكتابتها في ثنايا سورة كانت قد نزلت وخُتمت من قبل. وهذا النمط من تنظيم الآيات الذي كان يأتي خارج المسار الطبيعي لنزول الآيات، كان يحتاج إلى تصريح وتعيين من الرسول نفسه، ولاشكّ في أنّه كانت تكمن فيه حكمة ومصلحة.

قال ابن عبّاس:

> كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السُوَر ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا.[1]

وجاء في حديث آخر عن ابن عبّاس أنّه قال:

> كانت آخر آية نزلت هي آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ قال جبرئيل للرسول: ضعها في رأس الثمانين والمئتين من البقرة.[2]

يلزم أن نعلم بأنّ هذا النوع من تنظيم الآيات لم يذكر في الوثائق التايخية إلاّ نادراً. وكان التنظيم الأساسي للآيات يسري حسب الترتيب الطبيعي لنزولها. نسوق فيما يلي مثالاً آخر على هذا النوع من الآيات:

عن عثمان بن أبي العاص، قال:

> كنت جالساً عند الرسول، فنزل عليه جبرئيل فقال الرسول: أتاني جبرئيل، فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾.[3]

٣. الكتابة بغير ترتيب النزول باجتهاد الصحابة

هناك سُوَر في القرآن الكريم لم تُنظَم ولم تُرتّب آياتها حسب الترتيب الطبيعي

---

١. *البرهان في علوم القرآن*: ١٩٠/١، نوع١٨.

٢. مجمع *البيان في تفسير القرآن*: ٣٩٤/٢.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٧/١٢؛ *الإتقان*: ١٩٠/١.

لنزولها. وليست هناك وثيقة تنسب هذا الترتيب إلى الرسول صلى الله عليه وآله:

ذكر المجلسي رحمه الله في *بحار الأنوار*: إنّ إحدى هذه السُوَر هي سورة الممتحنة، إذ نزلت الآيات التسعة الأولى منها عام ثمانية للهجرة في شأن حاطب بن أبي بلتعة.[١]

وبعد هذه الآيات، توجد آيتان يعود تاريخ نزولهما إلى العام السادس للهجرة بعد صلح الحديبية، وكان شأن نزولهما في امرأة اسمها سُبيعة الأسلمية أو كلثوم بنت عقبة.[٢] ونزلت الآية الثانية عشرة من هذه السورة في السنة التاسعة للهجرة في شأن بيعة النساء.[٣] وأمّا الآية الأخيرة منها فتتماشى مع الآيات الأولى من حيث المحتوى والمضمون.[٤]

---

١. وكان سبب ذلك أنّ حاطب بن أبي بلتعة قد أسلم وهاجر إلى المدينة. وكان عياله بمكّة، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وآله. فصاروا إلى عيال حاطب وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب ويسألوه عن خبر محمد، هل يريد أن يغزو مكّة؟

فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك فكتب إليهم حاطب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يريد ذلك. ودفع الكتاب إلى امرأة تسمّى صفية، فوضعته في قرونها ومرَّت. فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين والزبير بن العوام في طلبها. فلحقوها فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي شيء ففتشاها فلم يجدا معها شيئاً. فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما كذبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله على جبرئيل، ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه. والله لتظهرن الكتاب أو لأردن رأسك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: تنحيا عنّي حتّى أُخرجه، فأخرجت الكتاب من قرونها فأخذه أمير المؤمنين وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله مانافقت ولا غيرت ولا بدلت، وإنّي أشهد أنّ لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله حقّاً، ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلي بحسن صنيع قريش إليهم، فأحببت أن أُجازي قريشاً بحسن معاشرتهم. فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآيات.

٢. فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، والنبي صلى الله عليه وآله بالحديبية. فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم ـ وقال مقاتل: هو صيفي بن الراهب ـ في طلبها، وكان كافراً فقال: يا محمد اردُد علي امرأتي فإنّك قد شرطت لنا أن تردَّ علينا من أتاك منّا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد. فنزلت هذه الآيات.

٣. كان ذلك يوم فتح مكّة، لما فرغ النبي صلى الله عليه وآله من بيعة الرجال، وهو على الصفا، جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية: مجمع *البيان*: ٤١٣/٩.

٤. *بحار الأنوار*: ٦٧/٨٩ ـ ٧٠؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٢١٤/١.

و) نظم الآيات توقيفي أم غير توقيفي

في أعقاب ما ذكرناه حول كيفية كتابة آيات القرآن الكريم، يبقى سؤال لم تتم الإجابة عنه على نسق واحد، والسؤال هو: هل جاء ترتيب الآيات في كلّ سورة بأمر النبيﷺ؛ أي هل هو أمر توقيفي أو اجتهادي؟

الذي يستفاد ممّا ذكرناه في الموضوعين «أ و ب» السابقين، حول كيفية كتابة آيات القرآن، هو أنّ ترتيب آيات كلّ سورة أمر توقيفي، إلاّ أنّ ما ورد في العنوان «ج» يفيد خلاف ذلك، ولكن كيف تمّ ترتيب آيات سُوَر مثل سورة الممتحنة؟ وهل كان ترتيب الآيات في كلّ السُوَر توقيفي؟ وهل ترتيب الآيات في أكثر السُوَر توقيفي، وفي بعضها اجتهادي؟

تكمن أهمّية الإجابة عن مثل هذه الأسئلة في أنّ توضيح المعالم التاريخية لتدوين القرآن، لها تأثير في حلّ الكثير من المشكلات.

الكثير من المفسّرين والباحثين في حقل القرآن أقروا أنّ القرآن توقيفي.

قال جلال الدين السيوطي:

> الإجماع والنصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك.[1]

واستند في هذا إلى عدّة روايات،[2] ثُمّ قال:

> ومن النصوص الدالّة على ذلك إجمالاً: ما ثبت من قراءتهﷺ لسُوَر عديدة في أزمنة وأمكنة مختلفة، فجاء في *صحيح البخاري* مثلاً أنّه كان يقرأ سورة الأعراف في صلاة المغرب، أو أنّه كان يقرأ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في صبح الجمعة....[3]
>
> وقال القاضي أبو بكر الباقلاّني في *الانتصار*: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبرئيل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا.

---

١. *الإتقان*: ١٨٩/١، النوع١٨.

٢. سبق أن ذكرنا روايتين منهما في العنوان «ب» الذي يخصّ الكتابة بغير ترتيب النزول بأمر النبي.

٣. الإتقان: ١٩١ ـ ١٩٣.

وكان يرى أيضاً أنّ الأمة ضبطت عن النبيﷺ ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة.

وقال مكّي وغيره: ترتيب الآيات في السُوَر بأمر من النبيﷺ، ولمّا لم يأمر بذلك في أوّل بَراءة تُركت بلا بسملة.[1]

ونقل الزركشي أيضاً عن أبي الحسين بن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا)

إنّ جمع الآيات في السُوَر توقيفي تَولاّه النبيﷺ.[2]

ولكن هل الواقع هكذا أيضاً؟ وهل ترتيب كلّ الآيات في كلّ السُوَر توقيفي؟

لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي أن تكون جميع الآيات المكّية في السُوَر المكّية، وجميع الآيات المدنية في السُوَر المدنية، في حين أنّ أصحاب هذا الرأي كالسيوطي والزركشي تحدّثوا في كتاباتهم بالتفصيل عن الآيات المستثناة (الآيات المكية في السُوَر المدنية وبالعكس) وأوردوا أمثلة منها:

فإن قال قائل إنّ الرسول نفسه كان يفعل ذلك أحياناً ويخرج عن ذلك الترتيب، فهذا عين التوقيفية، والجواب عن هذا الكلام، واضح وهو كما ذكرنا سابقاً بأنّ مثل هذا العمل ـ أي أن يأمر الرسول بوضع كذا آية في الموضع الفلاني من سورة سابقة ـ لم يذكر في المصادر إلاّ في مواضع معدودة.

وهذه الموارد استند إليها كلّ من قال بتوقيفية ترتيب جميع الآيات، فأصدروا حكماً عامّاً وشاملاً بشأن كلّ الآيات على أساس رواية نقلها عثمان بن أبي العاص أو ابن عبّاس، بينما كان ما نقلاه حول تعيين موضع آية واحدة فقط.

كما أنّ الاستدلال الذي ساقه جلال الدين السيوطي على توقيف جميع الآيات، فهو استدلال غير تامّ؛ لأنّ نسبة قراءة سورة من القرآن في أزمنة وأمكنة

---

١. الإتقان: ١٩٣.

٢. المصدر.

مختلفة إلى الرسول، يعني أوّلاً: إنّه لا يشمل جميع السور، وثانياً: إنّ الكلام يدور حول تدوين وتنظيم الآيات وليس قراءتها، فهذا التنظيم حصل في عهد الرسول وبعد رحلته، وقراءته لا تنفي إمكانية تقديم وتأخير الآيات في السُوَر من قبل الآخرين، ويجب الإقرار بأنّ ترتيب بعض الآيات القرآنية في عدد من السور، حصل باتفاق الصحابة.

ز) جُمّاع القرآن

كانت هناك جماعة تتولّى كتابة القرآن للنبيّ ﷺ، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع أن يقوم أفراد من الصحابة بكتابة آيات وسُوَر والاحتفاظ بها لأنفسهم.

سأل قتادة أنس بن كعب: مَنْ جَمَع القرآنَ على عهد رسول الله؟ فقال: أربعة كلّهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.[1]

وجاء في خبر آخر: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.[2]

وقال أبو عبد الله الزنجاني:

وجَمَعَ بعضُ الصحابة القرآنَ كلّه على عهد النبي ﷺ. وبعض منهم جمعه، ثُمّ كمّله بعد النبي ﷺ. ذكر محمد بن إسحاق في الفهرست: إنّ الجُمّاع للقرآن على عهد النبي ﷺ هم: علي بن ابي طالب عليه السلام، وسعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل بن أوس، وأبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان، وأُبيّ بن كعب بن قيس ملك امرؤ القيس، وعبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت.[3]

---

١. *صحيح البخاري*: ٤٧/٩؛ *البرهان*: ٣٣٤/١.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٧/٨٩.

٣. *تاريخ القرآن*: الفصل الثامن/٤٦.

قال البعض: إنّ الجمع في هذه الروايات بمعنى الحفظ؛ لأنّهم كانوا يُطلقون على حفّاظ القرآن اسم «الجُمّاع». ولكن هذه الدعوى لا تصحّ، ولا تستند إلى أي دليل، بل إنّ الشواهد المتقدّمة كلّها تدلّ على خلاف ذلك. أضف إلى ذلك أنّ قُرّاء القرآن وحفّاظه في عهد الرسولﷺ كانوا كثيرين جداً، وقد تقدّم الكثير ممّا يدلّ على ذلك، فلا معنى لتخصيص هؤلاء بالذكر، فقد كانت المصاحف منتشرة لدى الصحابة على نطاق واسع، وكانﷺ يحثّهم باستمرار على قراءة القرآن نظراً، وهذا يدلّ على وجود كتابات كثيرة للمصحف في عهد الرسول.[1]

وقال الحاكم في *المستدرك*: جُمِع القرآن ثلاث مرّات، إحداهما بحضرة النبيﷺ.[2]

طبعاً لا دليل على أنّ جُمّاع القرآن في عهد الرسول نظّموا ورتّبوا سُوَره، والقدر المسلم به أنّ كتابة القرآن بدأت في زمانه. وكلّ الشواهد والقرائن تدلّ على اهتمام النبيﷺ الشديد بهذا الأمر.

الخلاصة

١. منذ بداية نزول القرآن، سخّر جميعُ المسلمين كلّ قواهم وطاقاتهم في مجالي حفظه وكتابته.

٢. ليس هناك إحصاء دقيق لعدد كُتّاب الوحي، ولكن الذين يوجد إجماع عليهم هم علي بن أبي طالبعليه السلام، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.

٣. الأدوات التي ذكرت الروايات التاريخية أنّ القرآن كان يُكتب عليها، وهي: العسب، واللخاف، والرقاع، والأديم، والاكتاف، والأقتاب، والأضلاع، والحرير، والقراطيس.

---

١. *حقائق هامّة حول القرآن*: ٩٩ ـ ١٠٠.

٢. *البرهان*: ١/٢٣١؛ *الإتقان*: ١/١٨١.

٤. كان كُتّاب الوحي يكتبون آيات حسب ترتيب نزولها، بأمر النبيﷺ. ومتى ما نزلت «البسملة» كانت دلالة على نهاية سورة وبداية سورة أُخرى.

٥. في بعض الحالات كانت توضع الآيات النازلة بين آيات سورة أُخرى، بأمر النبي أو بأمر جبرئيل.

٦. ترتيب آيات القرآن في أكثر السُوَر توقيفي، وحصل عدد منها حسب رأي واجتهاد الصحابة.

٧. قام بعض الصحابة في زمن الرسولﷺ بجمع آيات وسُوَر القرآن لأنفسهم.

الدرس الثاني

القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ

تمهيد

ظنّ بعض الكتّاب بأنّ من يقولون بأنّ القرآن أصبح على شكل «مصحف» بعد وفاة الرسول، لا يعتقدون بكتابة القرآن في زمن الرسول، في حين أنّ الأمر ليس كذلك، بل كما ذكرنا بأنّ كتابة وتنظيم آيات القرآن حصلت بلا شكّ قبل وفاة الرسول، ولا أحد ينكر ذلك. والفارق الوحيد في ذلك أنّ هناك فريقاً يعتقد بأنّ القرآن بصورته الحالية قد كتب كلّه في عهد رسول الله ﷺ، ورُتّب على شكل مصحف (بين لوحين).

ويرى فريق آخر بأنّ القرآن كُتب في عهد الرسول ورُتّبت آياته في كلّ سورة، إلاّ أنّ ترتيب السُوَر ـ أو كلّ السُوَر على الأقلّ ـ وجعله مصحفاً، حصل بعد وفاة الرسول.

وعلى هذا الأساس يمكن صياغة الاختلاف الموجود بين هذين الرأيين في السؤال التالي: هل تمّ تنظيم القرآن على شكل «مصحف» قبل وفاة الرسول أو بعدها؟

والآن بعد أن تبيّن موضوع البحث، ندرك بكلّ جلاء عدم وجود أي اختلاف جذري وأساسي في قضية تدوين وكتابة القرآن، والقول بأي من هذين الرأيين لا ينطوي على النيل من اهتمام الرسول والمسلمين بالقرآن.

أدلّة القائلين بجمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ

أوّل وأهمّ دليل يستند إليه هذا الفريق هو الروايات؛ إذ يقول هذا الفريق بما أنّ قضية جمع القرآن قضية تاريخية، فلا بدّ من البحث عن حقيقتها بين طيّات التاريخ، والشواهد التاريخية تثبت أنّ القرآن جُمع على شكل مصحف بعد وفاة الرسول ﷺ:

١. قال زيد بن ثابت الذي كان من كُتّاب الوحي:

قُبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء!

٢. وقال الخطابي أيضاً:

كان القرآن كُتب كلّه في عهد رسول الله ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السور.[١]

٣. اعتبر القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب *الانتصار* أنّ جَمع أبي بكر كان جمعاً للقرآن بين لوحين.[٢]

٤. قال أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبي في *فهم السنن*:

كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنّه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنّه كان مفرّقاً في الرقاع والأكتاف والعسب، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ، فأمر أبو بكر بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، فجمعها جامع وربطها بخيط حتّى لا يضيع منها شيء.[٣]

ومن الأدلّة الأخرى على أنّ القرآن جمع بعد وفاة الرسول هو تدرّج نزول القرآن واستمرار نزول الوحي إلى أواخر حياة الرسول ﷺ، وهو ما حال دون جمع القرآن.

---

١. *الإتقان*: ١٨١/١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٠/١٢.

٢. *الإتقان*: ١٨٩/١.

٣. *البرهان*: ٣٣٢/١؛ *الإتقان*: ١٨٥/١؛ *مناهل العرفان*: ٢٥٠/١.

وبما أنّه كان هناك على الدوام انتظار نزول آيات وسور، لم يُقْدم النبي على ترتيب السُوَر بنفسه:

قال العلّامة المجاهد محمد جواد البلاغي في تفسيره:

ولمّا كان وحيه لا ينقطع في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يكن كلّه مجموعاً في مصحف واحد، وإن كان ما أُوحي منه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له.[١]

وهذا الدليل ذكره جماعة آخرون أيضاً.[٢]

الدليل الثالث على جمع القرآن بعد وفاة الرسول، الروايات الكثيرة الدالّة على جمعه على يد علي بن أبي طالب، فلو كان القرآن جمع في عهد الرسول صلى الله عليه وآله بشكله الحالي، فَلِمَ بادر علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جمعه؟ ولماذا أمر الرسول صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام جمعه بعد رحلته؟

قال العلّامة البلاغي:

من المعلوم أنّ علياً امير المؤمنين عليه السلام عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرتد برداء إلاّ للصلاة حتّى جمع القرآن على ترتيب نزوله، وتقدّم منسوخه على ناسخه.[٣]

ويرى العلّامة الطباطبائي أنّ جمع علي للقرآن من مسلّمات الروايات.[٤]

والدليل الآخر على نفي جمع القرآن في عهد حياة الرسول صلى الله عليه وآله هو الاختلاف الموجود بين المصحف الذي جمعه الرسول صلى الله عليه وآله وبين الذي جمعه علي بن أبي طالب عليه السلام. وهناك من يزعمون أنّ المصحف الذي جمع في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، جُمع على هذا الشكل الحالي. فإن كان الأمر كذلك، فلماذا جَمَع علي بن أبي

---

١. *آلاء الرحمن*: ١٨/١.

٢. *البرهان*: ٣٢٩/١؛ *مناهل العرفان*: ٢٤٧/١؛ *التمهيد*: ٢٨٧/١.

٣. آلاء الرحمن: ١٨/١؛ *بحار الأنوار*: ٤٠/٨٩ وما بعدها.

٤. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٨/١٢.

طالب القرآن على أساس ترتيب النزول؛ الأوّل فالأوّل؟ وهل يمكن القول بأنّ القرآن كان مجموعاً إلاّ ان علياًﷺ رجّح طريقته في الجمع على ما كان قد جمعه رسول الله؟!

وإذا تجاوزنا الكلام عن مصحف عليﷺ، فكلّ واحد من الصحابة الآخرين كان قد نظّم لنفسه مصحفاً خاصّاً به، وهذه المصاحف تختلف ـ كما سنبيّن لاحقاً ـ عن بعضها الآخر أحياناً في تنظيم وترتيب السور. وهذا دليل آخر على عدم جمع المصحف في زمن الرسولﷺ.

يطرح العلّامة الطباطبائي رأياً جازماً في مسألة جمع القرآن يقول فيه:

إنّ جمع القرآن مصحفاً واحداً، إنّما كان بعدما قُبض النبيﷺ بلا إشكال.[١]

أ) جَمْع علي بن أبي طالبﷺ

بدأ عهد تدوين القرآن بعد وفاة الرسول، من قبل الإمام عليﷺ. وكانﷺ له قصب السبق والريادة في جميع الميادين، وكان منذ بداية نزول الوحي ملازماً للرسول على الدوام في كتابته، وقد أمره الرسول في آخر أيام حياته بجمع القرآن.

قال ابن مسعود الذي كان من كبار صحابة الرسول:

ما رأيت أحداً أقرء من علي بن أبي طالبﷺ للقرآن.[٢]

وروى أبو بكر الحضرمي عن الإمام الصادقﷺ: إنّ رسول اللهﷺ قال لعلي:

يا علي، القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة.[٣]

---

١. المصدر: ١٢٠.

٢. *بحار الأنوار*: ٥٣/٨٩.

٣. المصدر: ٤٨؛ *تاريخ القرآن*: ٤٤.

وهكذا رأى علي بن أبي طالب أنّ أكبر مهمّة تقع على عاتقه بعد وفاة الرسولﷺ هي جمع القرآن.

قال ابن عبّاس في ذيل الآية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾:

إنّ علي بن أبي طالبعليه السلام جمع القرآن بعد موت رسول اللهﷺ بستّة أشهر.[1]

وقال ابن سيرين:

قال علي: لما مات رسول اللهﷺ آليت ألاّ آخذ عليّ ردائي إلاّ لصلاة جمعة، حتى أجمع القرآن. فجمعه.[2]

وفي أخبار أبي رافع أنّ النبي قال في مرضه الذي توفّي فيه لعلي:

يا علي هذا كتاب الله خذه إليك.

فجمعه علي في ثوب فمضى إلى منزله فلمّا قُبض النبيﷺ جلس علي فألّفه كما أنزله الله. وكان به عالماً.[3]

١. مزايا مصحف عليعليه السلام

يتميز المصحف الذي جمعه علي بن أبي طالبعليه السلام عن المصاحف التي كانت سابقاً أو جاءت لاحقاً بمزايا كثيرة، نذكر هاهنا قسماً منها:

١. نُظِّمت فيه السُوَر وفقاً لترتيب نزولها، وهذا ما أشار إليه السيوطي في الاتقان وقال:

مصحف علي كان أوّله اقرأ، ثُمّ المدّثر، ثُمّ نون، ثُمّ المزمل، ثُمّ تبّت، ثُمّ التكوير، وهكذا.

وقال الشيخ المفيد في *المسائل السروية*:

ألّف أمير المؤمنين القرآن بحسب ما وجب من تأليفه؛ فقدّم المكّي على

---

١. *بحار الأنوار*: ٥١/٨٩.

٢. *الإتقان*: ١٨٣/١.

٣. *بحار الأنوار*: ٥٢/٨٩.

المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كلٍّ شيء منه في حقّه.[١]

٢. قراءة مصحف علي بن أبي طالب مطابقة تماماً لقراءة الرسول صلى الله عليه وآله.

٣. كان هذا المصحف يَضُم أسباب نزول الآيات، وموضع نزولها، ومن نزلت في شأنهم.

٤. أظهر هذا المصحف الجوانب العامّة للآيات، بحيث لا تكون محدودة ومختصّة بزمان أو مكان أو شخص معيّن.[٢]

٢. مصير مصحف علي بن أبي طالب عليه السلام

جاء في رواية أنّ طلحة سأل علياً عليه السلام عن مصحفه وإلى من يكون من بعده؟ قال له: إلى الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه، وصيي وأولى الناس بعدي بالناس، ابني الحسن، ثُمّ يدفعه ابني الحسن الى ابني الحسين، ثُمّ يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين.[٣]

وأمّا المصاحف أو نسخ القرآن المنسوبة إلى علي بن أبي طالب، والموجودة في بعض المتاحف والمكتبات، فيرى بعض الباحثين أنّ الشواهد والقرائن لا تدلّ على أنّها له.

ب) جمع أبي بكر

كانت حادثة اليمامة واحدة من الوقائع والفتن التي حصلت في خلافة أبي بكر، ففي العام التاسع من الهجرة جاء إلى الرسول عليه السلام مُسَيلَمة الكذّاب مع جماعة من أهل اليمامة، وعند عودته من سفره هذا ارتد عن الإسلام، وكتب رسالة ادّعى

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/٨٩.

٢. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢٢٨/١ ـ ٢٢٩.

٣. المصدر: ٤٢.

فيها الشراكة في النبوّة؛ فلقّبه النبي بمسيلمة الكذّاب.

وفي شهر ربيع الأوّل من السنة الثانية عشرة للهجرة، أي مع بداية السنة الثانية لخلافة أبي بكر، أرسل جيشاً بقيادة خالد بن الوليد لمحاربة مسيلمة، وكان عدد أفراد جيش خالد ٤٥٠٠ مقاتلاً، دخلوا معركة غير متكافئة ضد أربعين ألف مقاتل من أنصار مسيلمة، وفي ختام الأمر قُتل مسيلمة وتحقّق النصر للمسلمين، ولكنّه كان نصراً باهض الثمن؛ حيث قُتل منهم ١٧٠٠ شخصاً، كان من بينهم ٧٠٠ أو ٤٥٠ أو على أقل تقدير ٧٠ من الصحابة وحملة القرآن.

بعد هذه الحادثة، خشي عمر أن تقع حوادث مشابهة، فاقترح على الخليفة الأوّل جمع القرآن، فوافق أبو بكر على هذا العرض، وكلف زيد بن ثابت بجمع القرآن.

إليك فيما يلي شرحاً لهذه القضية جاء على لسان زيد بن ثابت:

أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر جالس عنده، فقال أبو بكر: إنّ عمر جاءني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء في كلّ المواطن، فيذهب من القرآن كثير وإنّي أرى أن تذهب بجمع القرآن، قال: قلت لعمر: وكيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتّى شرح الله صدري للّذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الّذي رأى عمر، قال زيد: فقال لي أبو بكر: إنّك رجل شابٌّ عاقل، لا نتهمّك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فأجمعه، قال زيد: فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن.

قال: قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله؟ فقال أبوبكر: هو والله خير، قال: فلم يزل أبو بكر يراجعني ـ وفي رواية أخرى فلم يزل عمر يراجعني ـ حتّى شرح الله صدري للّذي شرح له صدر أبي بكر، قال: فتتبّعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللّخاف وصدور الرجال.[1]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥/٨٩ ـ ٧٦.

نقل اليعقوبي أنّ أبا بكر أجلس ٢٥ رجلاً من الأنصار وقال لهم:

اكتبوا القرآن واعرضوه على سعيد بن العاص، فإنّه رجل فصيح.[١]

ونقل عن هشام بن عروة عن أبيه:

إنّ أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.[٢]

إحدى المؤاخذات على جمع القرآن في عهد أبي بكر هو ما تنص عليه هذه الرواية والروايات المشابهة، فقد جمعوا آيات القرآن ـ التي يجب أن تثبت بدليل قطعي ومتواتر ـ بهذه الطريقة البدائية البسيطة، وكان إثبات الآية أو حتّى السورة يُقبل بمجرّد أن يأتي الشخص بشاهدين، بينما يجب أن يثبت النصّ القرآني بالتواتر لا بشاهدين عادلين. وقال المعترضون على هذه الطريقة في جمع القرآن: إنّها تستلزم وقوع التحريف في كتاب الله؛ لأنّها لم تستخدم الضمانات الكافية ولا اتّبعت الدقّة اللازمة، وبالنتيجة فإنّ مثل هذا الجمع لا يبعث على الاطمئنان عادة.[٣]

لكننا نعلم بأنّ حُفاظ القرآن كانوا كثيرين، وكان زيد نفسه من حفظة القرآن. وجاء جمع القرآن ـ حسب تعبير العلّامة البلاغي ـ تحت إشراف الآلاف من حفّاظ القرآن.[٤]

وعلى هذا الأساس ينبغي النظر إلى المراد من الشاهدَين في هذه الرواية.

قال ابن حجر: وكأنّ المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، والمراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كُتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد أنّهما يشهدان على أنّ ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن.

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ١١٨/١٢.

٢. *الأتقان*: ١٨٤/١؛ *مناهل العرفان*: ٢٥٢/١.

٣. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٥٧.

٤. *آلاء الرحمن*: ١٨/١.

وقال أبو شامة:

وكان غرضهم ألّا يُكتب الاّ من عين ما كُتب بين يدي النبيّ صلّى الله عليه وآله، لا من مجرّد الحفظ. ولهذا قال زيد ـ مع أنّه كان حافظاً للقرآن ـ عن آخر سورة براءة: لم أجدها إلاّ عند أبي خزيمة الأنصاري، أي لم أجدها مكتوبة مع غيره؛ لأنّه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة.[1]

وجاء في ختام الخبر الذي عرض فيه أبو بكر على زيد جمع القرآن، ما يلي:

فتتبّعتُ (القرآن) حتّى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ..﴾.[2]

وهناك قصّة شبيهة بهذه وردت عن زيد بن ثابت حول آية من سورة الأحزاب:

فُقِدَت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾، فألحقناها في سورتها في المصحف.[3]

يُستفاد من هذا الخبر أمران:

الأوّل: إنّ هذه الآية لم تكن مكتوبة عند أحد غير خزيمة؛ لأنّ زيداً نفسه قال: قد كنت اسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله يقرأ بها. ويتّضح من هنا أنّ المراد بشهادة العدلين، الشهادة على ما كُتب بين يدي الرسول، وإلاّ فلا حاجة لذلك في ضوء حفظ السورة من قبل آخرين، وهذا يظهر غاية دقّة عمل الجماعة الذين كلفوا بجمع القرآن وذلك خلافاً لما تصوّره المعترضون.

ثانياً: فالمراد من شاهدي العدل ليس شاهدين إضافة إلى المدّعي، وإنّما أحدهما الشخص الذي يدّعي الآية أو السورة، والآخر الشخص الذي يؤيّد قوله، ولهذا السبب قُبل قول خزيمة بناءً على أنّ الرسول جعل شهادته بشهادة رجلين.

---

١. *الإتقان*: ١٨٤/١؛ *مناهل العرفان*: ٢٥٢/١.

٢. *صحيح البخاري*: ٥٨١/٦.

٣. *صحيح البخاري*: ٥٨١/٦؛ *البرهان في علوم القرآن*: ٣٢٨/١؛ *الإتقان*: ١٨٧/١؛ *بحار الأنوار*: ٧٧/٨٩.

تنبيه

في النسخ المخطوطة والمطبوعة من *صحيح البخاري*، جاء في الرواية المذكورة اسم أبي خزيمة، إلّا أنّ الصحيح هو خزيمة بن ثابت الأنصاري، الصحابي الجليل؛ لأنّ الشخص الذي جعل الرسول شهادته بشهادتين لم يكن إلاّ خزيمة بن ثابت.[١]

والذي يُفهم من الوثائق التاريخية وأقوال عدد من المهتمّين بعلوم القرآن، أنّ القرآن جُمِعَ في زمن الخليفة الأوّل، على يد زيد بن ثابت، وإن كان بعض الباحثين يرى استناداً إلى عدّة شواهد، بأنّه قد جُمِع قبل وفاة النبي.[٢]

ج) مصاحف الصحابة

تحدثنا حتّى الآن عن جمع القرآن على يد عليعليه السلام، وأيضاً على يد زيد بن ثابت (الجمع الذي أمر به الخليفة الأوّل). وخلال الفترة بين الممتدة من وفاة النبي إلى بداية خلافة عثمان، قام جماعة آخرون من الصحابة بجمع القرآن، وراج مصحف كلّ واحد منهم في بقاع مختلفة من البلاد الإسلامية تبعاً لمكانة وشخصية كلّ واحد منهم.

كان الشاميون يقرؤون القرآن على أساس مصحف أُبي بن كعب، والكوفيون يقرؤونه على أساس مصحف عبدالله بن مسعود، والبصريون على أساس مصحف أبي موسى، وما إلى ذلك. وإذا حصل اختلاف في القراءة، كان أهالي كلّ بلد يرجعون إلى قراءة المصحف المعروف لديهم والمنسوب إلى أحد الصحابة، ولكنّنا نكتفي هنا بتسليط الأضواء على مصحفين فقط من بين تلك المصاحف، وهما: مصحف أُبي بن

---

١. *حاشية البرهان*: ٣٢٨/١؛ *التمهيد*: ٣٠١/١.

٢. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٤٠ ـ ٢٦٩.

كعب،[١] ومصحف عبدالله بن مسعود،[٢] ونتحدّث عمّا يتميّز به كلّ واحد منهما.

---

١. أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد، من الأنصار من بني النجّار. من أصحاب رسول الله ﷺ ومن كتاب الوحي. وكانت له منزلة رفيعة في القراءة وجَمْع وتعليم القرآن، وكذلك في التفسير والفقه. رُوي إنّ رسول الله ﷺ كان يكنّيه بـ«أبي المنذر» ويروي أنّ رسول الله لقّبه بـ«سيد الأنصار». وكان المسلمون يسمّونه سيّد المسلمين ولما يزال حياً. كان أُبي يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة. وأوّل ما نعرفه عنه في الإسلام إنّه شهد العقبة مع السبعين من الانصار وبايع الرسول.

شهد أُبي بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ. وإضافة إلى كتابة الوحي، كان كاتب رسول الله ﷺ. وبعد وفاة الرسول ﷺ كان أُبي بن كعب من الاثنى عشر رجلاً الذين أنكروا ما حصل في قضية خلافة رسول الله ﷺ.

أُبي وعلوم القرآن

جاء في الرواية أنّه قرأ كلّ القرآن على رسول الله ﷺ. وورد في حديث مشهور أنّه أحد الأربعة الذين أمر رسول الله ﷺ بتعلّم القرآن منهم.

وجاء في حديث آخر ان رسول الله ﷺ وصفه بأنّه: أقرأ أمّتي لكتاب الله. وتفيد بعض الروايات القديمة أنّ قراءة أُبي كانت شائعة قبل كتابة مصحف عثمان، وكانت واحدة من عدّة قراءات متداولة حينذاك. وهناك أخبار تفيد أنّ عمر كان يعترض على قراءته أحياناً، وبعد كتابة مصحف عثمان، التي كان أُبي واحداً من الذين قاموا بها، كانت قراءة أُبي تحظى بالاهتمام، وانتقلت إلى اللاحقين من جيل إلى جيل، وغدت أساساً للقراءة التي غدت هي القراءة المعتبرة في القرون اللاحقة. وهناك من بين القراءات السبع القراءة الحجازية لنافع، وابن كثير، وقراءة البصري أبي عمرو بن العلاء، التي كانت ذات طابع حجازي، قد جعلت إلى حد بعيد على أساس قراءة أُبي. وفي القراءة الكوفية هناك تأثير واضح لأُبي بن كعب، في قراءة عاصم والكسائي. وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أهل البيت يقرؤون على قراءة أُبي.

وفي عهد عثمان بن عفان، أثناء جمع وكتابة القرآن، كان أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت أبرز أعضاء مجموعة الاثني عشر رجلاً الذين كلفوا بالقيام بهذه المهمّة. وقد جاء في أقدم الأخبار أنّ جماعة من أهل العراق قصدوا محمد بن أُبي وطلبوا منه مصحف أُبي، فقال لهم بكلّ صراحة أنّه قد قبضه عثمان. وفي النصف الثاني من القرن الأوّل للهجرة شاهد محمد بن كعب القرظي، نسخة من مصحف أُبي، ولم يكن هنالك فارق ملحوظ بينها وبين المصحف العثماني. يُفهم ممّا جاء في مستدرك الحاكم النيسابوري أنّ أُبياً كان حياً عند بداية اعتراض الناس على عثمان، ومات قبل مقتل عثمان. *دائرة المعارف بزرگ اسلامي*: ٤٦٣/٦ ـ ٤٦٥.

٢. عبد الله بن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي. كانت أمّه تُسمّى «أم عبد» ولهذا السبب لُقّبَ بـ«إبن أم عبد». روى أبو نعيم أنّه كان سادس من دخل الإسلام. وكان رجلاً جليل القدر

١. مصحف أُبي بن كعب

ذكر جلال الدين السيوطي في *الإتقان*، نقلاً عن كتاب المصاحف لابن اشتة، نقلاً عن أبي جعفر الكوفي، قائمة بأسماء السُوَر في مصحف أُبي بن كعب، وكان يبدأ بسورة الحمد، وبعدها السُوَر الطّول، أي البقرة، والنساء، وآل عمران، والأنعام، والأعراف، والمائدة، ويونس، وآخر سورة فيه هي سورة الناس.[١]

روى ابن النديم عن الفضل بن شاذان: أخبرنا الثقة من أصحابنا أنّه رأى مصحف أُبي بن كعب في قرية يُقال لها الأنصار، عند محمد بن عبد الملك الأنصاري، بَيّن فيه ترتيب السُوَر في مصحف أُبي. والذي يلفت الانتباه في هذا الخبر بقاء نسخة من مصحف أُبي حتّى منتصف القرن الثالث للهجرة.[٢] واعتمد أبو عبد الله الزنجاني، كتاب *الفهرست* لابن النديم كمصدر لترتيب مصحف أُبي بن كعب.[٣]

نلاحظ من خلال المقارنة بين هذين المصدرين، عدم وجود اختلاف في ترتيبهما

وعظيم الشأن وكبير المنزلة. وكان خادم رسول الله الأمين وصاحب سرّه ورفيقه في حلّه وترحاله. وهو ذو الهجرتين، أي أنّه هاجر مرّة إلى الحبشة، ومرّة إلى المدينة. شهد كلّ غزوات رسول الله، ويعتبر من حفّاظ القرآن وفقهاء الصحابة. نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء مليء علماً. وولي بعد وفاة النبيﷺ بيت مال الكوفة، ثُمّ قدم المدينة في خلافة عثمان. وكان من الذين شهدوا جنازة أبي ذر، وباشروا تجهيزه. وهو من المعروفين بولايتهم لأهل البيت عليهم السلام إلى جانب عمّار وسلمان وأبي ذر والمقداد وأُبي بن كعب. روي إنّه أخذ سبعين سورة من القرآن من فم رسول الله وبقيّته من علي. وقالوا: إنّه لا خلاف بين الأمّة في طهارة ابن مسعود وفضله وايمانه. توفي عام ٣٢هـ ودفن في البقيع. روي إنّ نزاعاً وقع بينه وبين عثمان في أيام تدوين مصحف عثمان. وهذا ما سنشير إليه في الفصل الرابع. ر.ك، *الكنى والألقاب*: ١/ ٢١٦، و ٤٧٠؛ *الأعلام* للزركلي: ١٣٧/٤؛ الدكتور راميار، تاريخ القرآن: ٣٥٤.

١. *الاتقان*، ٢٠١/١ ـ ٢٠٢.

٢. *الفهرست*: ٢٩ ـ ٣٠.

٣. *تاريخ القرآن*: ١٤١ ـ ١٤٤.

إلى السورة الرابعة والعشرين، أي إلى سورة «المؤمنون» (في مصحف أُبي)، ولكن يلاحظ من بعد ذلك وجود اختلاف بينهما في ترتيب السُوَر وذكرها.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ كلا المصدرين *الفهرست* لابن النديم، *والإتقان* ذكرا سورتي «الخَلْع» و«الحَفْد» في عداد سُوَر مصحف أُبي بن كعب، وهاتان السورتان في *الفهرست* لابن النديم هما السورة ٩٠، والسورة ٩٢.

٢. خصائص مصحف أُبي بن كعب

١. تقدّمت في ترتيب سوره الطُوَل، سورة يونس، على سورة الأنفال.

٢. يبدأ بسورة الحمد، وينتهي بالمعوذتين، وهو في هذا الجانب لا يختلف عن المصحف الحالي.

٣. يضم مصحف أُبي دعاءين، ذكرهما كسورتين، واسمهما سورة الخَلْع، وسورة الحَفْد.

وسورة الخلع هي كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم: اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يكفرك.

وسورة الحفد كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم: اللّهمّ إيّاك نعبد، ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد. نخشى عذابك. ونرجو رحمتك، أنّ عذابك بالكفّار ملحق.

وعلى هذا ينبغي أن يكون عدد سُوَر مصحف أُبي ١١٦ سورة.

يرى أكثر المؤرخين أنّ الخلع والحفد كانا دعاءين يُدعى بهما في القنوت. فقد نقل محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أُبي بن كعب أنّه كان يقنت بالسورتين، فذكرهما. وأنّه كان يكتبهما في مصحفه.[١]

---

١. *الإتقان:* ٢٠٦/١.

وتفيد أخبار أُخرى أنّ رسول الله كان يدعو بهذين الدعاءين في القنوت، وقد كتبهما أُبي في مصحفه كي لا ينساهما، إلاّ أنّ الذين جاؤوا بعده توهّموا أنّهما جزء من مصحفه.

٤. لوحظ وجود اختلاف في قراءة مصحف أُبي ناجم عن تأثير اللهجة.

نذكر مثلاً أنّه اتبع لهجة الحجاز، ففك الادغام في الآية: ﴿...لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ...﴾. وقال: فلا يضرركم كيدهم،[1] أو لَفَظ كلمة بُعْثِرَ بُحثر، ولفظ إنّا أعطيناك، إنا أنطيناك.[2]

٥. كان أُبي بن كعب يستخدم أحياناً في الآيات كلمات مترادفة، فكان يقول في ﴿...وَلَا الضَّالِّينَ﴾، غير الضالين، ويقول بدلاً من: ﴿...مَشَوْا فِيهِ...﴾[3] مضوا فيه، وبدلاً من: ﴿...مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا...﴾[4] من هبّنا.[5]

٣. مصحف عبد الله بن مسعود

ذكر كل ابن النديم في *الفهرست*، والسيوطي في *الإتقان*، قائمة بسُوَر مصحف عبد الله بن مسعود،[6] ذكر السيوطي ترتيب سُوَر هذا المصحف بشكل مبوَّب حسب السُوَر الطُوَل، والمئين، والمثاني، والحواميم، والمفصَّل. وعند المقارنة بين هذين المصدرين، يلاحظ تشابه ترتيب السُوَر في مجموعتي السُوَر الطُوَل والمئين، مع قليل من الاختلاف.

السُوَر الطول هي: البقرة، النساء، آل عمران، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس.

---

١. آل عمران: ١٢٠.

٢. *تاريخ القرآن*، محمود امیار: ٣٤٨.

٣. البقرة: ٢٠.

٤. يس: ٥٢.

٥. تاريخ القرآن، محمود راميار: ٣٤٨.

٦. *الفهرست*: ٢٩؛ *الإتقان*: ١/٢٠٢ ـ ٢٠٣.

والسُوَر المئين هي: براءة، النحل، هود، يوسف، الكهف، بني إسرائيل، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات.

والسُوَر المثاني هي: الأحزاب، الحجّ، القصص، طس، النمل، النور، الأنفال، ومريم، العنكبوت، الروم، يس، الفرقان، الحجر، الرعد، سبأ، الملائكة، إبراهيم، ص، الذين كفروا (القتال)، لقمان، الزمر.

وسُوَر الحواميم: حم المؤمن، الزخرف، السجدة، حم عسق، الأحقاف، الجاثية، الدخان.[1]

وسُوَر الممتحنات: إنا فتحنا لك، الحشر، السجدة، الطلاق، ن والقلم، الحجرات، تبارك، التغابن، إذا جاءك المنافقون، الجمعة، الصف، قل أوحي، إنا أرسلنا، المجادلة، الممتحنة، يا أيّها النبيّ لم تحرّم.

وسُوَر المفصل: أوّل هذه السُوَر في مصحف عبد الله بن مسعود، «الرحمن»، وآخرها سورتا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و(الانشراح).[2]

السُوَر التي لا وجود لها في ما نقله *الإتقان* هي: الفاتحة، ق، الحديد، الحاقّة، الفلق، والناس.

---

١. في *الفهرست* لابن النديم سقطت سورة «الشورى» من القلم.

٢. يمكن توضيح وجه تسمية هذه المجموعات الستّة ما يلي:

السبع الطول: لأنّها السُوَر السبعة الطوال في القرآن.

المئون: لأنّ كلّ سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها.

المثاني: وهي السُوَر التي تأتي بعد المئين من حيث كبرها وكثرة آياتها، وهي من الثني بمعنى الميل. ويرى البعض: إنّها مشتقّة من «التثنية، وقالوا في وجه تسميتها أنّ تكرار القراءة في سُوَر المثاني أكثر من السُوَر الطُوَل والمئين».

الحواميم: يُطلق هذا الاسم على مجموعة السُوَر التي تبدأ بـ«حم».

الممتحنات: وتُطلق هذه التسمية على مجموعة من السُوَر من باب التغليب.

المفصّل: وهي مجموعة السُوَر القصيرة، وسمّيت بهذا الاسم لكثرة الفصل بينها بالبسملة.

السُوَر التي لا وجود لها في ما نقله *الفهرست* هي: الفاتحة، الحجر، الكهف، طه، النمل، الشورى، الزلزلة، الفلق، الناس.

٤. مزايا مصحف ابن مسعود

١. في مصحف عبد الله بن مسعود ـ استناداً إلى كلا المصدرين ـ ترتيب سورة الأنفال، هي السورة العشرون، ووضعت في قسم المثاني، في حين تقع في مُصحف أُبي بن كعب، قبل سورة التوبة، وترتيبها الأوّل في قسم المئين.

٢. هذا المصحف مُرَتّب وفقاً لطول السُوَر تقريباً، عدا مجموعة سُوَر الحواميم.

٣. يخلو من سورة الفاتحة والمعوذتين.

قال ابن سيرين:

وكان عبد الله بن مسعود لا يكتب المعوّذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب.[١]

ولم تكن عدم كتابته للسورة لعدم اعتقاده بها، وإنّما كانت كتابة القرآن من أجل الحفاظ على سُوَره، ولم يكن ثمة خوف على سورة فاتحة الكتاب؛ لأنّ المسلمين كانوا يقرؤونها في صلاتهم.

أمّا فيما يخصّ حذفه سورتي الفلق والناس؛ فلأنّه كان يعتقد أنّهما عوذة يُتَعوّذ بهما لدفع العين أو السحر، كما ورد أنّ النبيﷺ تعوّذ بهما من سحر اليهود.[٢]

٤. قال صاحب الإقناع أنّ في مصحف ابن مسعود «بسملة» في بداية سورة براءة.[٣]

٥. في مصحف عبد الله بن مسعود أُجيز استبدال كلمة من القرآن بأُخرى مرادفة لها. قال عون بن عبد الله:

---

١. *الفهرست*:٢٩.

٢. *التمهيد*: ٣١٤/١.

٣. *الإتقان*: ٢٠٤/١.

إنّ عبد الله بن مسعود أقرأ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ فقال الرجل: طعام اليتيم. فردّها فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أنّ تقول: طعام الفاجر؟ قال: نعم. قال: فافعل.[١]

وذكر ابن قتيبة أنّ ابن مسعود قرأ الآية: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾.[٢] كالصوف المنفوش؛ لأنّ العهن معناه الصوف.

٦. نُقل أنّه يوجد في بعض الحالات تقديم وتأخير في بعض كلمات المصحف، نذكر على سبيل المثال أنّ القرّاء يقرؤون الآية: ﴿... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بينما يقرؤها ابن مسعود: على قلب كلّ متكبّر جبار.[٣]

٧. توجد في مصحف ابن مسعود بعض الإضافات التفسيرية، مثلاً أُضيفت عبارة: «وهو قاعد» إلى الآية ٧١ من سورة هود بعد ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ...﴾.[٤]

٨ الكثير من اختلاف القراءات الذي نقل عن ابن مسعود، يتعلّق باللهجة ولفظ الكلمات التي كان يستخدمها. نذكر مثلاً أنّه كان أحياناً يتلفّظ «الحاء» «عيناً»، وكان يقول بدلاً من كلمة «حتّى» «عتّى»، ويتلفظ «عميق» «معيق»، وكافور «قافور»، وبقر «باقر».[٥]

كان هذا عرضاً موجزاً لمصاحف اثنين من كبار الصحابة. أمّا مصاحف سائر الصحابة فمتشابهة تقريباً في تبويب وترتيب السور.

ويوجد بين الصحابة من جعلوا مصاحفهم على أساس ترتيب النزول. نذكر مثلاً أنّ الشهرستاني ذكر في مقدّمة تفسيره، ترتيب مصحف ابن عبّاس، تلميذ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: اقرأ، ن، المزمل، المدثّر، الفاتحة، تبّت يدا، كوّرت، الأعلى، الليل،... الناس.

---

١. *المصدر*: ١٤٩/١.

٢. القارعة: ٥.

٣. *الإتقان*: ١٤٨/١.

٤. *تاريخ القرآن*، راميار: ٣٦٢.

٥. المصدر: ٣٦١.

ونقل الشهرستاني أنّ الإمام الصادقعليه السلام كان لديه مصحف مرتّب على النحو التالي: اقرأ، ن، المزمل، تبت، كوّرت، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، ألم نشرح، العصر، العاديات، الكوثر، التكاثر...، التوبة، المائدة.[١]

الخلاصة

١. اختلاف الآراء حول جمع القرآن قبل أو بعد وفاة الرسولصلى الله عليه وآله، ينحصر في موضوع تدوين المصحف فقط. أمّا كتابة الآيات وتنظيمها في كلّ سورة، فلا أحد ينكر أنّها حصلت في زمن الرسولصلى الله عليه وآله.

٢. هناك أسباب عديدة دعت إلى جمع القرآن لأوّل مرّة بعد وفاة الرسول على يد علي بن أبي طالب، وفي زمن الخليفة الأوّل على يد زيد بن ثابت، ويؤيّد القسم الأساسي من هذه الأسباب، الأدلّة والوثائق التاريخية لجمع القرآن.

٣. لم يجمع القرآن قبل وفاة الرسول على شكل مصحف؛ وذلك للأسباب التالية:

أ) حال دون جمعه تدرّج نزوله واستمراره إلى آخر أيام حياة الرسولصلى الله عليه وآله.

ب) نقلت روايات كثيرة أنّ الرسولصلى الله عليه وآله أوصى علي بن أبي طالبعليه السلام بجمع القرآن من بعده، وقد نَفّذ عليه السلام وصية الرسولصلى الله عليه وآله.

ج) كان مصحف عليّ مرتّباً وفقاً لتسلسل السُوَر. ولو كان هناك قرآن بهذه الصورة الحالية منظم على شكل مصحف لدى الرسولصلى الله عليه وآله قبل رحيله، لما نظم علي مصحفه خلافاً لمصحف الرسول.

د) الاختلافات الموجودة بين مصاحف الصحابة في تنظيم وترتيب السور، تدلّ على عدم تنظيم مصحف قبل وفاة الرسولصلى الله عليه وآله.

٤. كان مصحف علي بن أبي طالب يتميّز بترتيب سوره حسب ترتيب بيان أسباب النزول.

---

١. *تاريخ القرآن*، أبو عبد الله الزنجاني: ٧٧ ـ ٧٩.

٥. كان أحد أهمّ أسباب جمع القرآن على شكل مصحف في زمن خلافة أبي بكر، معركة اليمامة ومقتل ما لا يقل عن سبعين من حفّاظ القرآن.

٦. كان أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود من حُفّاظ وقرّاء القرآن، وروّاد كتابة الوحي وتعليم وتفسير القرآن، والحديث، والفقه، ووقفا إلى جانب الرسولﷺ في كلّ المواقف، وكانوا من الموالين لأهل البيتعليهم السلام. وكان لمصحفيهما مكانة رفيعة بين المسلمين.

٧. كان لكلّ واحد من مصحفي أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود مزايا وخصائص، ويمكن اعتبارهما بشكل عام مقسمين على أساس مجاميع السُوَر الطُوَل، والمئين، والمثاني، والحواميم، والممتحنات، والمفصّل.

الدرس الثالث

جمع عثمان (توحيد المصاحف)

أ) الغاية من توحيد المصاحف

علمنا أنّ جمع القرآن بعد رحيل الرسولﷺ تحقّق بشكل رسمي بأمر من الخليفة الأوّل وبهمة زيد بن ثابت، وقبل ذلك كان عليعليه السلام الذي هو أعلم الناس بالقرآن، قد جمع المصحف، كما اهتمّ كبار الصحابة أيضاً بجمع المصحف. وحظيت مصاحف ذوي المكانة الرفيعة منهم، باهتمام سائرالمسلمين بسرعة. وكان أهالي كلّ بلد يقرؤون المصحف الذي جمعه أحد الصحابة، وأدّى اتساع الفتوحات الإسلامية في العقدين الثاني والثالث للهجرة، وانتشار الإسلام بسرعة، وشغف المسلمين بكتابهم (القرآن)، إلى أن يكرّس من كانوا يحسنون الكتابة، كلّ جهودهم لكتابة القرآن واستنساخ المصاحف الموجودة في كلّ بلد، ومع أنّ أهالي حواضر كالكوفة والشام والبصرة، كانوا يأخذون بمصاحف عبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري على التوالي، إلاّ أنّ هذه البلدان نفسها كثر فيها استنساخ المصاحف نتيجة لحاجة حفظ وقراءة القرآن.

كان الخطّ والكتابة في المراحل الأولى بدائياً وناقصاً، حتّى أنّه كان من المتعذّر القراءة من المصحف دون الاعتماد على الذاكرة، إذ كان الخطّ ـ كما سنلاحظ في

الدرس الخامس ـ خالياً من النقاط وعلامات الإعراب، وكان ما أُنجز في زمن أبي بكر خطوة مهمّة على طريق حفظ القرآن، ولكن كان من المتعذّر تجنّب بروز اختلاف القراءات بين المسلمين. وكانت دائرة تلك الاختلافات تتّسع مع مرور الزمان.

ذكرت المصادر التاريخية حالات عديدة لوقوع اختلافات بين المسلمين في قراءة القرآن، ونُقل أيضاً أنّ هذه الاختلافات دفعت إلى التفكير في إيجاد حلٍّ لها.

نقل البخاري في صحيحه رواية عن أنس بن مالك استأثرت باهتمام من كتبوا في تاريخ القرآن، وجعلوها مستنداً لما كتبوه.

> حَدّث أنس بن مالك، قال: إنّ حذيفة بن اليمّان[1] قدم على عثمان ـ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ـ فأفزعَ حذيفة اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.[2]

وجاء في خبر آخر أنّ حذيفة لما عاد من غزو أذربيجان قال لسعيد بن العاص:

> لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً، لئن تُرك الناس ليختَلِفُنّ في القرآن، ثُمّ لا يقومون عليه أبداً، قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أُناساً من أهل حمص يزعمون أنّ قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنّهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم. ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنّهم قرؤوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنّهم قرؤوا على أبي موسى ويُسمّون مصحفه لباب القلوب. فلمّا وصلوا إلى الكوفة،[3] أخبر حذيفة الناس بذلك، وحذّرهم ما يخاف. فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ وكثير

---

١. حذيفة بن اليمّان: من السابقين في الإسلام.

٢. صحيح *البخاري*، كتاب فضائل القرآن: ٥٨١/٦؛ *البرهان*: ٣٣٠/١؛ *الإتقان*: ١٨٧/١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٢/١٢.

٣. في عام ثلاثين للهجرة، عزل عثمان الوليد بن عقبة من ولاية الكوفة، وولاها بدلاً منه سعيد بن العاص. *الكامل في التاريخ*: ١٠٥/٣.

من التابعين، وخالفه أصحاب ابن مسعود. وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العُريان فادركوا الأمّة.[1]

وهكذا تمهّدت الأجواء لما قام به عثمان من توحيد المصاحف.

ب) جماعة توحيد المصاحف

كان حذيفة بن اليمّان هو الذي ابتكر فكرة توحيد قراءات المصاحف. ويُستفاد من الخبر الذي سبق ذكره، أنّه حتّى قبل القدوم إلى المدينة كان قد عرض هذه الفكرة على صحابة رسول الله في الكوفة، وكلّهم وافقوه عليها عدا عبد الله بن مسعود. وأدرك عثمان ضرورة مثل هذا الإجراء، ولكنّه لم يمكّن إجراءً سهلاً بالنسبة له؛ لأنّه كان يستدعي جمع كلّ المصاحف بما فيها مصاحف كبار الصحابة، ولهذا دعا عثمان الصحابة وشاورهم في الأمر، ورأوا كلّهم ضرورة مثل هذا العمل على ما فيه من صعوبات.

وبعد أنّ اتخذ عثمان قراره النهائي، كانت أوّل خطوة أقدم عليها هي أنّه بعث إلى حفصة (بنت عمر وزوجة الرسول) أن أرسلي إلينا بالصحف (التي كتبت في أيام أبي بكر) ننسخها، وطمأنها بأعادتها إليها.[2]

شكّل عثمان لجنة مكوّنة من أربعة اشخاص هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، عبد الرحمن بن الحارث.[3] وأمرهم إذا اختلفوا مع زيد بن ثابت

---

١. *الكامل في التاريخ*: ١١١/٣ ـ ١١٢.

٢. *البرهان*: ٣٣٠/١؛ *الإتقان*: ١٨٧/١؛ *صحيح البخاري*: ٥٨١/١؛ *الكامل في التاريخ*: ١١٢/٣.

٣. للاطّلاع على مزيد من المعلومات حول أعضاء هذه اللجنة. *تاريخ القرآن*، راميار: ٤١٧ ـ ٤١٩.

كان الأعضاء الأوائل لهذه اللجنة كلّهم من أقارب الخليفة الثالث، وهم كلّ من:

أ) زيد بن ثابت: كان من الأنصار من قبيلة الخزرج، وهو الوحيد الذي لم يكن قرشياً بين هؤلاء الأربعة. كان عمره إحدى عشرة سنة عندما هاجر الرسول إلى المدينة. كان مقرباً إلى الخلفاء ومطيعاً لهم. وكُلّف بهذه المهمّة في عهد أبي بكر.

(غير قرشي) أن يكتبوا القرآن بلغة قريش؛ لأنّه نزل بلغتها.[1]

كان في عهد الرسول كاتباً للوحي. وفي سقيفة بني ساعدة كان يدعو إلى المهاجرين، وكان هو من الأنصار، وفي عهد عمر كان رئيساً للقضاء والفتوى، وكان يستخلفه متى ما خرج من المدينة. وفي عهد عثمان كان على بيت المال، وبقي وفياً لعثمان إلى آخر يوم من حياة عثمان، وامتنع عن البيعة لعلي عليه السلام.

ب) سعيد بن العاص: ولد في مكّة عام الهجرة. قُتِل أبوه يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. نشأ يتيماً في كنف عثمان. قال له عمر يوماً: ما أنا قتلتُ أباك ولكن قتله علي. فقال له سعيد بن العاص: لو قتلته كنت على حقّ وكان على الباطل. وزوّجه عمر بنت سفيان بن عويف، وتزوج لاحقاً بنت عبد الرحمن بن الحارث. وفي عام ٣٠ ولاّه عثمان على الكوفة. (*الكامل في التاريخ*: ١٠٧/٣). مات سعيد في قصره على ثلاثة أميال من المدينة في زمن خلافة معاوية.

ج) عبد الله بن الزبير: أوّل مولود للمهاجرين في المدينة، كان قبيح المنظر وحادّ المزاج، وكانت خالته عائشة تحبّه كثيراً. *التمهيد*: ٢٨١/١.

د) عبد الرحمن بن الحارث: كان ترباً لسعيد. مات أبوه بالشام سنة ثماني عشرة. فتزوج عمر أُمّه. فنشأ في بيت عمر منذ سن الثامنة عشرة وكان يفتخر بذلك، والطريف في الأمر أنّ هؤلاء الثلاثة من قريش ومن أصهار عثمان الذي أعطى ابنته مريم لعبد الرحمن، وزوّج ابنته أُم عمرو لسعيد...، وبعد عبد الرحمن بن الحارث تزوّج عبد الله بن الحارث عائشة بنت عثمان.

ومن الطبيعي أنّ مثل هذا الاختيار كان يثير مواقف متباينة ضدّه، وتشير المصادر التاريخية إلى أنّ أحداً لم يعارض أصل هذا الإجراء وضرورته. وحتّى الإمام عليّ عليه السلام ـ كما سنرى لاحقاً ـ كان له موقف إيجابي وأيّد هدا العمل، ولكن ما يوجب مخالفة الأشخاص مثل عبدالله بن مسعود في قبال عمل العثمان، كيفية اختيار أعضاء هذه اللجنة. وقد عبّر عن استيائه من هذا العمل صراحة حين قال: أُعزل عن جمع المصاحف ولقد تعلّمت سبعين سورة من في رسول الله وزيد صبي يلعب مع الصبيان.

ووصلت هذه المعارضة إلى حدّ أنّ ابن مسعود امتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر مبعوث الخليفة.

قيل إنّ عثمان كان يخطب في المسجد فدخل ابن مسعود.

فقال عثمان: قد قدمت عليكم دابّة سوء. فكلّم ابن مسعود بكلام غليظ. فأمر به عثمان فجر برجله حتّى كُسر له ضلعان. فتكلّمت عائشة وقالت قولاً كثيراً. المصدر.

١. *البرهان*: ٣٣٠/١؛ *الإتقان*: ١٨٧/١؛ *صحيح البخاري*: ٥٨١/٦؛ *الكامل في التاريخ*: ١١٢/٣.

يستفاد من بعض المصادر أنّ تلك اللجنة الرباعية لم تكن إلّا كنواة للجنة أكبر، وأضيف إليها فيما بعد أشخاص آخرون.

قال محمد بن سيرين:

إنّ عثمان جمع للمصحف اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، فكتبوا عدّة مصاحف، ولم يذكروا أسماء الاثني عشر رجلاً بدقّة. ولكن الروايات تشير إلى أنّهم كلّ من: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وكثير بن أفلح، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن عمرو.[١]

ج) كيفية جمع القرآن ومراحله

تشكّلت لجنة توحيد المصاحف عام ٢٥ هـ.[٢] وكان أوّل عمل قامت به هو جمع المصاحف من أطراف البلاد الإسلامية، ثُمّ أرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أن ترسل لهم الصحف الذي جُمعت في زمن أبي بكر، فأبت حفصة أوّل أمرها حتّى عاهدها عثمان ليردّنّها لها بعد الانتهاء من نسخها، وتفيد الأخبار أنّ هذا المصحف كان من المصاحف التي اعتمدها لجنة توحيد ومراجعة المصاحف.

وفي هذه المرحلة جمعت المصاحف وأُرسلت إلى المدينة، وأمر الخليفة أن تُحرق أو تسلّق في الماء الحار والخل.[٣] ولهذا السبب سمّو عثمان «حرّاق المصاحف»، وقد أثنى الكثيرون على ما قام به من توحيد المصاحف، الاّ انهم ذمّوه كثيراً لإحراقها.

---

١. *الإتقان*: ١٨٨/١؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٣٣٩/١.

٢. جاء فيما نقلناه من كتاب *الكامل في التاريخ* لابن الأثير أن أورد سفر حذيفة إلى آذربيجان، ولقائه سعيد بن العاص، وما وقع من حوادث، في حوادث عام ٣٠ للهجرة، إلّا أنّ الباحثين يرون في ضوء الوقائع التاريخية المتعلّقة بفتح آذربيجان وأرمينيا، ومن خلال دراسة الروايات المختلفة في هذا المجال أنّ بداية هذا العمل كانت في أواخر عام ٢٤هـ وأوائل عام ٢٥هـ، وينبغي أن يكون العمل به قد انتهى قبل عام ٣٠ للهجرة. *التمهيد*: ٣٣٣/١ ـ ٣٣٥.

٣. *صحيح البخاري*: ٥٨١/٦؛ *البرهان*: ٣٣٠/١؛ *الإتقان*: ١٨٧/١؛ *القرآن في الإسلام*: ١٩٣.

ومن المصاحف الأُخرى التي اعتمدها، مصحف أُبي بن كعب الذي كان من الجماعة الثمانية الذين أُلحقوا باللجنة الأوّلية، وحتّى أنّ البعض يعتبره رئيس المجموعة التي تألّفت من اثني عشر رجلاً. روى أبو العالية خبراً جاء فيه:

انهم جمعوا القرآن من مصحف أُبي، فكان رجال يكتبون، يملي عليهم أُبي بن كعب.[١]

ومن أنّهم اعتمدوا مصحفي أبي بكر وأُبي، إلّا أنّهم لم يغفلوا الصحف والمدوّنات الأُخرى.

نقل أبو قلابة عن رجل اسمه أنس بن مالك قال، فاجتمعوا فكانوا إذا اختلفوا في آية قالوا: هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلاناً. فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا. فيقول: كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً.[٢]

وبعد جمع وإحراق كلّ المصاحف، وكتابة القرآن على قراءة واحدة، كانت الخطوة التالية مقابلة المصاحف الموحّدة، للتأكّد من توحيد قراءتها وعدم وجود اختلاف بينها.[٣] ونحن نعلم طبعاً أنّ خطّ الكتابة كان بدائياً، ولم تكن تعرف الحروف المعجمة من غير المعجمة، ولم يكن من المتعارف كتابة الألف وسط الكلمة، ولم تكن هناك حركات على الكلمات، ولهذا السبب لم تنجح اللجنة كما ينبغي فيما كانت تسعى إليه رغم ما بذلته من دقّة، إذ وقعت مرّة أُخرى اختلافات في قراءات القرآن.

وكانت الخطوة الأخيرة من عمل اللجنة إرسال نسخة من المصاحف الموحّدة إلى الحواضر والأمصار الإسلامية. وروي إنّ عثمان أرسل مع كلّ مصحف قارئاً يُقرئ

---

١. التمهيد: ٣٤٨/١.

٢. *الإتقان*: ١٨٧/١ ـ ١٨٨؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٢/١٢.

٣. *التمهيد*: ٣١٦/١.

الناس على قراءة ذلك المصحف، وأمر الناس أن يقرؤوا القرآن على قراءة المصحف المرسل إليهم من المدينة.[١]

د) عدد المصاحف العثمانية

هناك أقوال متعددة في هذا المجال منها قول أبي عمرو الداني في كتاب *المقنع*:

> أكثر العلماء على أنّ عثمان لمّا كتب المصاحف جعله على أربع نسخ؛ وبعث إلى كلّ ناحية واحداً: الكوفة والبصرة والشام، وترك واحداً عنده، وقد قيل: إنّه جعله سبع نسخ، وزاد إلى مكّة وإلى اليمن وإلى البحرين، والأوّل أصحّ وعليه الأئمة.[٢]

وقال السيوطي:

> اختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنّها خمسة. ونقل ابن أبي داوود عن حاتم السجستاني: كتب سبعة مصاحف؛ فأرسل إلى مكّة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً.[٣]

وقال اليعقوبي في تاريخه: إنّ المصاحف العثمانية تسعة، وأضاف مصر والجزيرة إلى البلدان السابقة.[٤]

يستفاد من مجموع هذه الأقوال: إنّ المصاحف أُرسلت إلى الحواضر والأمصار المهمّة، وقد بعث عثمان مع كلّ مصحف قارئاً، لكي يقرأ كلّ المسلمين القرآن على قراءته، ويرجعون إليه عند الاختلاف، وكان الناس في كلّ بلد يستنسخون من ذلك المصحف الرسمي، ويكون هو المرجع للمصاحف المستنسخة.

---

١. صحيح *البخاري*: ٥٨١/٦؛ ذيل حديث أنس بن مالك.

٢. *البرهان في علوم القرآن*: ٢٤٠/١؛ *القرآن في الاسلام*: ١٩٣.

٣. *الإتقان*: ١٨٩/١.

٤. موجز *علوم القرآن*: ١٦٥؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢٢/١٢.

وإذا ظهر اختلاف بين المصاحف المرسلة إلى الأمصار، كان المرجع هو المصحف الإمام الذي كان في المدينة المنوّرة وهي عاصمة الخلافة، وأطلق على المصاحف الأُخرى اسم «المصحف الامام» أيضاً لأنّه يعتبر في منطقته للمصاحف الأُخرى التي استنسخت.

هـ) مزايا المصاحف العثمانية

١. نُظمت المصاحف العثمانية من حيث ترتيب السور، على نفس طريقة مصاحف الصحابة، أي روعي في هذه المصاحف التبويب العام للسور؛ مثل السُوَر الطُوَل، والمئين، والمثاني، والممتحنات، والمفصّلات. والفارق المهمّ في ترتيب السُوَر هو في تعيين موضع سورتي الأنفال والتوبة، ففي المصحف العثماني جُعلت هاتان السورتان سورة واحدة، وجاء ترتيبها السابع ضمن السُوَر السبع الطُوَل، وهذا الترتيب ليس له مثيل في المصاحف السابقة.

٢. المصاحف العثمانية مكتوبة بخطّ بدائي خالٍ من النقاط والحركات، والعلامات. وكان هذا واحداً من الأسباب الأساسية لبروز اختلاف في القراءات من بعد توحيد المصاحف. وهذا ما سنتحدّث عنه بالتفصيل في الباب الخامس.

ومن المؤسف أنّ هذه المصاحف بقيت عرضة لتقلّبات الزمان فضاعت ولم يبق منها أثر في الوقت الحاضر.

و) هل ترتيب السُوَر توقيفي أو غير توقيفي؟

إثارة هذا السؤال لا تتعلّق فقط بالجمع الثالث للقرآن، وهو ما يُسمّى بتوحيد المصاحف، وإنّما ينطبق أيضاً على الجمع الثاني (الذي قام به الخليفة الأوّل)، وكما ذكرنا فأنّ ترتيب السُوَر عند توحيد المصاحف، بقي تقريباً على الشكل نفسه

الذي كانت عليه مصاحف الصحابة، والمصحف الذي جمع على عهد الخليفة الأوّل، ولكن السؤال الذي يُثار على الدوام هو: هل كان ترتيب السُوَر سواء في الجمع الأوّل أو في الجمع الثاني، توقيفياً؟ أي على الترتيب الذي أمر به الرسول أم لم يكن توقيفياً وإنّما اجتهادياً؟

الجواب عن هذا السؤال من خلال البحوث التي عرضناها في موضوع جمع القرآن واضح، ولكن هناك من يعتقد بأنّ ترتيب السُوَر توقيفي.

قال أبو جعفر النحّاس: إنّ تأليف السُوَر على هذا الترتيب من رسول اللهﷺ، وذلك أنّ واثلة بن الأسقع نقل عن رسول أنّه قال: أُعطيتُ مكان التوراة السبع الطُوَل، وأُعطيت مكان الزبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضّلت بالمُفصَّل. فهذا الحديث يدلّ على أنّ تأليف القرآن مأخوذ عن النبيﷺ، وأنّه من ذلك الوقت.[١]

غير أنّ كلّ الأدلّة والشواهد تثبت عكس ذلك. فقد قال السيوطي:

رأي جمهور العلماء أنّ ترتيب السُوَر كان باجتهاد الصحابة.[٢]

وقال العلّامة الطباطبائي في *الميزان في تفسير القرآن*:

إنّ ترتيب السُوَر إنّما هو من الصحابة في الجمع الأوّل والثاني، ومن الدليل عليه ما تقدّم في الروايات من وضع عثمان الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس، وقد كانتا في الجمع الأوّل متأخّرين، ومن الدليل عليه ما ورد من مغايرة ترتيب مصاحف سائر الصحابة للجمع الأوّل والثاني.[٣]

وأفضل دليل على عدم توقيفية ترتيب السور، ترتيب مصحف عليؑ الذي نُظم على أساس ترتيب النزول، خلافاً لسائر المصاحف.

---

١. *البرهان*: ١/٣٥٦؛ *الإتقان*: ١/١٩٧.

٢. *الإتقان*: ١/١٩٤.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢/١٢٦.

الخلاصة

١. بعد مرور ما يقارب ثلاث عشرة سنة من جمع القرآن على يد الخليفة الأوّل، جُمع القرآن مرّة أُخرى، وكان سبب هذا الإجراء كثرة اختلافات القراءات بين المسلمين.

٢. اقتراح توحيد القراءات طُرح من قبل حذيفة بن اليمان على الخليفة الثالث. وبعد تشاوره مع صحابة الرسول، أيّدوه كلّهم على القيام بهذا العمل باستثناء عبد الله بن مسعود.

٣. كان سبب مخالفة عبد الله بن مسعود لعثمان، احتجاجاً على طريقة اختيار الأفراد الذين أوكلت إليهم مهمّة كتابة المصاحف العثمانية.

٤. الأعضاء الأوائل في لجنة توحيد كتابة المصاحف هم كلّ من: زيد بن ثابت (من الأنصار)، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث.

٥. مراحل عمل لجنة توحيد وكتابة المصاحف كانت كالتالي:

أ) جمع المصاحف من كلّ أطراف البلاد الإسلامية وإحراقها.

ب) الاستناد إلى مصحف أبي بكر ـ الذي كان عند حفصة بنت عمر ـ ومصحف أُبي بن كعب، وكتابة الآيات على أساس القراءة التي أخذها المسلمون عن النبي.

ج) مطابقة النسخ المكتوبة مع بعضها الآخر للتأكّد من صحّتها وعدم وجود اختلاف بينها.

د) إرسال المصاحف إلى الأمصار الإسلامية وإلزام المسلمين بالسير على قراءة مصحف بلدهم.

٦. كان عدد المصاحف العثمانية خمسة مصاحف على الأقوى، أُرسلت إلى بلاد الشام، والكوفة، والبصرة، ومكّة، وبقيت نسخة في المدينة مركز الخلافة.

٧. بعث عثمان إلى الأمصار المذكورة قارئاً مع كلّ مصحف.

٨. نظمت المصاحف العثمانية من حيث ترتيب السور، على غرار المصاحف السابقة. وكانت خالية من النقاط والحركات والعلامات.

٩. يتّضح من خلال النظر إلى تاريخ القرآن وكيفية جمعه، أنّ ترتيب السُوَر فيه لم يكن توقيفياً.

الأسئلة

١. عَدّد أسماء كُتّاب الوحي، واذكر وسائل الكتابة في عهد النبي.
٢. كيف كان كُتّاب الوحي يرتّبون الآيات في السور؟
٣. لماذا جمع علي عليه السلام المصحف؟ وما مزايا مصحفه؟
٤. ماهي الأُمور التي تتفق وتختلف عليها وجهات النظر في ما يخصّ جمع القرآن؟
٥. اذكر ثلاثة أسباب لجمع القرآن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.
٦. كيف جمع القرآن على يد زيد بن ثابت؟
٧. اذكر بإيجاز مزايا مصحف كلّ من أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود.
٨ ماهي التقسيمات العامّة التي قُسّمت إليها السُوَر القرآنية؟
٩. ما الغاية من توحيد المصاحف؟ ومن الذي ابتكر هذه الفكرة؟ وفي زمن أي خليفة؟ وفي أية سنة بدأت؟
١٠. من كانوا أعضاء لجنة توحيد المصاحف؟
١١. من الذي عارض توحيد المصاحف؟ ولماذا؟
١٢. بيّن بايجاز مراحل العمل الذي قامت به لجنة توحيد المصاحف.
١٣. ما عدد المصاحف العثمانية؟ وإلى أي بلاد أُرسِلت؟
١٤. هل ترتيب السُوَر توقيفي؟ ولماذا؟
١٥. كيف نَقَد كتاب *البيان*، رواية جمع القرآن؟ (ر.ك: *البيان في تفسير القرآن*؛ *والتمهيد في علوم القرآن*: ١/٢٨٥).
١٦. قدّم بحثاً حول العام الذي جرى فيه توحيد المصاحف.
١٧. بيّن في دراسة تاريخية، عَدَد المصاحف العثمانية ومصيرها.

الباب الخامس

قراءات القرآن

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. إلقاء نظرة على مراحل ظهور القراءات إلى القرن الرابع الهجري؛ ٢. دراسة كيفية ظهور القراءات المختلفة بعد توحيد المصاحف، وأسباب ذلك؛ ٣. لمحة على نظرية تواتر القراءات ونقدها؛ ٤. التعرّف على علم تدوين القراءات وسبب حصرها في سبع قراءات؛ ٥. معرفة القرّاء السبعة ورواتهم؛ ٦. الاطّلاع على مقياس صحّة القراءة وآراء العلماء في هذا المجال؛ ٧. نظرة إلى خاصية قراءة عاصم بين القراءات.

المصادر المهمّة

البيان في تفسير القرآن؛ *الإتقان*: النوع ٢٢ ـ ٢٧؛ *البرهان في علوم القرآن*: النوع ١١ و٢٢ و٢٣؛ *مناهل العرفان*: المبحث السادس والحادي عشر؛ *حقائق هامّة حول القرآن الكريم*: الباب الثالث؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٢؛ *علوم القرآن عند المفسرين*؛ *مباحث في علوم القرآن*؛ *كتاب المصاحف*؛ *كتاب السبعة في القراءات*؛ *الحجّة للقراء السبعة*؛ *حرز الأماني ووجه التهاني* (الشاطبية)؛ *الكشف عن وجوه القراءات السبع*؛ *النشر في القراءات العشر*؛ *التيسير في القراءات السبع*؛ *الحجّة في القراءات السبع*؛ *المحتسب*.

الدرس الأوّل

ظهور القراءات

أ) مراحل ظهور وكتابة القراءات

مرّت قراءة القرآن بمراحل مختلفة:

المرحلة الأولى: قراءة الرسول على الصحابة، في هذه المرحلة كان الرسول ﷺ يقرأ بنفسه على الصحابة، وكانت هناك مجموعة من الصحابة تتعلم قراءة القرآن منه مباشرة وبلا واسطة، يمكن أن نذكر منهم مثلاً علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن مسعود، وعثمان، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وغيرهم، وعند تصنيف طبقات القراء، أطلقوا على هذه المجموعة اسم الطبقة الأُولى من القرّاء، وهم الذين عرضوا القرآن على الرسول.

ذكر الذهبي في كتاب *معرفة القرّاء*، الطبقة الأُولى من القرّاء، كما يلي:

١. عثمان بن عفّان.

٢. علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. أبيّ بن كعب.

٤. عبد الله بن مسعود.

٥. زيد بن ثابت.

٦. أبو موسى الأشعري.

٧. أبو الدّرداء.[١]

المرحلة الثانية: قراءة الصحابة وظهور المصاحف، كان صحابة الرسول من الطبقة الأولى الذين تعلّموا القرآن منه، مكلّفين بتعليم القرآن للآخرين وقراءته عليهم، وبعد وفاة الرسولﷺ بلغ بعض أصحابه منزلة رفيعة في القراءة، بحيث اشتهرت قراءتهم ومصاحفهم بين المسلمين، وقد أشرنا في الباب الثالث إلى مصاحف بعضهم مثل أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، والظاهرة المشهورة في المرحلة الثانية من تعلّم قراءة القرآن حيث كان يجري تعليمه على يد بعض الصحابة انتشار قراءة كلّ واحد منهم في البلاد التي كان لهم فيها نفوذ أكثر ومكانة أفضل، نلاحظ في هذه المرحلة أنّهم أذا ارادوا تشخيص قراءة نسبوها إلى صاحبها؛ كأن يقولوا مثلاً: قراءة ابن مسعود، أو قراءة أُبي، قراءة معاذ، أو قراءة أبي موسى وما إلى ذلك.

وعلى هذا الأساس فالسمة الأُساسية لهذه المرحلة نسبة القراءة إلى الاشخاص، وهذا هو ما يميّز هذه المرحلة عن المرحلة التالية لها، وعند تصنيف القراء إلى طبقات، يُصنّف ضمن طبقة القرّاء الذين عرضوا القرآن على قرّاء الطبقة الأُولى، وقد ذكر الذهبي أسماء اثني عشر من مشاهير هذه الطبقة.[٢]

المرحلة الثالثة: قراءة الأمصار وتوحيد المصاحف، شكّل عثمان لجنة من عدّة أشخاص تكفّلت مهمّة جمع ما كان موجوداً من المصاحف من كلّ الولايات الإسلامية، ونظّمت عدّة مصاحف (الاحتمال الأقوى أنّها خمسة) على نمط واحد، وكان هدف عثمان من هذا العمل توحيد قراءة القرآن. ولهذا السبب بعث المصاحف إلى الأمصار

---

١. *معرفة القرّاء الكبار*: ٢٤ ـ ٤٢.

٢. المصدر: ٤٣ ـ ٦١.

الأربعة المهمّة وهي: الكوفة، والبصرة، والشام، ومكّة، وبقيت نسخة في المدينة عاصمة الخلافة. وأرسل أيضاً مع كلّ مصحف قارئاً وهم كلّ من: عبد الله السائب المخزومي (ت تقريباً ٧٠ هـ) إلى مكّة، وأبي عبد الرحمن السُلَمي (ت٤٧ هـ) إلى الكوفة، وعامر بن عبد القيس (ت٥٥ هـ) إلى البصرة، والمغيرة بن شهاب المخزومي (ت٩١ هـ) إلى الشام، وكان زيد بن ثابت قارئ المصحف الذي بقي في المدينة.

ويمكن أنْ نعتبر تلك المرحلة فما بعدها، المرحلة الثالثة من مراحل قراءة القرآن. والطابع الأساسي لهذه المرحلة، نسبة القراءة إلى البلدان، فأطلقوا عليها تسمية قراءة الأمصار.[1]

في هذه المرحلة خرجت قراءة القرآن من انحصار الأشخاص، فإذا برزت اختلافات في القراءة، صاروا يعبّرون عنها بقراءة الكوفة، أو قراءة البصرة، أو قراءة الشام، وما إلى ذلك، ولا يخفى أنّ هدف عثمان كان توحيد القراءات المختلفة التي ظهرت يومذاك إلاّ أنّه أمر أن تكتب العبارات على نحو يحتمل وجوهاً مختلفة للقراءة، وفي الحالات التي يتعذّر فيها ذلك، تكتب الحالات التي فيها خلاف في كلّ واحد من المصاحف بشكل مغاير للآخرين؛ لكي تتوزع القراءات المعتبرة على مجموع المصحف.[2]

أُنجزت عملية توحيد المصاحف في العقد الهجري الثالث، أي عام ٢٥ للهجرة على وجه الدقّة.

المرحلة الرابعة: ظهور جيل جديد من القُرّاء، بدأ النصف الثاني من القرن الأوّل في وقت كان فيه قراء الطبقة الأولى (الذين أخذوا القرآن عن الرسول مباشرة)، والكثير من القرّاء الممتازين الذين كان لكلّ واحد منهم مصحف معروف، وكان لهم

---

١. *كتاب المصاحف*، السجستاني: ٣٩.

٢. *الإتقان*: ١٥٧/١؛ *النشر في القراءات العشر*: ٧/١.

دور مهّم في جمع القرآن في زمن الخليفة الأوّل وتوحيد المصاحف في زمن الخليفة الثالث، قد ماتوا، وحلّ محلّهم جيل جديد من الحفّاظ وقرّاء القرآن.

إنّ إلقاء نظرة على تاريخ وفاة أفراد هذه الطبقة يفيد في استجلاء الظروف التي سادت في المرحلة الرابعة: أبو بكر (١٢ هـ)، عمر (٢٣ هـ)، أُبي بن كعب (٢٩ أو ٣٣ هـ)، عبد الله بن مسعود (٣٢ هـ)، أبو الدرداء (٣٢ هـ)، معاذ بن جبل (٣٣ هـ)، حذيفة بن اليمان (٣٥ هـ)، عثمان (٣٥ هـ)، علي بن أبي طالب عليه السلام (٤٠ هـ)، أبو موسى الأشعري (٤٤ هـ)، زيد بن ثابت (٤٥ هـ)، أبو عبد الرحمن السُلَمي (٤٧ هـ)، ابن عبّاس (٦٨ هـ).

ذكر ابن الجذري والدكتور عبد الهادي الفضلي قرّاء الأمصار في النصف الثاني من القرن الأوّل، ممّن كانوا قد أخذوا قراءة القرآن من الصحابة، نذكر فيما يلي بعضاً منهم:

أ) المدينة

سعيد بن المسيب (ت ٩٢ هـ)، عروة بن الزبير (ت ٩٥ هـ)، عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ).

ب) مكّة

عبيد بن عميرات (ت ٧٤ هـ)، مجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ).

ج) الكوفة

عمرو بن شرحبيل (ت بعد عام ٦٠ هـ)، علقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ)، أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُلمي (ت ٧٢ هـ)، زرّ بن حبيش (ت ٨٢ هـ)، سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ).

د) البصرة

عامر بن عبد القيس (ت ٥٥ هـ)، يحيى بن يعمر العدواني (ت ٩٠ هـ)، نصر بن عاصم (ت قبل ١٠٠ هـ).

هـ) الشام

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت بعد ٧٠ هـ)، خليد بن سعد.[1]

وهكذا يتّضح أنّ جيل القرّاء الذين أدرك الكثير منهم الرسولﷺ، قد فارقوا الدنيا في هذه المرحلة، وانتقلت قراءة القرآن إلى جيل آخر.

المرحلة الخامسة: العصر الذهبي للقراءات، يمكن اعتبار المرحلة الخامسة من قراءة القرآن مرتبطة ببداية القرن الثاني للهجرة؛ إذ كانت في هذا القرن وفاة القرّاء السبعة عن آخرهم.[2] فمن بين الأشخاص السبعة الآخرين الذين عُرّفوا إلى جانب القرّاء السبعة باسم القرّاء العشرة أو القرّاء الأربعة عشر، توفّي ثلاثة منهم فقط في بدايات القرن الثالث، وهم كلّ من: يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ)، ويحيى بن مبارك اليزيدي (ت ٢٢٠ هـ)، وخلف (ت ٢٢٩ هـ) ونظراً إلى التأثير الفائق لقرّاء هذه المرحلة في قراءات قرّاء القرون اللاحقة، يمكن القول بكل ثقة أنّ القرن الثاني كان قرن ازدهار وذروة علم القراءات، فالمدارس والمذاهب المختلفة في القراءات ظهرت في هذا القرن، بلغ أساتذة القراءات في هذه المرحلة مرتبة بحيث بقيت الأجيال اللاحقة تتطلع إلى قرّاء القرن الثاني لمعرفة أفضل القراءات والقرّاء.[3]

ففي أواخر القرن الأوّل، وعلى امتداد القرن الثاني كانت هناك جماعة اهتمت بقراءة القرآن فقط، وكرّست كلّ جهودها لتدوين علم القراءات.[4]

وعلى هذا الأساس يمكن تسمية القرن الثاني قرن تأسيس علم القراءة، وكانت مدينتا الكوفة والبصرة مهداً مهمّاً له.

---

١. *النشر في القراءات العشر*: ٨/١.

٢. راجع: الدرس الرابع من هذا الباب.

٣. راجع: الدرس الثالث من هذا الباب.

٤. *النشر في القراءات العشر*: ٨/١ ـ ٩؛ *مناهل العرفان*: ٤١٥/١ ـ ٤١٦.

المرحلة السادسة: تدوين القراءات، يرى الكثير من الباحثين في علوم القرآن أنّ أوّل من كتب في قراءات القرآن أبو عبيد القاسم بن سَلاّم (ت ٢٢٤ هـ).[١] وجاء من بعده أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)، ثُمّ أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ثُمّ إسماعيل القاضي.[٢]

ونُسِبَ إلى أبي العبّاس محمد بن يزيد البصري المعروف بالمبرّد (ت ٢٨٦ هـ) الذي كان من كبار الأدباء والعلماء في القرن الثالث، تأليف خمسة كُتُب في المباحث القرآنية منها كتاب *احتجاج القراءات*.

وهكذا فإنّ علم القراءة الذي ذاع صيته في القرن بظهور قُرّاء بارزين، ظهر في القرن الثالث بشكل مدوّن، ويُرجع الباحثون في علوم القرآن سبب تدوين وكتابة القراءات في القرن الثالث إلى شيوع القراءات وكثرتها، وبروز الاختلاف في القراءات. فقد أدّى اتساع استنساخ المصاحف وكثرة القُرّاء الذين تبؤء بعضهم كرسي قراءة القرآن من تلقاء أنفسهم، وزعموا أنّهم أصحاب رأي في القراءات، وغير ذلك من العوامل التي بعثت على ظهور الاختلاف في القراءات، أدّى كلّ ذلك إلى أن يبادر أمثال أبي عبيد القاسم بن سلاّم، إلى التفكير في تدوين ضوابط وقواعد هذا العلم، وحفظ قراءات القرآن من التشتت والضياع.

المرحلة السابعة: حصر القراءات، كان القرن الرابع بداية لهذه المرحلة من مراحل قراءات القرآن.

تلزم الإشارة إلى أنّ بعض من ألّفوا في تاريخ القرآن تطرّقوا إلى تصنيف طبقات القرّاء، بدلاً من توضيح مراحل القراءات، فقد ذكر الذهبي (ت ٧٤٨ هـ). في كتاب *معرفة القرّاء الكبار* أسماء ونبذة عن حياة (٧٣٤) قارئاً حتى القرن الثامن ضمن ثماني عشرة طبقة.[٣]

---

١. *مناهل العرفان*: ٤١٦/١؛ *معرفة القراء الكبار*: ١٧٢.

٢. *مناهل العرفان*: ٤١٦/١.

٣. إضافة إلى كتاب *معرفة القرّاء الكبار*، *مناهل العرفان*: ٤١٦؛ *التمهيد*: ١٧٧/٢ ـ ٢٢٤.

ب) أسباب ظهور اختلاف القراءات

تحدّثنا في البحث السابق عن مراحل ظهور وكتابة القراءات فقط، ونحاول فيما يلي إلقاء نظرة على أسباب ظهور هذه القراءات، فهنالك سؤال يخطر على بال كلّ شخص، وهو لماذا ابتُلِيَ المسلمون مرّة أُخرى ـ بعد توحيد المصاحف في زمن عثمان، وهو العمل الذي جاء من أجل توحيد كلّ القراءات ـ باختلاف قراءات القرآن؟

وللإجابة عن هذا السؤال، نشير بإيجاز إلى مجموعة من الأسباب التي كان لها تأثير في هذا المجال:

١. خلو المصاحف العثمانية من النقاط والحركات

كان من أهمّ أسباب بروز الاختلاف في القراءات، مزايا الخطّ العثماني. فعدم وجود النقاط والحركات في المصاحف العثمانية، أو بسبب بدائية[١] الخطّ والكتابة في ذلك الزمان، أو لأنّ السبب يعود إلى أمر عثمان بأن تكون المصاحف خالية من النقاط والحركات، لكي تتحمل قراءاتها الوجوه السبعة التي يرى البعض أنّ القرآن نزل عليها. ففي كلّ مصحف كان خطّ المصاحف العثمانية بشكل تتعذر قراءته إلّا بالاعتماد على الحفظ. فكانت الكثير من كلمات القرآن قابلة للقراءة على صور مختلفة، نورد فيما يلي أمثلة من اختلافات القراءات الناتجة عن هذا السبب:

١. قرأ الكسائي: إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتثبّتوا، بينما قرأ الآخرون: فتبيّنوا.

٢. ابن عامر والكوفيون: ننشزها، الآخرون: ننشرها.[٢]

٣. ابن عامر وحفص: ويكفّر عنكم، الآخرون: نكفّر.[٣]

---

١. *تاريخ قراءات القرآن الكريم*: ١٢٥ ـ ١٢٦.

٢. البقرة: ٢٥٩.

٣. البقرة: ٢٧١.

٤. قرّاء الكوفة ما عدا عاصم: لنثوينّهم، الآخرون: لنبوئنّهم.[١]

٥. ابن سميقع: فاليوم ننحّيك ببدنك، الآخرون: ننجّيك.[٢]

أمّا في مجال الاختلافات الناتجة عن عدم وجود الحركات، فهو ما تعبّر عنه الأمثلة التالية:

١. قرأ حمزة والكسائي كلمة «اعلم» بصيغة الأمر: ﴿...أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[٣] بينما قرأها غيرهما بصيغة المتكلّم المفرد «أعْلَمُ».

٢. قرأ نافع: ﴿...وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[٤] بصيغة النهي، بينما قرأها الآخرون بصيغة المبني للمجهول «لا تُسْأل».

٢. عدم وجود حرف الألف في وسط الكلمات

أدّى هذا السبب إلى بروز حالات كثيرة من اختلاف القراءات:

١. قرأ بعضهم في الآية: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾مالِكِ، وبعضهم قرأها مَلِكِ.[٥]

٢. قرؤوا كلمة غشوة[٦] على وجوه مثل غُشاوةٌ، غَشاوَةٌ، غِشاوَةٌ، غَشْوَةٌ، غَشْوَةً وغير ذلك.[٧]

٣. قرؤوا كلمة يخدعون[٨] على وجوه مثل: يُخادِعونَ، يُخادَعُونَ، يَخْدَعُونَ، يُخَدَّعون وغير ذلك.[٩]

---

١. العنكبوت: ٥٨.

٢. يونس: ٩٢.

٣. البقرة: ٢٥٩.

٤. البقرة: ١١٩.

٥. *معجم القراءات القرآنية*: ٧/١.

٦. البقرة: ٧.

٧. *معجم القراءات القرآنية*: ٢٢/١ ـ ٢٤.

٨ البقرة: ٩.

٩. *معجم القراءات القرآنية*: ٢٥/١.

٤. قرؤوا كلمة قصاص،[١] قصص.[٢]

٥. قرؤوا كلمة مسكين،[٣] مساكين.[٤]

هذا إضافة إلى عشرات الأمثلة الأُخرى من هذا القبيل، وهو ما يمكن الاطّلاع عليه عند مراجعة كتاب معجم *القراءات القرآنية*.

٣. اختلاف اللهجات

نزل القرآن بلهجة قريش، التي كانت أفضل وأفصح لهجات العرب، إلاّ أنّ قُـرّاء القرآن الذين كانت لهم لهجات متنوّعة، كثيراً ما كانوا يقرؤون الكلمات بلهجاتهم، وهذا ما أدّى إلى اختلاف القراءات تدريجياً.

١. كلمة نعبد[٥] كانت تلفظ في بعض اللهجات العربية بصيغة ِنعبُدُ.[٦]

٢. كلمة نَستعين[٧] كانت تلفظ في بعض اللهجات العربية بصيغة ِنستَعين.[٨]

٣. كان اختلاف اللهجة يؤدّي أحياناً إلى حصول تقديم وتأخير في تلفظ حروف الكلمة الواحدة نذكر مثلاً: إنّ بني تميم كانوا يقولون بدلاً من صاعقة وصواعق: صاقعة وصواقع.[٩]

---

١. البقرة: ١٧٩.

٢. معجم *القراءات القرآنية*: ١/١٤٠.

٣. البقرة: ١٨٤.

٤. معجم *القراءات القرآنية*: ١/١٤٢.

٥. الحمد: ٥.

٦. معجم القراءات القرآنية: ١٠.

٧. المصدر: ٥.

٨ المصدر.

٩. *التمهيد في علوم القرآن*: ٢/٢٢.

٤. كانت قبيلة هذيل تُبدل الواو المكسورة بهمزة مثلاً: كانوا يلفظون كلمة وعاء: إعاء.[١]

٥. اختلافات القراءات التي كانت تحصل نتيجة للإظهار والإدغام والإشمام والمد والقصر والإمالة وما شابه ذلك، كانت غالباً ما تحصل بسبب تأثير اللهجات، وميل كلّ لهجة إلى نوع من أداء الحروف، نذكر مثلاً: إنّ ابن محيص كان يقرأ كلمة «الميّتون» في الآية الخامسة عشرة من سورة «المؤمنون»: لمائتون.[٢]

٤. آراء واجتهادات القرّاء

أحد الاسباب المهمّة في ظهور اختلاف القراءات يعود إلى آراء القرّاء واجتهاداتهم الشخصية، فقراءة القرآن التي تتوقّف صحّتها على السماع والنقل، ابتعدت في بعض الحالات عن هذه القاعدة الضرورية وبعد توحيد المصاحف وإرسال القرّاء إلى الولايات، ربّما كان القارئ يتردد في قراءة آية في مصحف خال من الإعجام والحركات، ففي كلّ هذه الحالات كان يختار ما يراه مناسباً، ويعمل على أساس الحدس والظّن، وحتى أنّه كان يستدلّ على هذا الرأي، نشير إلى أنّ هناك كتباً كثيرة دوّنت على هذا الأساس مثل: *الحجّة للقرّاء السبعة*، أو *الكشف عن وجوه القراءات السبع*، وكان الغرض منها توجيه القراءات المختلفة للقرّاء، والإتيان بقواعد أدبية ونحوية لإثبات صحّتها.[٣]

ما سبق ذكره هو أربعة أسباب مهمّة في اختلاف القراءات، ومن الطبيعي أنّ هناك أسباباً أُخرى، ونلاحظ في كتب القراءات قرّاءً تغلب على قراءتهم القراءات الشاذّة والمخالفة للقراءات المشهورة، يبدو من العجيب للوهلة الأولى كيف يختلف القارئ في

---

١. المصدر: ٢٥.

٢. المصدر: ٢٧ ـ ٣٠.

٣. راجع: المصدر: ٣٠ ـ ٣٤.

أكثر قراءته مع الآخرين، ولكن ينبغي الإذعان بأنّ سوق القراءة عندما راج في القرنين الثاني والثالث وبرز عدد من القرّاء وذاع صيتهم في الآفاق، فمن الطبيعي أن يكون هناك من يطلبون الشهرة والكسب من خلال اتّباع القراءات النادرة التي ينفردون بها عن سواهم، فمثل هؤلاء الأفراد يجعلون همّهم قراءة القرآن بشكل لا يقرؤه غيرهم. ونظراً إلى مرونة القواعد الأدبية فهم يأتون بالأدلّة التي يثبتون بها صحّة قراءتهم.

الخلاصة

١. يمكن دراسة مراحل ظهور القراءات، على سبع مراحل:

المرحلة الأولى: تعليم القراءات من قبل الرسولﷺ إلى الصحابة، وعرضهم القراءة على الرسول. وكان من مشاهير تلك المرحلة: علي بن أبي طالب‌ؑ، وعثمان بن عفّان، وأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء.

المرحلة الثانية: تعليم الطبقة الأولى القراءة لبعض الصحابة، ورواج مصاحف وقراءات بعض قرّاء الطبقة الأُولى، وتسمية القراءات بأسماء الأشخاص.

المرحلة الثالثة: عهد توحيد القراءات على يد عثمان، وإرسال مصاحف موحّدة إلى الولايات وتسمية القراءات بأسماء الأمصار.

المرحلة الرابعة: استئناف اختلاف القراءات منذ النصف الثاني من القرن الأوّل، وظهور جيل جديد من الحفّاظ والقُرّاء في الولايات، ومنها: المدينة، ومكّة، والكوفة، والبصرة، والشام.

المرحلة الخامسة: عهد ظهور أشهر القراءات وأبرز القرّاء، في القرن الثاني، ومنهم القرّاء السبعة.

المرحلة السادسة: عهد كتابة وتدوين القراءات في القرن الثالث على يد أشخاص هم: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وأبو حاتم السجستاني، وأبو جعفر الطبري، وغيرهم.

المرحلة السابعة: عهد تحديد القراءات في سبع قراءات على يد ابن مجاهد في بداية القرن الرابع، حيث بدأت مؤلّفات الآخرين ابتداءً من ذلك التاريخ تنحو ذات المنحى.

۲. كان من أسباب ظهور اختلاف القراءات: خلو المصاحف من النقاط والحركات، وعدم وجود حرف الألف في وسط الكلمات، واختلاف اللهجات، واجتهاد القرّاء، وحبّ بعض القرّاء للشهرة عن طريق اتّباع القراءات الشاذّة.

الدرس الثاني

عدم تواتر القراءات

المسلمون كلّهم متّفقون على تواتر القرآن، وأساساً حجّية القرآن ـ باعتباره أهمّ مصدر للمعارف الدينية ـ لا تثبت إلّا عن طريق التواتر وقطعية الصدور، قال آية الله الخوئي قدس سره:

قد أطبق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أنّ ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر، واستدلّ كثير من علماء السنّة والشيعة على ذلك بأنّ القرآن تتوافر الدّواعي لنقله؛ لأنّه الأساس للدين الإسلامي والمعجز الإلهي لدعوة نبيّ المسلمين وكلّ شيء تتوفّر الدواعي لنقله لا بدّ وأن يكون متواتراً، وعلى ذلك فما كان نقله بطريق الآحاد لا يكون من القرآن قطعاً.[1]

هذا المعنى فيما يخصّ القرآن واضح لا لبس فيه، ولكن ماذا عن القراءات؟ وهل هي متواترة تواتر القرآن أو هناك فارق بين القرآن والقراءات؟

يتّضح جواب هذا السؤال بكلّ جلاء عند القاء نظرة إجمالية على مراحل ظهور وتطوّر القراءات، وأسباب اختلاف القراءات، نُقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة.[2]

---

١. *البيان*: ١٢٣ ـ ١٢٤.

٢. *الكافي*: *كتاب فضل القرآن*، باب النوادر.

واعتبر أمين الاسلام الطبرسي أنّ نقل مثل هذه الأخبار ـ الدالّة على نزول القرآن بقراءة واحدة ـ كثير.[١]

وللزركشي رأي لطيف في عدم تواتر القراءات، فهو يقول:

> القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيّتها.[٢]

هناك عاملان مهمّان في هذا الأمر، فعلى رغم وضوح عدم تواتر القراءات، فإنّ البعض قد توهّم تواترها. والعامل الأوّل هو ما أشار إليه الزركشي وهو الخلط بين القرآن والقراءات.

فبعض السطحيين ظنّ أنّ للقراءات نفس ما للقرآن من تواتر، في حين أنّ نصّ القرآن شيء وكيفية قراءة هذا النصّ شيء آخر.

العامل الثاني هو الخلط بين القراءات والأحرف السبعة، فالبعض ظنّ أنّ قراءات القرّاء السبعة هي الأحرف السبعة نفسها التي أشارت بعض الروايات إلى أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، في حين لا توجد أية علاقة بين هذين الموضوعين، إذ إنّ شهرة القرّاء السبعة وقراءاتهم إنّما ظهرت من بعد ما قام به ابن مجاهد ـ كما سيمرّ علينا ـ في القرن الرابع، بينما كان هناك ـ حسب تصريح الكثيرين ـ من هم أفضل منهم، وتوجد أيضاً في قراءة القرّاء السبعة قراءات شاذّة صرّح بها الأئمة المختصّون في هذا المجال.

قال صبحي الصالح في نقده لابن مجاهد بسبب حصره القراءات في سبع قراءات:

> وقد حظيت قراءات هؤلاء القرّاء السبعة بشهرة واسعة، وتوهّم الكثيرون أنّها هي المراد من الأحرف السبعة التي ذكرت في الحديث النبوي.[٣]

---

١. مجمع *البيان*: ٧٩/١.

٢. *البرهان في علوم القرآن*: ٤٦٥/١.

٣. *مباحث في علوم القرآن*: ٢٤٩.

الخلاصة

١. المسلمون كلّهم متّفقون على تواتر نصّ القرآن.

٢. القرآن والقراءات حقيقتان منفصلتان تماماً عن بعضها الآخر.

٣. العاملان المهمّان في توهّم تواتر القراءات، هما: أوّلاً: الخلط بين تواتر نصّ القرآن وتواتر القراءات، وثانياً: الخلط بين الأحرف السبعة والقراءات السبع.

الدرس الثالث

حصر القراءات

تمهيد

استعرضنا في الدرس الأوّل بإيجاز مراحل ظهور وتطور قراءات القرآن إلى القرن الهجري الثالث، وقلنا: إنّ قراءة القرآن بلغت أوج ازدهارها بظهور قرّاء ممتازين وبارزين. ونظراً إلى انتشار قراءة القرآن واتساع دائرتها، بدأ في أواخر ذلك القرن، أي القرن الثالث، تدوين وكتابة قواعد وأُصول القراءات، وكذلك تدوين ما يوجد بينها من اختلافات. واستمرّ تدوين كتب القراءات طيلة القرن الثالث، فبالإضافة إلى ما ذكرناه في ذلك الدرس ـ الدرس الأوّل ـ من عوامل بروز الاختلاف في القراءة، كانت هناك على الدوام قضية نفسية أُخرى أدّت إلى ظهور بعض الاختلافات الجديدة. ففي كلّ دور من الأدوار عندما كان التلاميذ يحلّون محلّ أساتذتهم ويتربّعون على كرسي القراءة، وينالون منصب شيخ القرّاء، كانوا يبدؤون بممارسة آرائهم وأذواقهم الشخصية في بعض الحالات، لكي يظهروا أنفسهم وكأنّهم أصحاب رأي ولا يكتفون بتقليد قراءة غيرهم.

فلمّا كانت المئة الثالثة، واتّسع الخرق، وقل الضبط، وكان علم الكتاب والسنّة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدّى بعض الأئمة لضبط ما رواه من

القراءات، فكان أوّل إمام معتبر جمع القراءات في كتاب، أبوعبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ)، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة. وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي(ت ٢٥٨ هـ)، نزيل أنطاكية، جمع كتاباً في قراءات الخمسة من كلّ مصر واحد، وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي(ت ٢٨٢ هـ)، ألّف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم هؤلاء السبعة وتوفّي، وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتاباً حافلاً سمّاه الجامع جمع فيه نيفاً وعشرين قراءة، (ت ٣١٠ هـ). وكان بعده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني (ت ٣٢٤ هـ)، جمع كتاباً في القراءات.[١]

أدّى اختلاف القراءات بين عامّة الناس إلى إيجاد نوع من القلق. ويمكن القول: إنّ الآخرين ـ عدا الجماعة التي جعلت من القراءة فناً لها ـ قد سئموا ذلك الاختلاف وباتوا يترقّبون الفرصة للتخلّص من ذلك الوضع، ووقع في القرن الرابع ما كان يترقّبه الناس، وحصلت ثورة في عالم القراءات.

أ) ابن مجاهد في مسند قراءة القرآن

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (٢٤٥ ـ ٣٢٤ هـ)، مقرئ بغداد الكبير وأوّل من أضفى صبغة رسمية على القراءات السبع.

أهمّ أساتذته في القراءة أبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، حيث قرأ عليه الكثير من الختمات بقراءة نافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي.

ولم يتردد ابن مجاهد حتّى في الأخذ عمّن هم من طبقته كمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) وابن أبي داوود السجستاني (ت ٣١٦ هـ)، وأبي بكر الداجوني (ت ٣٢٤ هـ) وحتّى عن أبي بكر النقاش (ت ٣٥١ هـ).

---

١. *النشر في القراءات العشر*: ١/٣٣ ـ ٣٤.

وعلى أية حال فإنّ ابن مجاهد قد ارتقى مدارج الرقي في أوساط بغداد ووصل به الأمر إلى رئاسة قراء عصره.

وقال فيه النحوي الكوفي الشهير ثعلب في سنة ٢٨٦هـ: ما بقي في عصرنا هذا أحد أعلم بكتاب الله من أبي بكر ابن مجاهد.

واستقطبت شهرته طلّاب القراءة وجمعتهم حوله، حتّى قيل: إنّه لم يكن من شيوخ القراءات من هو أكثر تلاميذ منه.

فالصدارة العلمية لابن مجاهد وتقربه من زعماء الدولة، قد جعلا منه رجلاً ذا نفوذ بإمكانه أن يؤثر في الحوادث الاجتماعية لعصره.

وكان هذا الرجل من بين الأشخاص الذين لعبوا دوراً مؤثراً في تشكيل محكمة ضد ابن مقسم في ٣٢٢هـ وابن شنبوذ في ٣٢٣هـ حول قضايا تتعلّق بالقراءة، وأجبرهما على إعلان التوبة.[1]

ب) ابن مجاهد والقراءات السبع

كان الاهتمام بالقراءات السبع في آثار القرن ٣هـ بمستوى الاهتمام بالقراءات الأخرى، ولم يكن هناك تأكيد خاص عليها، فالكتّاب الذين صنّفوا قبل ابن مجاهد في مجال القراءة كأبي عبيد القاسم بن سلاّم، وأبي حاتم السجستاني، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، ومحمدبن جريرالطبري، قد سجّلوا حوالي ٢٠ قراءة شائعة. ويعد أحمد بن جبير الأنطاكي (ت ٢٥٨ هـ) أوّل مؤلّف معروف حاول أن يختار مثلاً عن كلّ مدينة من المدن الخمس وهي المدينة ومكّة والكوفة والبصرة ودمشق، باعتبارها مهد القراءات، وقد أورد في مؤلّف له قراءات خمسة قرّاء.

---

١. *دائرة المعارف بزرگ اسلامي*: ٥٤/٤.

ويمكن أن يعد عمل الأنطاكي مقدّمة لطرح القراءات السبع بواسطة ابن مجاهد، إلاّ أنّ ابن مجاهد هو الوحيد الذي أبدى اهتماماً خاصّاً بقرّاء الكوفة في عملية انتقائه للقرّاء، وقد اختار ثلاثة قرّاء من الكوفة بدلاً من قارئ واحد.[١]

انتقى ابن مجاهد من كلّ مدينة القارئ الذي يتفق أهلها على ترجيح قراءته على غيرها من القراءات، لكنّه لم يلتزم بهذه القاعدة تجاه الكوفة، فرغم تصريحه بأنّ قراءة حمزة هي القراءة الغالبة في الكوفة، نجده قد أورد إلى جانبه كُلاً من عاصم والكسائي، ويدل موقف ابن مجاهد إزاء ابن شنبوذ الذي أجاز القراءة خلافاً للمصحف، وابن مقسّم الذي أجاز كلّ قراءة إذا صحّت من الناحية العربية حتّى لو كان سند تلك الرواية ضعيفاً، على أنّه كان يعد مخالفة المصحف وضعف السند، من عوامل شذوذ القراءة، وقد أشار في كتاب السبعة مراراً إلى العامل الثالث، أي مخالفة العربية.[٢] ويتبيّن من دراسة كتاب السبعة أنّ ابن مجاهد لم يكن مجرّد ناقل للقراءات

---

١. المصدر: ٥٥.

٢. بعد أن أصبح ابن مجاهد شيخ القرّاء في بغداد، هبّ لمواجهة اثنين من القرّاء المحسوبين من طبقته، وهما محمد بن الحسن بن يعقوب المشهور بابن مقسّم (ت ٣٥٤هـ)، ومحمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ (ت ٣٢٨هـ) اللذين كانا من نحاة بغداد وقُرّائها. فعُقِد مجلسان لمحاكمة كل واحد منهما بأمر من ابن مجاهد، وبحضور الوزير ابن مقلة.

هذا في حين أنّ كلاً من ابن مجاهد، وابن مقسّم، وابن شنبوذ ينتمون إلى مدرسة واحدة في القراءة، وهي مدرسة ابن شاذان (أبو الفضل الرازي). وقالوا في سبب تلك المحاكمة أنّ ابن مقسّم كان يختار من القراءات ما بدا له أصح في العربية، وإن خالف رسم المصاحف العثمانية، وأمّا ابن شنبوذ فلأنّه كان يجيز القراءة خلاف ما في المصحف، وبما يوافق ما جاء في قراءتي أُبَي وابن مسعود. وقرر ابن مقلة عام ٣٢٣هـ محاكمة هذين الشخصين بحضور القضاة والفقهاء والقُرّاء، وعلى رأسهم ابن مجاهد. وبعد اعتراف ابن شنبوذ بما نُسب إليه، جُلِد وحبس بأمر الوزير وأعلن توبته.

أمّا ابن مقسّم فقد اعترف في مجلس المحاكمة، بخطئه... (ر.ك: *مباحث في علوم القرآن*: ٢٥١ ـ ٢٥٢؛ مقدّمة كتاب السبعة: ٨؛ التمهيد: ٢٣٢/٢).

فحسب، بل نجده قد انبرى في كتابه إلى نقد ودراسة القراءات من حيث السند ومن حيث الجانب الأدبي أيضاً.

وممّا لاريب فيه أنّ رئاسة ابن مجاهد ونفوذه تُعَدُّ من العوامل الأساس التي أدّت إلى إرسال قواعد القراءات السبع بين أهل القراءة، حيث تَمَّ تأليف عدّة كتب في القراءات السبع في ذلك النصف الأوّل من القرن الرابع.

هذا العمل الذي قام به ابن مجاهد في سدٍّ باب القراءات، واجه اعتراض جماعة من معاصريه، ولا شك في أنّ نجاحه في سدّ باب الاجتهاد في القراءات يعود إلى رهافة حسّه وذكائه في اختيار سبع قراءات، فعددُ القراءات السبع يشبه تماماً عدد المصاحف العثمانية (على أحد الأقوال)، والأهمّ من كلّ ذلك، أنّه يشبه تماماً الحديث الذي ينصّ على نزول القرآن على سبعة أحرف، ولهذا السبب لقي إقبالاً عامّاً، كان ابن جبير قد أَلَّفَ قِبْلَ ابن مجاهد كتاباً في قراءة القرآن اسمه الثمانية.[1] ولكن سرعان ما طواه النسيان.

> قال ابن الجذري: بلغنا عن بعض من لا علم له أنّ القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أنّ الأحرف السبعة التي أشار إليها النبيﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجّهال ان القراءات الصحيحة هي التي في الشاطبية وفي التيسير وأنّها هي المشار إليها بقولهﷺ: أُنزل القرآن على سبعة أحرف، حتّى أنّ بعضهم يُطلق على مالم يكن في هذين الكتابين أنّه شاذ. وكثير منهم يُطلق على مالم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً، وربّما كان كثير ممّا لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذّاً، وربّما كان كثير مما لم يكن في *الشاطبية* و *التيسير*[2] وعن

---

١. *الإبانة عن معاني القراءات*: ٩٠.

٢. كتاب *التيسير* لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) من أفضل ما كُتب في القراءات السبع. نظم هذا الكتاب شعراً القاسم بن فيرُّه (ت ٥٩٠هـ) المعروف بالشاطبي في ١١٧٣ بيتاً تحت عنوان، *حرز الأماني ووجه التهاني*، وعرف ب «*الشاطبية*» التي حازت شهرة واسعة بين كتب القراءات السبع، حتّى كُتب عليها ما يُقارب أربعين شرحاً.

> غير هؤلاء السبعة أصحَ من كثير ممّا فيهما، وأنّه وقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف»، وسمعوا قراءات السبعة، فظنّوا أنّ هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدّمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القرّاء، وخطؤه في ذلك، وقالوا ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده، أو بيّن مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة.[1]

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عمل تلاميذ ومعاصرو ابن مجاهد على تثبيت ما قام به. فكتب أحد أكابر علماء النحو، وهو أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ ﻫ)، شرحاً على كتاب *القراءات السبع* لابن مجاهد، سمّاه *الحجّة في القراءات السبع*. ومن بعده دخل ابن خالويه (ت ٣٧٠ ﻫ)، الذي كان من تلاميذ ابن مجاهد في منافسة مع أبي علي، فألّف كتاباً بهذا الاسم، وقد استمرّ هذا السباق الهادف إلى تبيين وتوجيه القراءات السبع في القرن الخامس أيضاً، فكتب أبو محمد مكّي بن أبي طالب (٣٥٥ ـ ٤٣٧ ﻫ) كتاب *الكشف عن وجوه القراءات السبع* عام ٤٢٤ ﻫ على غرار كتاب الحجّة لأبي علي الفارسي.

وذكر مكّي بأنّه قد ألّف قبل الكشف كتاباً موجزاً حول القراءات السبع في عام ٣٩١ ﻫ.[2]

وكتب أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ ﻫ) كتاب التيسير الذي يُعتبر واحداً من أفضل الكتب في القراءات السبع، ونظمه الشاطبي شعراً سُمّي الشاطبية، وقد ذاع صيت *الشاطبية* حتّى صار فرع «الشرح المنظوم» أكثر شهرة من الأصل، وقد كُتبت كلّ هذه الكتب للاحتجاج والاستدال على القراءات السبع.

ج) القُرّاء السبعة

سبق أن ذكرنا بأنّ ابن مجاهد اختار من المدينة ومكّة والبصرة والشام أربعة قُرّاء،

---

١. *النشر في القراءات العشر*: ٣٦/١.

٢. *مقدّمة الإبانة عن معاني القراءات*: ١٨؛ *الكشف عن وجوه القراءات*: ٣.

واختار من الكوفة ثلاثة، وكان كلّ القرّاء الذين اختارهم من قرّاء القرن الثاني، وآخرهم، وهو الكسائي توفّي عام ١٨٩ هـ. وعلى هذا الأساس فإنّ ما شاع من قراءاتهم كان برواية تلاميذهم (مباشرة أو بالواسطة). والفكرة الثانية التي أبدعها ابن مجاهد هو أنّه اختار راويين فقط من بين تلاميذ ورواة من اختارهم من القُرّاء، وذكر في كتابه روايتهما عن أستاذهما وقد أدّى هذا العمل إلى أن تُنسى رواية التلاميذ الآخرين تدريجياً. والذين جاؤوا بعد ابن مجاهد وأضافوا ثلاثة قُرّاء آخرين إلى القرّاء السبعة وجعلوا عددهم عشرة، ساروا كلّهم على خُطا ابن مجاهد واكتفوا براويين لكلّ قارئ.

القراء السبعة ورواتهم

التسلسل	القارئ	الولادة والوفاة	إمام القراءة	الراوي الأوّل	الولادة والوفاة	الراوي الثاني	الولادة والوفاة	الملاحظات
١	ابن عامر	٢١ ـ ١١٨	الشام	هشام بن عمار	١٥٣ ـ ٢٤٥	ابن زكوان	١٧٣ ـ ٢٤٢	نقلاً القراءة بالواسطة
٢	ابن كثير	٤٥ ـ ١٢٠	مكّة	بزّي	١٧٠ ـ ٢٥٠	قُنْبُل	١٩٥ ـ ٢٩١	نقلاً القراءة بالواسطة
٣	عاصم	٧٦ ـ ١٢٧ يا١١٢٨	الكوفة	حفص	٩٠ ـ ١٨٠	شعبة	٩٥ ـ ١٩٣	نقلاً القراءة بدون بالواسطة
٤	أبوعمرو	٦٨ ـ ١٥٤	البصرة	الدّوري	٢٤٦م	السّوسي	٢٦١م	نقلاً القراءة بالواسطة
٥	حمزة	٨٠ ـ ١٥٦	الكوفة	خلف بن هشام	٢٢٩م	خلاد بن خالد	٢٢٠م	نقلاً القراءة بالواسطة
٦	نافع	٧٠ ـ ١٦٩	المدينة	قالون	٢٢٠م	ورش	١٩٧م	نقلاً القراءة بدون بالواسطة
٧	الكسائي	١٨٩م	الكوفة	ليث بن خالد	٢٤٠م	الدّوري	٢٤٦م	نقلاً القراءة بدون بالواسطة

القراء العشرة ورواتهم

التسلسل	القارئ	الولادة والوفاة	إمام القراءة	الراوي الأوّل	الوفاة	الراوي الثاني	الوفاة
٨	يزيدبن قعقاع	١٣٠	بغداد	ابن وردان	١٦٠	ابن جمّار	١٧٠
٩	يعقوب بن إسحاق	٢٠٥	البصرة	روح بن عبدالمؤمن	٢٣٤	رويس	٢٣٨
١٠	خلف بن هشام	٢٢٩	المدينة	إسحاق بن إبراهيم	٢٨٦	إدريس بن عبدالكريم	٢٩٢

للمطالعة

عاصم: أبو بكر، عاصم بن أبي النجودالأسدي (٩٠ ـ ١٢٧ هـ)، أشهرالقرّاء السبعة. كان آية في اتقان القراءة، وكان معروفاً بالفصاحة، وأديباً ونحوياً، وإليه انتهت الإمامة في القراءة في الكوفة بَعدَ شيخه السُلَمي.

اعتبره عبد الجليل الرازي إمام الشيعة في القراءة على غرار سائر القرّاء الكوفيين.[١]

قال فيه الخونساري في *روضات الجنّات*:

أصوب القرّاء رأياً، وأجملهم سعياً ورعياً، وأحسنهم استنباطاً لسياق القرآن.

كان للكوفة وقرّائها السهم الأوفر في نقل القراءة إلى الأجيال اللاحقة، وكان اختيار ابن مجاهد لثلاثة قرّاء من الكوفة، من مجموع القرّاء السبعة يكشف بكلّ جلاء عن أهمّية الكوفة وكونها مدينة ذات مكانة عسكرية وسياسية وعلمية، ومن بين ذلك أنّ قراءة عاصم فاقت قراءة القرّاء الكوفيّين الآخرين، وكانت لقراءة عاصم مزايا جعلتها اليوم هي القراءة الرسمية والمداولة للقرآن بين المسلمين، ويمكن اعتبار الميزة الأساسية لقراءته هي الصلة الوثيقة بينها وبين قراءة أكبر وأفضل أساتذة القراءة.

---

١. *التمهيد في علوم القرآن*: ١٩٤/٢.

عَرضَ عاصم القراءة على أبي عبد الرحمن السُلَمي، والميزة العلمية لأبي عبد الرحمن السُلَمي كونه واسطة في نقل القراءة من علي بن أبي طالب إلى قرّاء الكوفة، ومنهم عاصم بن أبي النجود، ولم يتعلّم القراءة إلّا من علي بن أبي طالب‏ عليه السلام ولم يذكروا له أُستاذاً آخر من الصحابة، أمّا شيوخ أبي عبد الرحمن في القراءة، فقد ذكروا له ثلاثة شيوخ وهم علي‏ عليه السلام، وعثمان، وزيد بن ثابت.

وأكّدوا خاصة على اسم علي‏ عليه السلام، حتّى ادعوا أنّه لم يتخلف في قراءته حرفاً واحداً عن قراءة علي، حتّى جاء في الرواية أنّه كان يقول: إنّه ما رأى قرشياً أقرأ لكتاب الله من علي بن أبي طالب‏ عليه السلام، وكان لأبي عبد الرحمن تأثير واسع في كلّ قراءات الكوفة ومنها القراءات الثلاث التي دخلت ضمن القراءات السبع؛ لأنّه قراءة عاصم كانت عنه مباشرة، وقراءة حمزة والكسائي عنه بالواسطة.[1]

وهذه السلسلة في سند القراءة سلسلة ذهبية لا نظير لها في القراءات الأُخرى.

نستعرض هنا مرة اخرى مشايخ عاصم:

أبو عبد الرحمن السُلَمي، علي بن أبي طالب‏ عليه السلام، رسول الله صلى الله عليه وآله.

كان لعاصم راويان بلا واسطة، هما: شعبة (أبو بكر بن عيّاش)، وحفص بن سليمان. وذكر البعضُ إضافة إلى أبي عبد الرحمن، زَرّ بن حبيش من مشايخ عاصم في القراءة أيضاً.

عاصم، زَرّ بن حُبيش، عبد الله بن مسعود، رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو بكر بن عيّاش، وهو أحد الشخصين اللذين رويا عن عاصم: قال لي عاصم: ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلاّ أبو عبد الرحمن السُلَمي، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر.[2]

---

١. *دائرة المعارف الإسلامية الكبيرة:* ٦٧٨/٥ ـ ٦٧٩.

٢. *البيان:* ١٣٠؛ *التمهيد:* ٢٤٥/٢.

وتفيد هذه الرواية أنّ عاصماً كان يعتمد على أبي عبد الرحمن أكثر من اعتماده على زر.

ورغم ما قيل في حفص بن سليمان (أحد الراويين عن عاصم) من أقوال متضاربة، غير أنّ الباحثين في علوم القرآن يرجّحون روايته على رواية شعبة؛ وذلك لأنّه ربيب عاصم وتربّى في حجره وقرأ عليه، وتعلّم منه كما يتعلّم الصبي من معلّمه، فلا جرم كان أدق اتقاناً من شعبة.[١]

ملاحظات حول القرّاء السبعة

١. ليس في هؤلاء القرّاء السبعة من العرب، إلاّ ابن عامر وأبو عمرو.[٢]

٢. كلّهم عاشوا في القرن الثاني.

٣. طيلة القرن الثالث تمسّك أهل البصرة بقراءة أبي عمرو ويعقوب بن إسحاق، وأهل الكوفة بقراءة حمزة وعاصم. وفي بداية القرن الرابع أثبت ابن مجاهد، اسم الكسائيً وحذف يعقوب.[٣]

٤. كان للكوفة وقرّائها سهم أوفر من بقية الولايات وقرائها في القراءات، فقراءة أُبي بن كعب الذي تولّى إمامة القراءة في الكوفة بعد ابن مسعود، تركت تأثيراً على قراءات الكوفة.

٥. كان قرّاء الكوفة الثلاث (عاصم، وحمزة، والكسائي) من الموالين لأهل البيت.

الخلاصة

١. في القرن الثالث بدأ أئمة من أمثال: أبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٨١ ه)،

---

١. *مناهل العرفان*: ٤٥٩/١.

٢. *الحجّة في القراءات السبع*: ٦١؛ *البرهان*: النوع ٢٢.

٣. *الإتقان*: ١.

وأحمد بن جبير (ت ٢٥٨ هـ) وإسماعيل بن إسحاق المالكي (ت ٢٨١ هـ) ومحمد بن أحمد بن عمر الداجوني (ت ٣١٤ هـ) بتدوين وكتابة القراءات.

٢. في بداية القرن الرابع أقدم قارئ بغداد الكبير ابن مجاهد، على إغلاق باب الاجتهاد في القراءات. واختار سبع قراءات من بين قراءات خمس ولايات هي المدينة، ومكّة، والكوفة، والبصرة، والشام، وكتبها في كتاب سمّاه السبعة.

٣. أبدى ابن مجاهد ذكاءً ورهافة حسٍّ في اختياره لسبع قراءات، فهذا العدد يتطابق مع عدد المصاحف العثمانية، ويتطابق أيضاً مع الأحرف السبعة، فأضفى بذلك قدسية على عمله هذا، وجعل عامّة الناس يتركون القراءات الأُخرى ويتمسّكون بقراءات القرّاء السبعة.

٤. رغم أنّ بعض معاصري ابن مجاهد انتقدوا عمله هذا، الأ أنّ الكثير من العلماء الذين جاؤوا بعده، استندوا إلى عمله ذاك، وألّفوا كتباً عديدة في القراءات السبع.

٥. القرّاء السبعة هم: ابن عامر، وابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، ونافع، والكسائي.

٦. كان عاصم، وحمزة، والكسائي، أئمة القراءة في الكوفة.

٧. رواية حفص عن عاصم، هي القراءة الأكثر انتشاراً في العالم.

الدرس الرابع

مقياس قبول القراءات

وَكُلُّ مَا وافَقَ وجهَ النحوِ　　وكانَ للرّسمِ احتمالاً يَحْوي
وصَحَّ إسناداً، هو القرآنُ　　فهذهِ الثلاثةُ الأركانُ
وحيثما يختلُّ ركنٌ أثبتِ　　شُذوذَه لو أنّه في السّبعةِ[1]

قلنا: إنّ هناك بين قراءات القرّاء (السبعة وغيرهم) قراءات شاذّة. ورغم ما كان لبعض القرّاء من منزلة عظيمة، إلاّ أنّ قراءتهم لم تُقبل إطلاقاً. والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هنا هو: هل هناك معيار وضابط تُقاس به القراءة؟ وهل يمكن وضع موازين توضع على أساسها كلّ قراءة في بوتقة الاختبار لكي يتسنّى في حالة مطابقتها للموازين، ختمها بختم التأييد، وفي حالة عدم مطابقتها تُرفض؟

أجاب كلّ علماء القرآن عن هذا السؤال بالإيجاب، وقدّموا المقاييس الخاصّة بهذا الموضوع.

أ) مقياس ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)

١. أن يكون القارئ من الشخصيات المقبولة قراءتها بالاتفاق عند أهالي البلد الذي يعيش فيه.

---

١. *مناهل العرفان*: ٤١٨/١.

٢. أن يكون إجماع أهالي البلد على قراءته على أساس كفاءته العلمية العميقة في القراءة واللغة.

ب) مقياس ابن الجذري (ت ٨٣٣هـ)

١. صحّة الإسناد.

٢. موافقة اللغة العربية، ولو بوجهٍ.

٣. موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

قال ابن الجذري بعد ذكر هذه الشروط الثلاثة: كلّ قراءة وافقت العربية ـ ولو بوجه ـ ووافقت أحد المصاحف العثمانية ـ ولو احتمالاً ـ وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

قال: هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونصّ عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكّي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العبّاس أحمد بن عمّار المهدوي، وحقّقه الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة. وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه.[١]

الأركان التي وضعها ابن الجذري كمقياس لصحّة القراءة تتسم بالشمولية والسعة بالمقارنة إلى ما قال به أسلافه، ونالت إقبالاً من العلماء، فقال السيوطي في *الإتقان*:

> أفضل من تحدّث في هذا المجال رئيس القرّاء وشيخ شيوخنا أبو الخير بن الجذري.[٢]

---

١. *النشر في القراءات العشر*: ٩/١.

٢. *الإتقان*: ٢٣٦/١.

وقد أيّد أمثال الزرقاني في *مناهل العرفان*، وصبحي الصالح في *مباحث في علوم القرآن*[1] صحّة ما ذهب إليه ابن الجذري. نفهم من الشروط التي وضعها ابن الجذري لصحّة القراءة أنّه يكتفي بموافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، والثاني موافقتها للعربية، ولو بوجه.

قال الزرقاني:

> والمراد بقولهم: «ما وافق أحد المصاحف العثمانية» أن يكون ثابتاً ولو في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: وقالوا: اتّخذ الله ولداً» من سورة البقرة بغير واو، وكقراءته: «وبالزبر وبالكتاب المنير» بزيادة الباء في الاسمين. فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشامي. وكقراءة ابن كثير: «جنات تجري من تحتها الأنهار» في الموضع الأخير من سورة التوبة، بزيادة كلمة «من» فإنّ ذلك ثابت في المصحف المكّي. والمراد بقولهم: «ولو تقديراً» أنّه يكفي في الرواية انّ توافق رسم المصحف ولو موافقة غير صريحة، نحو «مالك يوم الدين» فإنّه رسم في جميع المصاحف بحذف الألف من كلمة «مالك». فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً، وقراءة الألف تحتمله تقديراً.[2]

وقال ابن الجذري عن المقياس الثاني:

> وقولنا: أن يكون موافقاً للعربية ولو بوجه، نُريد وجهاً من وجوه النحو سواء كان فصيحاً أم أفصح، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرّ مثله إذا كانت القراءة ممّا شاع وتلقّاه الأئمة بالإسناد الصحيح.[3]

ما قاله ابن الجذري يشمل لا إرادياً كلّ القراءات الشاذة والضعيفة؛ وذلك لأنّ خصائص رسم المصحف العثماني والأقوال المتعددة في الأدب العربي، يمكن ان تجعل الكثير من القراءات الضعيفة مطابقة لرسم المصحف ولقاعدة من قواعد النحو

---

١. *مباحث في علوم القرآن*: ٢٥٥.

٢. *مناهل العرفان*: ١/٤١٨ ـ ٤١٩.

٣. *النشر في القراءات العشر*: ١/١٠.

العربي، بشكل أو آخر. وفي هذه الحالة تفقد هذه الأركان الثلاثة أثرها، وتصبح عملياً غير صالحة لاتّخاذها كمقياس لقياس القراءات الصحيحة من القراءات الخاطئة.

وقد شرح كتاب *التمهيد في علوم القرآن* هذا الموضوع بالتفصيل وعرض إشكالات على هذه الأركان الثلاثة وبيّن نقاط ضعفها، ثُمّ طرح ثلاثة أركان أُخرى اعتبرها مقياساً لقبول القراءة الصحيحة، وهي كما يلي:

١. موافقتها مع الثبت المعروف بين عامة المسلمين في مادة الكلمة وصورتها وموضعها من النظم القائم حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف.

٢. موافقتها مع الأفصح والأفشى في العربية.

٣. ألّا يعارضها دليل قطعي، سواء كان برهاناً عقلياً أم سنّة متواترة أم رواية صحيحة الإسناد مقبولة عند الأئمة.[1] والحقيقة هي أنّ أهمّ مقياس لقبول القراءة هو انسجامها مع قراءات عامة الناس التي توارثوها من جيل إلى جيل، وتكتسب الشروط الثلاثة المذكورة أصالتها لأنّها تصب في اتجاه تحقيق هذا المقياس.

الخلاصة

١. وضع عموم العلماء ثلاثة مقاييس لتعيين مدى صحّة القراءات.

٢. هذه المقاييس الثلاثة التي طرحها ابن الجذري تحت عنوان الأركان الثلاثة لصحّة القراءة، هي: صحّة السند، والتطابق مع قواعد اللغة العربية ولو بنحو من الأنحاء، والتطابق مع رسم الخط العثماني ولو تطابقاً محتملاً.

٣. القيود التي أوردها ابن الجذري لهذه الأركان الثلاثة، تؤدّي إلى توسيع دائرة هذه الأركان بنحو يجعلها تشمل حتّى الكثير من القراءات الشاذّة أو الضعيفة، وبالنتيجة فهي لا تحقّق الهدف الذي أراده، وهو تمييز القراءات السليمة عن القراءات السقيمة.

---

١. *التمهيد*: ١٢٢/٢ ـ ١٥٤.

٤. طرح كتاب التمهيد ثلاثة أركان للقراءة الصحيحة، وهي:

أ) تطابقها مع الثبت المعروف بين عامة المسلمين.

ب) تطابقها مع القواعد الأفصح في اللغة العربية.

ج) عدم تعارض القراءة مع الدليل القطعي العقلي أو الشرعي، ومثل هذه القراءة تتطابق مع قراءة عموم الناس، إذ إنّ المقياس الأساسي لقبول أية قراءة هو تطابقها مع قراءة الناس.

الأسئلة

١. اشرح بإيجاز ثلاثاً من مراحل ظهور القراءات.

٢. لماذا كان للمرحلة الخامسة من مراحل قراءة القرآن تأثير بالغ في القراءات اللاحقة؟

٣. اذكر عوامل ظهور اختلاف القراءات مع ذكر مثال لكلّ واحد منها.

٤. بيّن أسباب عدم تواتر القراءات.

٥. من الذين دوّنوا القراءات في القرن الثالث؟

٦. من الذي حصر القراءات ولماذا؟ وما سبب نجاحه؟

٧. اذكر أسماء القرّاء السبعة، واشرح ما تعرفه عن قراءة عاصم.

٨. ما المقاييس المقبولة في صحّة القراءة؟

٩. اكتب بحثاً عن مكانة قرّاء القرن الثاني وتأثيرهم في القراءات الأُخرى.

١٠. ابحث تدوين القراءات في القرن الرابع.

١١. قدّم قائمة مفهرسة بمسار تأليف كتب قراءات القرآن وفقاً لتسلسلها الزمني.

١٢. وضعوا مقاييس وضوابط لصحّة القراءات، ما رأيك فيها؟

الباب السادس

سلامة القرآن من التحريف

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. معرفة أهمّية بحث التحريف في بحوث تاريخ القرآن.
٢. الاطّلاع على أنواع مُختلفة من التحريف.
٣. دراسة آراء علماء الشيعة والسنّة في التحريف.
٤. إثبات عدم تحريف القرآن من زوايا مختلفة وبأدلّة متعددة.
٥. عرض ونقد الشبهات المطروحة في مجال التحريف.

المصادر المهمّة

البيان في تفسير القرآن للآية الله الخوئي؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ١٢، للعلّامة الطباطبائي؛ *حقائق هامّة حول القرآن الكريم*، للسيد جعفر مرتضى العاملي؛ *صيانة القرآن من التحريف*، لمحمّد هادي معرفة؛ *مدخل التفسير*، لآية الله فاضل؛ *أكذوبة تحريف القرآن*، لرسول جعفريان.

الدرس الأوّل

نظرة عامّة

تمهيد

من البحوث المتعلّقة بتاريخ القرآن، موضوع عدم تحريفه، فالكتب السماوية قبل الإسلام تعرّضت للتغيير والتحريف، وهذا ما أدّى إلى زعزعة الثقة والاعتقاد بما فيها من معارف، والإسلام باعتباره آخر وأكمل وأفضل دين إلهي، فيه تشريعات تضمن رقي وتكامل الإنسان مادّياً ومعنوياً، ومصدرها الأكثر أصالة وخلوداً هو القرآن الكريم.

رغم أنّ التغيير والتحريف الذي حصل في الكتب السماوية السابقة قد فتح الباب للتشكيك في أُصول وأركان تلك الأديان، إلاّ أنّ المسار التدريجي للتشريعات الإلهية، وتوالي الشرائع السماوية لتحلّ كلّ واحدة مكان السابقة لها، قلّص وعوّض إلى حدٍّ ما عن الخسارة الناتجة عن التحريف، فهل تعرض القرآن خلال تاريخه المليء بالمنعطفات لمثل هذا العمل، وحصل فيه تغيير وتحريف أو أنّه طوى حقبة الزمن بسلام من غير زيادة ولا نقصان، وأضاف في هذا المجال مفخرة أُخرى إلى مفاخره؟

السبب الذي دعا إلى تقديم بحث عدم التحريف على بحث الإعجاز، هو ارتباط هذا الموضوع بالبحوث التاريخية للقرآن الكريم،[١] رغم أنّ الترتيب المنطقي للموضوعات كان يستلزم تقديم موضوع الإعجاز على موضوع عدم التحريف.

يعود موضوع كون التحريف أمراً تاريخياً، إلى أنّ التحريف أو عدمه كان ممكناً خلال برهة معيّنة من تاريخ الإسلام، وهي المرحلة التي أعقبت وفاة الرسول إلى حين جمع المصاحف في زمن عثمان وكتابة المصاحف الخمسة أو السبعة (في حدود عام ٣٠ للهجرة)، ومنذ ذلك العهد إلى أوائل القرن الرابع أي مرحلة حصر القراءات بالقراءات السبع على يد ابن مجاهد ومنذ القرن الرابع فصاعداً لم يدّع أحد وقوع التحريف. وفي العصر الحاضر انتفى موضوع التحريف.

أ) تعريف التحريف

قال الأزهري:

> حَرَفَ عن الشيء حرفاً وانحرفَ وتحرّف واحْرورَفَ.[٢] حَرْفُ كلّ شيء طرفه وجانبه.[٣]

قال الراغب في *مفردات ألفاظ القرآن*:

> تحريف الشيء إمالته كتحريف القلم، أي قطّه من جانب وجعله مائلاً. والقلم المحرّف المقطوط على هذا النحو وفيه مقطع مائل. وتحريف الكلام جعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين.

وبعبارة أُخرى: تحريف الكلام يعني نقل معناه من موضعه الأصلي إلى شيء آخر غير المراد منه. نذكر على سبيل المثال أنّ القرآن الكريم عندما يقول: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا

---

١. بحوث الأبواب الخمسة السابقة تتعلق كلّها بتاريخ القرآن.

٢. *لسان العرب*: مادّة «حرف».

٣. المصدر؛ *قاموس القرآن*؛ *مفردات ألفاظ القرآن*.

يحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾.[١] فالمراد هو هذا المعنى.

وبعبارة أوضح التحريف في مثل هذه الحالات تغيير وتبديل معنى الكلام وتفسيره وتأويله إلى غير معناه الحقيقي. وهذا يعني أنّ كلّ من يفسّر القرآن على نحو غير حقيقي فذلك يعني أنّه حرّفه مثلما فعل بعض اليهود بالتوراة.

ب) التحريف اصطلاحاً

التحريف اصطلاحاً على خلاف التحريف لغة. فالتحريف لغة: يعني تغيير معنى الكلمة. والتحريف اصطلاحاً: يعني تغيير ألفاظ القرآن، وبعبارة أُخرى: التحريف بمعناه الاصطلاحي يختصّ بالتحريف اللفظي، بينما التحريف لغة يختصّ بالتحريف المعنوي.

وعلى هذا الأساس يمكن القول: بأنّ القرآن لم يستخدم مفهوم التحريف إلاّ بمعناه اللغوي، في حين أنّ محور بحث عدم تحريف القرآن يختصّ بالتحريف بمعناه اللفظي والاصطلاحي.

أقسام التحريف:

١.المعنوي.

٢.اللفظي.

أ) التحريف بالنقيصة.

ب) التحريف بالزيادة.

١. التحريف المعنوي للقرآن

رغم أنّ القرآن الكريم لم يستخدم كلمة التحريف في هذا المجال، إلاّ أنّه قال في الآية السابعة من سورة آل عمران حول الآيات المتشابهة: ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

---

١. النساء: ٤٦؛ المائدة: ١٣.

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾. فهذه الآية تبيّن صراحة أنّ البعض يتخذون الآيات المتشابهة ذريعة لتأويل باطلهم رغبة في إثارة الفتنة.

ليس ثمة شكّ في حصول تحريف معنوي للقرآن؛ لأنّ التفسير بالرأي يعني تحريف المعنى، وهو ما حصل كثيراً، فقد ظهرت في تاريخ تفسير القرآن مذاهب كلامية وفرق كان المنشأ الأصلي لظهورها، الفهم المغلوط لآيات القرآن الكريم، أمثال المفوّضة والمجسّمة وغيرهم.

وقد أشارت الروايات إلى وقوع مثل هذا التحريف، وذمّت من فعلوا ذلك. فقد جاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

> وكان من نبذهم الكتاب أن أقامُوا حووفه وحرَّفوا حدوده، فهم يروونَه ولا يَرْعونه والجُهّال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية....[١]

٢. التحريف اللفظي

أ) لم يزعم أحد من المسلمين وجود تحريف لفظي في القرآن الكريم؛ وجود زيادة في آياته وكلمات، وهناك دليل عقلي أيضاً على عدم وجود هذا التحريف؛ وذلك لأنّ اهتمام المسلمين الفائق بحفظ وتعلم القرآن وقراءته، خلق بينهم جواً جعل ما نزل من آيات القرآن معروفة ومأنوسة لديهم جميعاً، وعلى هذا الأساس لو كانت هناك جملة أو جُمَل تطرح كآيات من القرآن لانكشفت للجميع ولرفضوها.

ب) أمّا القول بتحريف القرآن بحذف كلمة أو جملة أو آية أو سورة منه، فهذا هو القسم الأساسي من بحث التحريف. ورغم أنّ هناك من قالوا بهذا التحريف، إلاّ أنّ محقّقي ومفكّري جميع الفرق الإسلامية ينفون نفياً قاطعاً أي تحريف بالنقيصة. وهذا ما سنتناوله بالبحث عاجلاً.

---

١. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٢٧.

والنتيجة هي أنّ النزاع بين القائلين بالتحريف اللفظي ورافضيه يقتصر على موضوع التحريف بالنقيصة، وهو ما يُشكل صُلْبَ هذا البحث.

الخلاصة

١. عدم التحريف من البحوث المتعلّقة بتاريخ القرآن، ويقتصر على مرحلة مابعد وفاة الرسول إلى حين جمع المصاحف في عهد عثمان، ومنذ ذلك العهد إلى أوائل القرن الرابع؛ أي عهد حصر القراءات بالقراءات السبع.

٢. تحريف الكلام يعني تغييره وتبديل مفهومه وتفسيره على نحو غير صحيح.

٣. جاءت عبارة ﴿يحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أربع مرّات في القرآن، وكلّها تتعلق بالمعنى اللغوي للتحريف؛ أي التحريف المعنوي.

٤. التحريف اصطلاحاً يختصّ بالتحريف اللفظي، أي زيادة أو نقص كلمات أو آيات القرآن، وموضع الخلاف في بحث عدم التحريف هو التحريف بمعناه الاصطلاحي.

٥. أنواع التحريف اللفظي: التحريف بالنقيصة، والتحريف بالزيادة.

٦. وقوع التحريف المعنوي قطعي، وعدم وقوع التحريف بالزيادة متّفق عليه، والقسم الذي يدور حوله النزاع هو التحريف بالنقيصة.

الدرس الثاني

آراء العلماء المسلمين

المشهور والمعروف بين علماء الإسلام ـ شيعة وسنّة ـ عدم وقوع تحريف بالنقيصة في القرآن، والذي بين أيدينا كلّ القرآن الذي نزل على الرسول.

يقول أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالسيّد المرتضى، علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) وهو الفقيه، والمفسّر، والمتكلّم، والأديب، والشاعر، ورئيس الإمامية بعد الشيخ المفيد:

> العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت حداً لم يبلغه ما ذكرناه؛ لأنّ القرآن معجز النبوّة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء الإسلام قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اختُلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته. فكيف يجوز أن يكون متغيّراً أو منقوصاً؟[1]

بيّن الأستاذ محمد هادي معرفة آراء أكثر من عشرين شخصاً من أعلام الإمامية في سلامة القرآن من التحريف، وذكر أيضاً آراء المعاصرين، ومنهم الرأي القاطع

---

١. *مدخل التفسير*: ١٨٧.

لعلماء كبار من أمثال العلاّمة السيّد محمد حسين الطباطبائي، وآية الله أبي القاسم الخوئي، والإمام الخميني.[١]

أطبق كبار محدّثي الشيعة على رفض احتمال التحريف في كتاب الله من لدن أوّلهم، وهو الشيخ الصدوق حتّى عصر آخر علمين وهما الحر العاملي والفيض الكاشاني. وجاءت فكرة التحريف من قبل فئة متطرفة من الأخباريين ممّن يتصفون بالسذاجة وسرعة الاسترسال، وكان السيّد نعمة الله الجزائري (١٠٥٠ ـ ١١١٢ هـ) علم هذه الفئة الشاخص، والمبدع لفكرة التحريف استناداً إلى الشوارد من الأخبار. وكتابه *الأنوار النعمانية* مليء بأخبار وقصص خرافية غريبة لا نظير لها في كتب الإمامية.

وهذا الكتاب هو المصدر الأصلي للقول بالتحريف، وقد اعتمده الشيخ ميرزا حسين النوري (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠ هـ) في كتابه *فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب*.[٢]

هل يمكن نسبة المعتقد الشخصي لهؤلاء الأفراد المعدودين إلى طائفة ومذهب معيّن، في حين هبّت مجموعة كبيرة من علماء ومفسّري ومحقّقي ذلك المذهب لمناهضته؟

فما الذي يهدف إليه من يتشبّثون بمثل هذه الآراء الضعيفة التي لا أساس لها، ويصمون آذانهم ويغمضون أعينهم عن قداسة القرآن ومكانته العظمى لدى عموم المسلمين بشيعتهم وسنّتهم[٣]؟

يُعتبر القرآن اليوم محوراً للوحدة الإسلامية ودستور الإسلام، ويمكنه أن يأخذ دوره في الهداية عندما لا يكون هناك شكّ في سنده، والذين يحاولون نشر مثل هذه

---

١. *صيانة القرآن من التحريف*: ٥٩ ـ ٧٨.

٢. المصدر: ١١١ ـ ١١٣.

٣. ومن هؤلاء الكتاب «إحسان إلهي ظهير» الذي اتّخذ من كتاب *فصل الخطاب* للشيخ النوري أساساً لكتابه *الشيعة والقرآن*، ولم يتورّع فيه عن كيل أنواع الشتائم والتهم للشيعة.

الإشاعات ضد القرآن، بهدف النيل من مذهب معيّن، إنّما ينالون في واقع الحال من أصل القرآن من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

الخلاصة

١. ينفي كبار المحدّثين من الشيعة والسنّة أي احتمال لوقوع التحريف في القرآن الكريم.

٢. الآراء التي تطرحها فئة قليلة من إخباريي الشيعة، وجماعة من أهل السنّة، ويشيرون فيها إلى تحريف القرآن، لا تكاد تمثل شيئاً ذا بال أمام الرأي القاطع لعلماء الشيعة ومحقّقيهم، الذي يؤكّد صيانة القرآن من التحريف.

٣. إلصاق تهمة تحريف القرآن ببعض المذاهب الإسلامية لا يؤدّي إلى شئ سوى النيل من قداسة القرآن من قبل بعض الجهلة.

الدرس الثالث

أدلّة عدم التحريف

هناك أدلّة كثيرة على سلامة القرآن من التحريف، نأتي فيما يلي على تسليط الضوء على قسم منها:

أ) الدليل القرآني، ومثال ذلك آية الحفظ وآية لا يأتيه الباطل

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[1]

﴿...وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.[2]

تحدّث القرآن الكريم في الآيتين السابقتين عن سلامة القرآن من التحريف، وأعلن هذا المعنى بعبارات تبعث على الاطمئنان ومليئة بالتأكيد.

جاءت الآية الأولى على شكل جملة اسمية تبدأ بـ«إنّ» وبالضمير المنفصل «نحن» ولام التأكيد، وَوُضِعَت كلّ عوامل التأكيد إلى جانب بعضها لبيان هذه الحقيقة المهمّة والخالدة.

والعزيز من العزّة بمعنى المنعة. وتختلف مواضع استخدامها. ففي اللغة العربية

---

١. الحجر: ٩.

٢. فصّلت: ٤١ ـ ٤٢.

يُقال: لما لا يقع تحت تأثير عامل خارجي «عزيز». ووصف القرآن بالعزيز أنّه منيع ولا يخضع لعوامل أُخرى ولا يتأثّر بها. والجمل اللاحقة في هذه الآية توضيح لهذا المعنى: ﴿لَا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يدَيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ..﴾ هذا البيان تنزيه للقرآن من كلّ باطل، والحقيقة هي أنّ القرآن يتّخذ موقفاً دفاعياً إزاء الباطل، وآياته وعباراته على درجة من الثبات والمِنعة بحيث يعجز الباطل عن النفوذ إليها.

والتغيير والتبديل سواء بالزيادة أو بالنقيصة في الآيات، إنّما يعني أنّ ما حصل فيه التغيير شيء آخر غير القرآن، وهو أمر باطل، وعلى هذا الأساس فنفي الباطل يعني نفي أي نوع من التغيير والتحريف، إذاً هذه الآية تنفي أي احتمال للتحريف بالزيادة أو التحريف بالنقصان.

ومن المحتمل أن يثار إشكال على النحو التالي: إنّ الاستدلال بهاتين الآيتين على عدم حصول تحريف في القرآن، لا يصحّ إلاّ إذا ثبت أنّ هاتين نفسيهما من القرآن، فمن أين نعلم أنّ هاتين الآيتين من القرآن، وليستا آيتين محرفتين؟ ونقول في الجواب عن هذا الإشكال:

أ) كلامنا في هذا المجال موجّه إلى مدّعي التحريف، وهؤلاء لا يذهب أي منهم إلى القول بالتحريف بالزيادة، وعلى هذا الأساس، فإنّ عدم الزيادة في القرآن أمر متفق عليه.

ب) يُفهم بكلّ وضوح من آيات التحدّي في القرآن أنّ ما بين أيدينا هو القرآن المنزل من عند الله؛ لأنّ الإتيان بمثله غير ممكن. ورغم أنّ آيات التحدّي لا يمكن أن يثبت بواسطتها عدم نقص القرآن، ولكن يمكن إثبات عدم إضافة شيء إليه، وعلى هذا الأساس فالآيتان المذكورتان سالمتان من احتمال التحريف، ويمكن من خلال البرهنة على صحّتهما، إثبات عدم وجود نقص في القرآن بناءً على مفادّهما.

ب) الدليل الروائي

أ) حديث الثقلين المتواتر المنقول عن طريق العامّة والخاصّة.[1]

الحديث مع مافيه من اختلاف طفيف في الألفاظ والتعابير يكشف عن ثلاثة اُمور، هي:

الأوّل: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي.

الثاني: هو ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا.

الثالث: هو إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

هذا الحديث شاهد تامّ ودليل قاطع على سلامة القرآن من التحريف، وهو يعلن أنّ القرآن باقٍ في الناس إلى يوم القيامة؛ لأنّ القرآن لو كان محرّفاً لما أمكن التمسّك به ولا بالعترة؛ لأنّ العترة لا تعتبر حجّة مستقلّة بمعزل عن القرآن. فإن كانت العترة باقية، والقرآن غير موجود فمعنى ذلك افتراق العترة عن القرآن. فلا بدّ من وجود القرآن لكيلا يفترقا.

التدقيق في حديث الثقلين يبيّن أنّ الحديث والسنّة مترابطان مع بعضهما ويستلزم كلّ واحد منهما وجود الآخر، بحيث لو تعرّض أحدهما للتحريف والضياع، لضاع الآخر.

فالقرآن باعتباره الثقل الأكبر يحتاج إلى الحديث لتبيين وشرح حدوده وثغوره ومعانيه ـ وان كان أصل حجيّته ذاتياً ـ والأحاديث والروايات باعتبارها الثقل الأصغر تحتاج إلى القرآن في أصل اعتبارها.[2] والحقيقة هي أنّ القرآن والعترة متمازجان ومتداخلان باعتبارهما حجّة واحدة، ويكمّل أحدهما الآخر، ولا يعقل التمسّك بأحدهما دون الآخر. ولو كان كلّ من القرآن والحديث مطروحين كحجّتين ودليلين

---

١. لمزيد من الاطّلاع راجع: *الغدير وعلوم القرآن عند المفسّرين*: ١٨٧/١ ـ ٢٠٦.

٢. لمزيد من المعلومات راجع الدليل الثالث.

مستقلين عن أحدهما الآخر، لكان من المتيسّر التمسّك بأحدهما عند انعدام وجود الآخر، بينما قال الرسول: ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا.

ب) الروايات التي وصلتنا من الأئمة توصينا بالرجوع إلى القرآن عند الفتن والشدائد،[١] ووصفوا القرآن بأنّه ملاذ حصين. فإذا كان الكتاب نفسه لم يسلم من فتن الزمان، كيف يمكنه حماية الآخرين من إضرار الفتن؟

ج) الدليل الآخر على سلامة القرآن من التحريف، هو عرض الروايات على القرآن، فقد جاءت عن الأئمة أحاديث قالوا فيها:

> ما جاءكم منّا اعرضوه على القرآن، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه.[٢]

وقالوا أيضاً:

> وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.[٣]

أو:

> مالم يوافق كتاب الله من الحديث فهو زخرف.[٤]

وجاءت في الروايات تعابير أُخرى مشابهة لما ذكر سابقاً، حتّى أنّها بلغت حد الاستفاضة. نشير فيما يلي إلى مجموعة أُخرى من هذه الروايات:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

> إنّ على كلّ حق حقيقةً وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه.[٥]

---

١. *الكافي*: ٣٩٨/٤.

٢. *وسائل الشيعة*: ٩/١٨ من أبواب صفات القاضي، ح١٩، ٢٩ و٣٥.

٣. المصدر: ١٤.

٤. المصدر: ١٢.

٥ المصدر: ١٠.

يفهم من مجموع هذه الروايات أنّ ما هو حقّ وله أصالة، هو القرآن الكريم. فالقرآن لا يمكن لأحد الإتيان بمثله، بينما يمكن وضع ما يشبه حديث المعصومين. وعلى هذا الأساس، فإنّ ميزان ومعيار الحقّ من الباطل هو القرآن الكريم، وفي ضوء ذلك فإنّ كلّ رواية تحدّثت بشكل أو آخر عن تحريف القرآن، إذا تعذّر تأويلها وتوجيهها، فهي استناداً إلى هذه المجموعة من الروايات، باطلة وموضوعة ولا اعتبار لها.

ج) الدليل العقلي

القرآن كتاب أُنزل لهداية الناس، وتصرّح آياته بأنّ الله تعالى يعتبر الإنسان مضطراً للرجوع إليه، كما أنّ الضرورة العقلية تقتضي أن تكون المعارف الدينية، والأُصول العامة، ودستور الإسلام مدوّنة في كتاب بين يدي الإنسان، مثلما كان عليه الحال في الأديان السابقة، ومن غير المعقول أن يضع الله كتاباً بين أيدي الناس، ثُمّ يتركهم ليزيده مَنْ يشاء منهم، ويُنقص منه من يشاء. وبعبارة أُخرى يصبح هذا الأمر بمثابة نقض للغرض الإلهي؛ لأنّه لو وقع التحريف في كتاب يُعتبر هدىً للناس ونذيراً للعالمين، ولكلّ العصور والأجيال، فمعنى ذلك أنّ الهدف من انزاله لم يتحقّق، ولا يبقى له أي اعتبار.

د) التحليل التاريخي

الدليل الآخر على عدم التحريف، هو التحليل التاريخي لمكانة القرآن بين المسلمين، فالتاريخ يشهد أنّه كانت لحفظ وقراءة القرآن مكانة متميّزة لدى المسلمين منذ البداية وإلى الآن، بحيث هب مسلمو صدر الإسلام بشغف لا يوصف إلى حفظه وتعليمه وتعلّمه بعد مدّة قصيرة من نزول آياته التي نزلت بشكل تدريجي. وكان هناك كُتّاب خاصّون لكتابة القرآن، وكان لقُرّائه أعلى منزلة في الوسط الاجتماعي.

وبالتزامن مع اتساع الفتوحات الإسلامية في زمن الخليفة الأوّل والخليفة الثاني، وإقبال الشعوب الأُخرى على الإسلام والقرآن ابتداءً من قلب اُوروبا وإلى شبه القارة الهندية، غدا القرآن يُتلى في كلّ البلاد والبيوت، فإذا كان القرآن قد أودع على هذا النحو في الصدور، واستُنسخت منه نسخ لا تُعد ولا تُحصى، فهل يمكن أن يتعرّض للزيادة أو النقصان على يد فرد أو أفراد، ويشهد الآخرون هذه الخيانة ويسكتون عنها، واذا كان هذا لا يُرجى من عامّة الناس، فهل من المنطقي أن يشهد جهاز الخلافة الإسلامية وأمثال علي بن أبي طالب عليه السلام، تحريف كتاب الله ولا يتصدّون له؟ في حين أنّه عليه السلام كان يتعامل بحساسية فائقة مع مسائل من فروع الدين، ويقول مثلاً حول بيت مال المسلمين وما يتعرّض له من حيف وميل:

والله لو وجدته قد تُزوّج به النساء، وملك به الإماء، لرددته؛ فإنّ في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق.[1]

هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعامل مع أموال المسلمين، فما بالك بالقرآن والمساس به، وهو ما يرى الإمام نفسه حارساً له ومدافعاً عنه، وتطرّق في كلمات عديدة إلى وصفه، وتبيينه، وذكر فضله، وهكذا انتهج سائر الأئمة هذا المنهج واتّبعوا هذه السيرة مع القرآن، وأثبتوا عملياً سلامة القرآن من التحريف.

هـ) الأساليب الخاصّة والفريدة

يتّصف القرآن بصياغة وبناء خاص، سواء من حيث التفاوت الموجود بين السُوَر المكّية والسُوَر المدنية، أو من حيث تدرّج نزول الآيات، أو من حيث محتوى دعوته ورسالته وتعليماته.

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٥.

إنّ التأمّل في هذه الصياغة الخاصّة يكشف من جهة عن الجانب الفني والإعجازي للقرآن في الأبعاد الأُخرى، ويزيد من جهة أُخرى من اعتقاد الإنسان بعدم تحريف هذا الكتاب المقدّس، نشير فيما يلي بإيجاز إلى الأُمور التي سبق ذكرها:

أ) السُوَر المكّية متقدّمة، في ترتيب النزول، على السُوَر المدنية، وغالباً ما تكون صغيرة وذات آيات قصيرة وموزونة.[1] وهذا ما أدّى إلى سرعة حفظها وتعلّمها، خاصّة أنّ عدد المسلمين في مكّة كان قليلاً، وكان عدد من يجيدون القراءة والكتابة يحصى بالأصابع، فجاء نزول القرآن بهذه الكيفية بمثابة تعويض عن تلك النواقص، وكانت تلك السُوَر لا تُمحى من الذاكرة.

ب) تدرّج نزول القرآن أتاح للمسلمين تعلّم آياته بسهولة، والسعي إلى حفظه وقراءته، ولا شكّ في أنّ آيات القرآن لو نزلت دفعة واحدة لكان من العسير أو ربّما من المتعذّر على المسلمين في تلك الظروف تحمّلها وهضمها وإدراكها وحفظها وحراستها.

ج) كانت رسالة وتعليمات ومحتوى ودعوة الكتب السماوية تتعارض على الدوام مع مصالح الأقوياء والمتسلّطين، وهذا ما دفع جماعة منهم إلى التشمير عن سواعدهم لطمس حقائقها وتحريفها. أمّا القرآن باعتباره آخر حلقة في سلسلة الكتب السماوية فقد انتهج في طرح رسالاته وتعليماته أُسلوباً يغلق الأبواب أمام أي نوع من الطمس والتحريف، وهكذا بقي هذا الكتاب الخالد محفوظاً من تلاعب المغرضين والمعاندين والمنافقين. لقد اكتفى القرآن في بيان موضوعاته بطرح الأصول والخطوط العريضة، وترك مهمّة شرحها وتفسيرها للسنّة. نذكر على سبيل المثال أنّه لم يصرّح بأسماء الناس الصالحين في زمن نزول الوحي، ولا أسماء مَن خَصّهم بالمدح والثناء، ولم يذكر أسماء من ذمّهم ولعنهم من الأفراد والجماعات، هكذا كان الأُسلوب العام

---

١. يمكن التدقيق في الجزء ٢٩ و٣٠ من القرآن الكريم.

للقرآن، وكان الاستثناء الوحيد فيه، ذمّ أبي لهب وامرأته. وكان لهذا حكمته أيضاً؛ إذ إنّ عداء أبي لهب وزوجته للإسلام كان واضحاً للجميع، وكان انتماؤه إلى قريش وقرابته إلى الرسول، سبباً في عدم حصول أي خطر ضد القرآن من هذا الجانب.

وذكر القرآن في موضع آخر اسم زيد (زيد بن حارثة)، ربيب رسول الله،[1] وكان ذكره مجرّداً من المدح والذمّ.

نُدرّج فيما يلي أمثلة من آيات مدح أو ذمّ الأشخاص في القرآن، ممّن لم يذكر أسماءهم:

١. آية التطهير[2] التي بيّنت السنّة مصداقها.

٢. آية المباهلة[3] التي لم تذكر أسماء من صحبوا الرسول في المباهلة.

٣. آية ليلة المبيت[4] التي تنصّ روايات متعددة على أنّها نزلت بشأن علي بن أبي طالب ليلة هجرة الرسول.

٤. آية: ﴿...إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ...﴾[5] التي نزلت بشأن الوليد، أخي عثمان بالرضاعة.

ما سبق ذكره لا يمثل إلاّ جزءاً يسيراً من حالات كثيرة وردت في القرآن، حقّاً لو أنّ القرآن أثنى صراحة على فئة معيّنة، وذمّ فئة أُخرى علانية، فَما الذي سيحلّ به على يد الفئة الثانية؟

عجباً لكلِّ هذه الدقّة في بيان رسالات الله، ولهذه المعرفة النفسية بشأن هذا

---

١. الأحزاب: ٣٧.

٢. ﴿...إِنَّمَا يرِيدُ اللهُ لِيذْهِبَ عَنكُمُ...﴾.

٣. آل عمران: ٦١: ﴿...فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا...﴾.

٤. البقرة: ٢٠٧: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي...﴾.

٥. الحجرات: ٦.

الكتاب السماوي في تلك البرهة من الزمان، لتقطع من الجذور كلّ ذريعة للتحريف والتلاعب، وتجعل منه كتاباً خالداً على امتداد التاريخ، وتحقّق تلك البشارة الإلهية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وفي موضع آخر يَصِفُ القرآنُ الرسولَ بمعلم الكتاب الإلهي: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾.[1]

وتصفه في موضع آخر بمبيّن ومفسّر القرآن: ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾.[2]

وقد أمر القرآن في إحدى آياته بشكل عام وشامل بإطاعة أوامر الرسول ونواهيه: ﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾.[3]

وعلى هذا الأساس لا يبقى ثمة قلق فيما يخصّ عدم ذكر سبب نزول الآيات في القرآن الكريم؛ وذلك لأنّ المصلحة استوجبت بألّا يذكر الصالحين بأسمائهم، ولكنّه في الوقت نفسه مهّد السبيل أمام الناس للوصول إلى الحقائق القرآنية من خلال وصفه للرسول بالمعلم والمبيّن والمفسّر للكتاب، وبقي القرآن سالماً من التحريف والتلاعب، مع أنّه لم تُكتم حقائقه.

الخلاصة

أدلّة سلامة القرآن من التحريف هي:

١. آيتا الحفظ (الحجر: ٩)، وأنّ القرآن لا يأتيه الباطل (فُصّلت: ٤١).

٢. حديث الثقلين المتواتر، الذي يؤكّد عدم افتراق القرآن والسنّة عن بعضهما.

---

١. الجمعة: ٢؛ البقرة: ١٢٩ و ١٥١.

٢. النحل: ٤٤.

٣. الحشر: ٧.

وبما أنّ حجّيتهما تتطلب اجتماعهما، فإنّ تحريف القرآن يستلزم زوال اعتبار السُنّة، التي لا يمكن التمسّك بها بدون وجود القرآن.

٣. روايات الإرجاع إلى القرآن عند اشتداد حوادث وفتن الزمان.

٤. الأحاديث الدالّة على لزوم عرض الحديث على القرآن لمعرفة مدى صحّته من سقمه.

٥. الدليل العقلي الذي يقضي بلزوم حفظ أهمّ مصدر لدين الإسلام ودستوره باعتباره هدىً للناس؛ وذلك لأنّ القرآن المحرّف لا يبقى بمثابة هدىً للناس، وهذا نقض للغرض.

٦. يثبت عدم تحريف القرآن أيضاً من خلال التحليل التاريخي البسيط لمكانة القرآن بين المسلمين وشغفهم بحفظه وتعليمه وتعلّمه، ووجود قرّاء وحفاظ ممتازين على امتداد تاريخ الإسلام، وكذلك وجود الأئمة المعصومين الذي كانوا يعتبرون أنفسهم حفّاظاً للقرآن ولكيان الإسلام وحرصهم على قدسيّته.

٧. خصائص السُور المكّية التي تقدّمت في نزولها على السُوَر المدنية، وتدرّج نزول الآيات، والأسلوب الخاصّ ببيان المعارف، وطريقة الثناء على الأفراد والجماعات أو ذمّهم، قد كشفت بأنّ للقرآن أسلوباً من الصياغة والبناء يجعل منه كتاباً مقدّساً يتعذّر تحريفه.

الدرس الرابع

شبهات القائلين بالتحريف

ذكرنا في بداية هذا الباب أنّ المحقّقين في علوم القرآن وعلماء الإسلام أكّدوا سلامة القرآن من التحريف، ومن المؤسف أنّ بعض محدّثي الشيعة وعدد من أهل السنّة عند التعامل مع ظاهر بعض الروايات أصدروا على أساسها حكماً متعجّلاً بدون دراستها وتقييمها من حيث السند والدلالة، ورغم أنّ الميرزا النوري أعرب عن ندمه بعد تأليفه لكتاب فصل الخطاب ومشاهدة نتائجه، ورغم مرور أكثر من مئة سنة على تأليف هذا الكتاب، ولكن لازالت تهمة التحريف توجّه على أساس هذا الكتاب، إلى بعض المذاهب الإسلامية من قبل بعض المغرضين والمغرمين بإيقاع الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية.

الشبهات التي طرحها الميرزا النوري

ذكر الميرزا النوري في الباب الأوّل من كتابه، أُموراً تدلُّ على وقوع التحريف في الكتاب، وهي بإيجاز كما يلي:

١. هناك روايات تشير إلى أنّ كلّ ما وقع في الأمم السالفة، يقع في هذه الأمة بما في ذلك وقوع التحريف في الكتاب.

٢. كيفية جمع القرآن في صدر الإسلام تستلزم عادة وقوع التغيير والتحريف فيه.

٣. ما ذكره أهل السنّة في منسوخ التلاوة لا بدّ وأن يكون ممّا نقّص من القرآن.[1]

٤. كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام مصحفاً خاصّاً يخالف الموجود في الترتيب، وفيه زيادة على القرآن الحالي.

٥. كان لعبد الله بن مسعود مصحفاً معتبراً فيه ما ليس في القرآن الموجود.

٦. إنّ المصحف الموجود غير مشتمل لتمام ما في مصحف أُبي بن كعب المعتبر.

٧. إنّ عثمان لما جمع القرآن أسقط بعض الكلمات والآيات.

٨ هناك أخبار كثيرة دالّة وصريحة على وقوع النقصان في القرآن رواها أهل السنّة.

٩. إنّ الله تعالى ذكر أسماء أوصيائه وشمائلهم في كتبه السالفة، فلا بدّ أن يذكرها في كتابه المهيمن عليها.

١٠. رغم أنّ القرآن نزل على قراءة واحدة، ولكن ثبت القراءات في الحروف والكلمات وغيرها.

١١. وجود أخبار في خصوص تحريف بعض الآيات.

نردُّ فيما يلي بإيجاز على بعض هذه الشبهات:

جواب الشبهة الأولى: يقولون: إنّ هناك روايات في حدّ التواتر نقلها الشيعة والسنّة تفيد أنّ كلّ ما وقع في الأمم السابقة لا بدّ وأن يقع مثله في هذه الأمة، وبما أنّ كتبهم السماوية قد حُرّفت، فلا بدّ من وقوع التحريف في القرآن أيضاً، وإلاّ فلن تكون هذه الأحاديث صحيحة. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

> كلّ ما كان في الأمم السالفة، فإنّه يكون في هذه الأُمة مثلُهُ، حذو النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة.[2]

---

١. تجدر الإشارة إلى الميرزا النوري نفسه قال ببطلان هذا المعتقد.

٢. *البيان*، السيد الخوئي: ٢٤٠.

وجواب هذه الشبهة هو: رغم أنّ ظاهر هذه الطائفة من الروايات عام، إلاّ أنّها لا تشتمل حتماً على كلّ الجزئيات والتفاصيل. فالكثير من الحوادث التي وقعت في الأُمم السابقة لم يصدر مثلها في هذه الأمة كالتثليث، وعبادة العجل، وقصّة السامري، وغرق فرعون، ورفع عيسى إلى السماء، والتحريف بالزيارة في كتبهم، وما شابه ذلك، وعلى هذا الأساس، فالمراد من ذلك المشابهة في بعض الوجوه وليس التطابق في كلّ الأمور. وكلام الرسول هذا عام يمكن تخصيصه واستثناء تحريف القرآن منه، استناداً إلى الآية الشريفة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وجواب الشبهة الأُخرى هو أنّهم قالوا: إنّ الروايات تدلّ على أنّه كان لعلي بن أبي طالب مصحفاً غير المصحف الموجود، وأنّه لزم داره بعد وفاة الرسولﷺ وجمع القرآن، وعندما عرضه على القوم لم يقبلوه منه، وجاء في بعض الروايات أنّ قرآن عليعليه السلام كان يشتمل على أشياء غير موجودة في القرآن الذي بأيدينا. وهذا ليس إلاّ تحريف القرآن.

وجواب هذه الشبهة هو أنّ البحوث السابقة قد بيّنت بشكل كامل تاريخ وخصائص مصحف علي بن أبي طالبعليه السلام. فقد كانت لمصحف علي مزايا خاصّة مثل ذكر شأن نزول الآيات، وتفسيرها، وتبيين الناسخ والمنسوخ، وتبويبه حسب ترتيب نزول الآيات والسُوَر، وما شابه ذلك، غير أنّ فقدان هذه المزايا في القرآن الحالي لا يعني نقصه وتحريفه. والدليل على ذلك أنّ علي بن أبي طالبعليه السلام لم يُشِر في خلافته إلى وجود تحريف في القرآن، قال آية الله الخوئي في الرد على الروايات التي أدُّعى أنّها تشير إلى التحريف.[1]

هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن. وكثير من هذه

١. راجع: المصدر: ٢٢٦ ـ ٢٣٣.

الروايات ضعيفة السند ومجموعة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السيّاري، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه، ومن علي بن محمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنّه كذّاب وفاسد المذهب.

وهو يرى أنّ الروايات تُقسم إلى أربع مجموعات، نتناول هنا ذكر مجموعتين منها:

١. الروايات التي ورد فيها لفظ التحريف، كالرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: أصحاب العربية يحرّفون كلام الله عزّ وجلّ عن مواضعه، وظاهرها أنّ التحريف يُراد به هنا اختلاف القراءات، وليس حذف شيء من القرآن.

أو ما نقله أبو ذَر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ هناك من يقولون يوم القيامة: أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه.

ولفظ التحريف في مثل هذه الروايات ليس بمعنى النقص، وإنّما يراد به حمل الآيات على غير معانيها، والتفسير بالرأي، والدليل على ذلك ما روى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال:

وكان نبذهم الكتاب أنّهم أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده.

٢. الروايات التي دلّت على أنّ بعض الآيات ذُكرت فيها أسماء الأئمة عليهم السلام، وأنّ أعداءهم قد حرّفوها، ومثل هذه الروايات تتحدّث عن شأن نزول الآيات، فلو جاء فيها مثلاً عبارة «نزلت في علي»، فهذا لايعني أنّ اسمه كان فيها، ثُمّ حُذف منها.

قال مؤلّف كتاب *البيان*: وممّا يدلّ على أنّ اسم علي بن أبي طالب عليه السلام لم يذكر صريحاً في القرآن حديث الغدير، فإنّه صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله إنّما نصب علياً بأمر الله، وبعد أن ورد عليه التأكيد في ذلك، وبعد ان وعده الله بالعصمة من الناس، ولو كان اسم علي مذكوراً في القرآن لم يحتج إلى ذلك النصب، ولا إلى تهيئة ذلك الاجتماع الحافل بالمسلمين، ولما خشي الرسول صلى الله عليه وآله من إظهار ذلك ليحتاج إلى التأكيد في أمر التبليغ، ولاسيّما أنّ حديث الغدير كان في حجّة الوداع التي وقعت

في أواخر حياة النبيﷺ، بعد نزول عامة القرآن وشيوعه بين المسلمين.

وأمّا جواب الشبهات الأخرى من قبيل وقوع التحريف بسبب كيفية جمع القرآن في عهد عثمان، أو مُصحف عبد الله بن مسعود، وأُبَي بن كعب، أو اختلاف القراءات فَهو واضح جداً، ويتبيّن من خلال إلقاء نظرة أُخرى على المواضيع المتعلّقة بجمع القرآن ومزايا مصاحف الصحابة وأسباب ظهور اختلاف القراءات في الأبواب السابقة، عدم وجود علاقة بينها وبين التحريف.

الخلاصة

١. من يدّعون تحريف القرآن إنّما خدعوا بظواهر بعض الآيات.

٢. التماثل والاشتراك بين الأمة الإسلامية والأمم السابقة تماثل في الجملة وليس بالجملة، وهو لا يشمل الكثير من الأمور ومنها تحريف القرآن.

٣. الإضافات التي كانت في مصحف علي بن أبي طالبعليه السلام، كانت تتعلّق بشأن النزول، والتفسير، وتبيين الآيات، وبيان الناسخ والمنسوخ، وما شابه ذلك.

٤. الكثير من روايات التحريف نقلت عن أحمد بن محمد السياري، أو عن علي بن أحمد الكوفي، وكانا كلاهما فاسدي المذهب وكذّابيْن.

٥. نظراً إلى الشواهد الموجودة في بعض الروايات، فإنّ المراد من التحريف هو تحريف المعنى، وهو ما ذُكر صراحة في عدد من الروايات.

٦. الروايات الدالّة على أنّ اسم الأئمةعليهم السلام كان موجوداً في القرآن، أو التي تشير إلى أنّ كذا آية نزلت بشأن الإمام عليعليه السلام، تدلّ كلّها على شأن النزول، ولا تعني أنّ اسم الأئمة كان جزءاً من الآية.

٧. يُستفاد من الأدلّة القطعية من الكتاب والسنّة والعقل والشواهد التاريخية وغير التاريخية، بطلان الاستناد إلى كيفية جمع القرآن في عهد عثمان للقول بالتحريف، أو

اختلاف القراءات أو الزيادة والنقصان في بعض مصاحف الصحابة كمصحف عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب واضحة تماماً، وتبعث على الإيمان المضاعف بالبشارة الإلهية بحفظ القرآن.

الأسئلة

١. اشرح تعريف التحريف لغةً واصطلاحاً.

٢. اشرح أنواع التحريف، وبين التحريف الذي يدور حوله البحث والجدل.

٣. ما سبب وقوع التحريف المعنوي في القرآن؟

٤. ما الآيات التي تنفي وقوع التحريف في القرآن؟ وضح ذلك.

٥. كيف يمكن الاستفادة من حديث الثقلين لنفي وقوع التحريف في القرآن الكريم؟

٦. ما الدليل العقلي على سلامة القرآن من التحريف؟

٧. بين كيف ساعدت الصياغة الخاصّة للقرآن على صيانة هذا الكتاب السماوي من التحريف؟

٨. كيف يمكن الرد على شبهة التماثل بين الأمة الإسلامية وسائر الأمم، ومن جملة ذلك تحريف الكتاب؟

٩. كيف يمكن توجيه الروايات الدالّ ظاهرها على التحريف؟

١٠. هل يعتبر اختلاف مصحف علي عليه السلام مع المصحف الحالي دليل على التحريف؟ ولماذا؟

١١. هل الزيادة والنقصان في مصاحف الصحابة دليل على التحريف؟ ولماذا؟

١٢. اذكر خمسة أمثلة من الروايات التي تبيّن وقوع التحريف المعنوي (لا اللفظي).

١٣. ما رأي المستشرقين الذين بحثوا في تاريخ القرآن، في روايات التحريف؟

١٤. هل يمكنك إقامة دليل آخر غيرالأدلّة المذكورة في الكتاب، على عدم التحريف.

الباب السابع

إعجاز القرآن

الأهداف التعليمية

١. معرفة الحكمة من تنوع معجزات الأنبياء.

٢. معرفة آيات التحدّي والملاحظات التي يمكن استخلاصها من هذه الآيات.

٣. بحث المسار التنازلي أو غير التنازلي لآيات التحدّي.

٤. دراسة إجماليّة لأبعاد إعجاز القرآن كالإعجاز البياني، وإعجاز المعاني، والانسجام، وعدم الاختلاف في القرآن، وإخباره بالغيب، وإعجازه العلمي، وإعجازه الفني، وإعجازه العددي.

المصادر المهمّة

الميزان في تفسير القرآن: ١؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٤ و٥؛ *علوم القرآن عند المفسرين*: ٢؛ *البيان في تفسير القرآن*، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*؛ *مدخل التفسير*.

الدرس الأوّل

تعريف الإعجاز

أ) الإعجاز لغة

ذكروا لهذه الكلمة ثلاثة معان في اللغة هي: الفوت، والعجز، والتعجيز.

جاء في *القاموس*:

أعْجَزَ الشيءُ: فاته وفلاناً: وجَدَه عاجزاً وصيّره عاجزاً.

أعْجَزَ في الكلام: أدّى معانيه بأبلغ الأساليب.

قال الراغب في *المفردات*:

العجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخّرة، كما ذُكِر في الدُّبر، وصار في التعارف أسماء للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّه القدرة.

ومراده من هذا البيان أنّ معنى العجز هو التأخّر، ولكن بما أنّ الضعفاء وغير القادرين يتأخّرون عادة عن الآخرين ويأتون وراءهم، لهذا صارت هذه الكلمة تستخدم كمرادف للضعف.

ب) الإعجاز والمعجزة اصطلاحاً

المعجز: الأمر الخارق للعادة، المطابق للدعوى المقرون بالتحدّي.[1]

---

١. مجمع *البحرين*: مادة «عجز».

هذا البيان الذي يقدّمه الطُريحي هو التعريف الاصطلاحي للإعجاز والمعجزة.

قال آية الله الخوئي في تعريف الإعجاز:

وهو في الاصطلاح ان يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الالهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه.[1]

ج) أفضل المعجزات (فلسفة تنوّع المعجزات)

جاءت في كتاب *الكافي* في رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه سُئِل عن سبب اختلاف المعجزات بين الأنبياء مثل موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله، فقال: إنّ سبب هذا الاختلاف يعود إلى تغلب الأنبياء على الفنون الشائعة في عصرهم.[2]

في عصر ظهور الإسلام كانت فنون الأدب بلغت ذروتها بين العرب وكانوا يختارون الأكثر فصاحة وبلاغة من خطبائهم وأدبائهم ويكرمونهم ويسمّون أحدهم سيّد البيان، ويقيمون الأسواق لعرض البديع من أشعارهم، ويبلغ بهم التقدير مرحلة أنّهم يكتبون بماء الذهب أفضل سبعة قصائد من أشعارهم ويعلّقونها على الكعبة. وبرز رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المنازلة بسلاح حيّر سادة البيان. فهو يعرض لهم شيئاً بذات الصيغة والبناء الذي كانوا يعتبرون أنفسهم قد فاقوا الدهر فيه.

نعم، إنّ اعظم معجزة جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله هي الكتاب

كانت معجزات الأنبياء والمعجزات الأخرى لنبيّنا ـ عدا القرآن ـ تأتي في إطار زمان ومكان خاصّ، ولهذا لم تكن ملموسة في زمان ومكان آخر، الاّ أنّ القرآن الذي هو نوع من البيان، وهو بيان العزيز الحكيم ـ الذي جاء لهداية وتربية الإنسان ـ يتميّز بخصائص الخلود والبقاء إضافة إلى صفة الإعجاز.

---

١. *البيان*: ٣٣.

٢. *تفسير القرآن الكريم*، مصطفى الخميني: ٩٤/٤.

الخلاصة

١. استخدمت كلمة الإعجاز بمعنى الفَوْت والعجز والتعجيز، في حين أنّ المعنى الأصلي للعجز هو التأخّر.

٢. المعجزة تعني اصطلاحاً العمل الخارق للعادة المقترن بدعوى النبوّة إضافة إلى التحدّي الذي تتعذر معارضته، وهو الشاهد على صدق دعوة الرسول.

٣. أفضل المعجزات ما كان من الصناعة والفن الشائع في عصره، ولهذا السبب جاء اختلاف المعجزات كالعصا واليد البيضاء لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، والقرآن لمحمد المصطفى صلى الله عليه وآله، ممّا يتناسب مع الظروف والطبيعة الفنية والعلمية لكلّ عصر.

الدرس الثاني

التحدّي

نزل القرآن بصفته سنداً لنبوّة الرسول والمصدر الأساسي لهداية الأمّة. وكان نزوله في برهة من الزمان، وفي بقعة من العالم بلغت فيها الفصاحة كمالها بين العرب، وكانت الحجاز مهداً لظهور أشهر الأدباء والشعراء والخطباء وأرباب الفصاحة والأدب العربي. في بداية الأمر كان جماعة من منكري القرآن يتوهّمون بأنّه ليس إلاّ مجموعة أساطير، ويظنون أنّهم لو شاؤوا لاستطاعوا الإتيان بمثله.[1]

في مثل ذلك الزمان والمكان تحدّاهم الرسول بالقرآن.

لم يأت ذلك التحدّي انطلاقاً من موضع انفعالي، بل جاء بحزم وصلابة لا مثيل لهما، وبما أنّه استهدف أبرز ميزة ومفخرة عند العرب (أي فصاحتهم وبلاغتهم) فقد كان مثيراً ومحفّزاً للغاية؛ لأنّ عدم استجابتهم للتحدّي القرآني، أو الاستجابة الفاشلة، لم تكن لتؤدّي سوى إلى فقدان ابّهتهم ومكانتهم المتميّزة، والأعجب من ذلك أنّ ذلك التحدّي لم يكن موجهاً إلى أهالي شبه الجزيرة العربية والعرب

---

١. ﴿...لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣١)، ﴿أو أنّهم كانوا يقولون: إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾(المدثر: ٢٥)، أو: ﴿...مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (الأنعام: ٩١).

وحدهم، بل جاء التحدّي الأوّل كما يلي: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾.[١]

أ) آيات التحدّي في القرآن

جاءت آيات التحدّي في القرآن على نحوين:

أ) التحدّي بشكل عام وكلّي.

ب) التحدّي بشكل خاصّ وجزئي.

التحدّي الخاصّ الذي جاء في القرآن الكريم سنتحدّث عنه في الدرس الثالث. أمّا الذي نتناوله في هذا الدرس فهو التحدّي من النوع الأوّل،[٢] نورد فيما يلي تلك الآيات حسب ترتيب نزولها:

١. ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[٣]

٢. ﴿أَمْ يقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٤]

٣. ﴿أَمْ يقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٥]

---

١. الإسراء: ٨٨

٢. ينبغي الالتفات طبعاً إلى أنّ الآيات التي نذكرها تحت عنوان التحدّي من النوع الأوّل (التحدّي الخاص) تأتي أيضاً تحت عنوان التحدّي بالبلاغة.

٣. الإسراء: ٨٨

٤. يونس: ٣٨.

٥. هود: ١٣.

٤. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ*فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[١]

٥. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[٢]

ب) ملاحظات حول آيات التحدّي

١. جاء أوسع أنواع التحدّي من بين الآيات الخاصّة بهذا الموضوع، ففي آية التحدّي الأُولى: المخاطبون في هذا التحدّي هم الإنس والجن؛ أي كلّ أهل العالم، ويُفهم من هذه الآية بكلّ جلاء أنّ أبعاد إعجاز القرآن لا تنحصر في فصاحته وبلاغته ولغته الخاصّة وهي اللغة العربية، وإنّما طُرحت من جوانب مختلفة، وإلاّ فمن غير المناسب تحدّي غير العرب بكتاب عربي.

٢. الآيات الثلاثة الأولى من آيات التحدّي جاءت في سور متتالية من حيث ترتيب النزول، وهي: السورة الخمسون، والحادية والخمسون، والثانية والخمسون.

٣. كيفية التحدّي في الآيتين الثانية والثالثة متماثلة ومتشابهة تماماً باستثناء الحجم.

٤. جاءت الآيات الأربعة الأولى في سور مكّية، والآية الأخيرة في سورة مدنية. وهكذا يظهر أنّ أكثر التحدّي حصل في مكّة، ونظراً إلى قلّة المسلمين، والقوة الظاهرية للكافرين، فقد كان للتحدّي المتكرر والحاسم تأثير بيّن في غرس الثقة في نفوس المسلمين وشق وزعزعة صفوف المشركين والكافرين.

٥. هنالك فارق جليّ في لهجة آيات التحدّي في السُوَر المكّية، وآية التحدّي في السورة المدنية، ويتجسّد هذا الفارق مرّة في كشف العجز عن المعارضة وهو

---

١. الطور: ٣٣ ـ ٣٤.

٢ البقرة: ٢٣ ـ ٢٤.

ماصرّحت به الآية الواردة في سورة البقرة بحزم قلّما يوجد له مثيل في الآيات الأُخرى، وعبّرت عنه في الجملة الاعتراضية بعبارة «ولن تفعلوا»؛ أي لن تستطيعوا أبداً.

ويتجسّد هذا الفارق مرّة أُخرى في التهديد الذي جاء في ختام آية التحدّي الواردة في سورة البقرة، بينما تخلو سائر آيات التحدّي من التهديد.

وفي نهاية المطاف فإنّ التهديد الأخير غير موجّه للمنكرين، بل للمرتابين؛ لأنّ التعبير الذي ورد في بداية الآية: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا...﴾ يشير إلى أنّه يتعيّن حتّى عدم الارتياب في أحقيّة القرآن، وبعبارة أُخرى بيّنت هذه الآية عدم جواز الشك والارتياب في مصدر القرآن وهو الوحي، فضلاً عن عدم جواز الإنكار والافتراء وحذّرت من ذلك.

٦. آيتا التحدّي الأُولى والأخيرة جديرتان بالتأمّل والملاحظة، من حيث سعة التحدّي في الآية الأُولى، وقوّته في الثانية.

ج) معارضة آيات التحدّي

سجّل التاريخ بعض معارضات القرآن وكانت طبعاً مدعاة للعبرة والدهشة، وعلى هذا الأساس حصلت معارضة لذلك التحدّي، ولكن لم ينتج عنها سوى الخسران والخِزْي للمعارضين.

نورد فيما يلي ثلاثة أمثلة من تلك المعارضات:

عارض مُسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوّة، سورة الفيل بقوله:

الفيل ما الفيل. وما أدراك ما الفيل. له ذنب وبيل وخرطوم طويل... .[1]

وادّعى أحَد الكتاب المسيحيين معارضة القرآن محاولاً معارضة سورة الحمد من

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٦٨/١.

خلال الاقتباس من السورة نفسها، وجاء بسورة من عنده يقول فيها:

الحمد للرحمن، ربّ الأكوان، الملك الديّان، لك العبادة وبك المُستعان، اهدنا صراط الإيمان.[١]

وقال في معارضته سورة الكوثر: إنّا اعطيّناك الجواهر. فصل لربّك وجاهر ولا تعتمد قول ساحر.

حاول هذا الشخص من خلال تقليده التامّ لنظم وصياغة الآيات القرآنية وتبديل بعض كلماتها، الإيحاء للناس بأنّه قد عارض القرآن، وهكذا سرق مسيلمة الكذاب أيضاً نسيج وبناء سورة الكوثر، وقال في معارضتها:

إنّا اعطيّناك الجماهر، فصلٌ لربّك وهاجر. وأنّ مبغضك رجلٌ كافر.[٢]

وهنالك أيضاً أنواع أُخرى من المعارضة المتهافتة التي اودعت في أدراج التاريخ.[٣]

الخلاصة

١. التحدّي يعني طلب المنازلة، وقد عرض الله على منكري الوحي الإلهي أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين في دعواهم.

٢. جاء التحدّي في القرآن بصيغتين:

أ) التحدّي العام والكلي.

ب) التحدّي الخاصّ والجزئي.

٣. جاء التحدّي العام في القرآن في خمس آيات، وتقع هذه الآيات حسب ترتيب نزولها في السُوَر التالية: الإسراء، يونس، هود، الطور، البقرة. وجاء ترتيب نزول السُوَر الثلاثة الأُولى منها حسب التسلسل التالي: الخمسون، والحادية والخمسون، والثانية والخمسون.

---

١. *البيان*: ٩٤.

٢. للاطلّاع على توضيح كامل لبطلان هذه العبارات، راجع: المصدر: ٩٤ ـ ٩٩.

٣. *تفسير نمونه (التفسير الأمثل)*: ١٣٤/١ ـ ١٣٥.

٤. جاء أشمل وأوسع نوع من التحدّي في الآية الأُولى للتحدّي التي تقع في سورة الإسراء.

٥. تقع أربع من آيات التحدّي في السُوَر المكّية، وجاءت آخر آيات التحدّي في أوّل سورة مدنية.

٦. يختلف لحن آيات التحدّي في السُوَر المكّية عن آية التحدّي في سورة البقرة التي هي سورة مدنية.

٧. آية التحدّي الأُولى جديرة بالتأمّل من حيث شمولية التحدّي، والآية الأخيرة في التحدّي جديرة بالتأمّل من حيث قوّة التحدّي.

٨ سجل التاريخ حالات من معارضة تحدّي القرآن، وكانت نتيجتها أنّها عادت على أصحابها بالفضيحة والخزي، وزادت القرآن عزّة وعظمة.

الدرس الثالث

أبعاد إعجاز القرآن

القرآن معجزة من أبعاد وزوايا شتّى، ولا يقتصر إعجازه على الفصاحة والبلاغة، بعض هذه الأبعاد بيّنها القرآن نفسه صراحة وتحدّى فيها.[1] وهناك وجوه أُخرى من الإعجاز لم يعرض القرآن بشأنها تحدياً خاصّاً، وهذه الحالات تنضوي تحت لواء آيات التحدّي العام. ندرس في هذا الدرس أبعاد التحدّي بغض النظر عمّا إذا كان فيه تحدٍّ خاصٌّ أم لا. ولا يخفى أنّه ما من أحد يزعم القدرة على استكناه كلّ أبعاد إعجاز القرآن؛ وذلك لأنّ الكثير من أسرار وعجائب القرآن لازالت خافية علينا، وربّما يمكن القول: بأنّ حصر وإحصاء كلّ وجوه إعجاز القرآن ومعرفتها الدقيقة يمثل بحد ذاته إعجازاً آخر.

وبعد هذه المقدّمة، نأتي على دراسة أبعاد الإعجاز:

أ) شخصية الرسول

أحد الأُمور المهمّة التي أشار إليها القرآن في إعجازه، هي شخصية النبي الذي جاء بالرسالة، فالرسول لم يدرس عند عالم أو معلم، وكان الجميع يعلمون بأنّه كان أُمّيّاً لم يتعلم القراءة والكتابة، ولم يأت بشعر أو نثر نحو من أربعين سنة من حياته التي

---

١. المراد بالتحدّي في هذا الفصل، التحدّي الخاصّ.

سبقت بعثته وهو ثلثا عمره،[١] ثمّ أتى بما أتى به دفعة فأتى بما عجزت عنه فحولهم وكَلّتْ دونه ألسنة بلغائهم.

وقد اعتبر القرآن هذا الأمر جانباً من إعجازه، وتحدّى به:

﴿قُل لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[٢]

ونفى القرآن قول من قالوا بأنّ هناك رجلاً من الروم يعلّمه:[٣]

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.[٤]

هذا الرسول الذي لم يتعلّم في أي مكان، يعرض على الناس وعلى المتعلّمين كتاباً مليئاً بالمعارف والحِكَم والهداية، ويغدو هو معلماً للكتاب والحكمة.[٥]

ب) الفصاحة والبلاغة (الإعجاز البياني)

وقد تحدّى القرآن بالبلاغة أيضاً، فآيات التحدّي الخمسة التي ـ بحثناها في الدرس الثاني ـ تُعنى على الأقل بجانب الفصاحة والبلاغة[٦]؛ وذلك لأنّ الصفة المهمّة لمخاطبي الرسول ـ الذين دعاهم إلى الاستجابة ـ هي الفصاحة والبلاغة.

لا يخفى على أحد بأنّ العرب في عصر ظهور الإسلام بلغوا في الفصاحة حدّاً لم يذكره التاريخ لواحدة أُخرى من الأمم المتقدّمة عليهم والمتأخّرة عنهم، في مثل تلك

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٦٣/١.

٢. يونس: ١٦.

٣. *الميزان في تفسير القرآن*: ٦٣/١.

٤. النحل: ١٠٣.

٥. ويعلمهم الكتاب والحكمة. (الجمعة: ٢).

٦. ذكرنا سابقاً أنّ بعض الآيات كالآية ٨٨ من سورة الإسراء لا تختصّ بالفصاحة والبلاغة.

الأجواء نزلت الآيات الإلهية النورانية على الرسول، فكانت على درجة من الحلاوة والبلاغة بحيث ضيّقت الخناق على الشعراء والأدباء وذوي القرائح وأرغمتهم على الاعتراف بالعجز عن مباراتها، وقد تجلّى القرآن بأسلوبه البديع والفريد في بيان المعاني الراقية والثرّة التي لا هي من الشعر ولا هي من النثر، حتّى طغى على كلّ كلام وأثر أدبي، وفي التاريخ قصص وحكايات كثيرة في هذا المجال. فعندما كانت آيات القرآن تُتلى، كانت تخلب الألباب.

ومن ذلك أنّ الوليد بن المغيرة المخزومي كان معروفاً بين العرب بحسن التدبير حتّى أنّهم كانوا يسمّونه ريحانة قريش، والعدل، يروى أنّ النبيﷺ لما أُنزلت عليه الآيات الأُولى من سورة غافر، قام إلى المسجد، وكان الوليد بن المغيرة قريباً منه يسمع قراءته، فلما فطن النبيﷺ لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية. فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم، فقال:

> والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وأنّ له لحلاوة، وأنّ عليه لطلاوة، وأنّ أعلاه لمثر، وأنّ أسفله لمغدق، وأنّه ليعلو وما يُعلى.[1]

واذا شئنا توضيح تحدّي القرآن في مجال الفصاحة والبلاغة على نحو ملموس، من المناسب أن نعقد مقارنة بين آية من القرآن وأوجز العبارات عند العرب في ذلك المعنى، استخدم القرآن الكريم تعبيراً جميلاً وبديعاً حول القصاص والحكمة الكامنة فيه فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾،[2] وكان هناك لدى العرب تعبير شائع في هذا المعنى، وهو «القتلُ أنفى للقتل».

وقد بيّن جلال الدين السيوطي، عند المقارنة بين هاتين الجملتين مدى بلاغة وفصاحة

---

١. مجمع *البيان*: ٥٨٤/١٠.

٢. البقرة: ١٧٩.

العبارة القرآنية في مقابل التعبير الشائع عند العرب، نشير هنا إلى مزايا كلّ منهما:

الأوّل: إنّ قوله ﴿...الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ أقلُّ حروفاً.

الثاني: إنّ الآية مطّردة بخلاف المثل؛ فإن ليس كلّ قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أدعى له، وهو القتل ظُلماً، وإنّما ينفيه قتل خاص وهو القصاص، ففيه حياة أبداً.

الثالث: إنّ الآية رادعة عن القتل والجرح معاً؛ لشمول القصاص لهما، وأنّها نبّهت على حياة النفس من وجهين: من وجه القصاص صريحاً، ومن وجه القصاص في الأعضاء؛ لأنّ أحد أحوالها أن يسري إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل.

الرابع: إنّ قولهم فيه كُلفة بتكرير القتل، ولا تكرير في الآية.

الخامس: الآية اشتملت على فنّ بديع؛ وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضدّه الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة.

السادس: إنّ اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاتُه تمكّن اللّسان من النطق به، وظهرت فصاحته، بخلاف إذا تعقب كلّ حركة سكون، والحركات تنقطع بالسكنات، وقولهم: «القتل أنفى للقتل»، حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية.

السابع: عبارة «القتل أنفى للقتل»، كالمتناقض في الظاهر، لأنّ الشيء لا ينفي نفسه.

الثامن: الآية خالية من لفظ القتل المُشعر بالوحشة، بخلاف لفظ الحياة، فإنّ الطباع أقبل له من لفظ القتل.

التاسع: الآية مبنية على الإثبات، والمثل على النفي؛ والإثبات أشرف؛ لأنّه أوّل، والنفي ثان عنه.

العاشر: إنّ لفظ القصاص مُشعر بالمساواة فهو منبئ عن العدل، بخلاف مطلق القتل.

يكمن جانبٌ من الإعجاز الأدبي للقرآن في أُسلوبه المتميّز، فالقرآن قد جاء بمنهج جديد في الصياغة الكلامية لم يكن معروفاً من قبل، فلا هو بالشعر ولا هو بالنثر.

ج) التعاليم والمعارف السامية (إعجاز المعاني)

لا يقتصر جمال القرآن على حسن ألفاظه وعباراته وفصاحته وبلاغته. فلهذا الكتاب المقدّس جمال أروع وقيمة أسمى تكمن بما فيه من مفاهيم ومعان دقيقة وعميقة. بيّن القرآن أنّ الرسالة التي جاء بها هي هداية الناس. وهو الكتاب الذي يُخرجُ به الرسولُ الناسَ من الظلمات إلى النور.[1]

والقرآن باعتباره دستور الإسلام، يَضُم مجموعة من الأُصول والضوابط التي تنسجم مع الفطرة البشرية، ويسلط الضوء على الأفكار كالشمس الساطعة، ويؤكّد أنّ العزة والعظمة رهينة بمعرفة أحكامه والعمل بها.

ولا شكّ في أنّ للقرآن معجزته في هذا الجانب. فقد قال الله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيكَ الْكِتَابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شَيءٍ...﴾[2] فحينما بلغ انحطاط الأخلاق والآداب والقيم الاجتماعية غايته، وكانوا يعتبرون الغارات والغزوات ونهب الأموال مفخرة، ويئدون البنات، وفي الوقت الذي استشرى فيه الفساد والجور والفجور، جاء القرآن رافعاً لواء أنبل القوانين والقيم والفضائل الإنسانية، داعياً الناس إلى الصدق، والأمانة، والأخوة، والتكاتف، والإنسانية، ليخرجهم من الجهل إلى العلم ومن الظلمة إلى النور، ومن الرذائل إلى الفضائل، وفي ضوء هذه الأحكام والتشريعات السامية، ساد الإسلام شرق العالم وغربه، ورفرفت راية الحضارة الإسلامية العظمى في كلّ أرجاء العالم.

نستعرض فيما يلي أمثلة من الأُصول والقوانين التي نادى بها القرآن:

أوّلاً: أصل العدالة والأمانة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَينَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾.[3]

---

١. إبراهيم: ١.

٢. النحل: ٨٩.

٣. النساء: ٥٨.

ثانياً: أصل الدعوة إلى الفضائل والنهي عن الرذائل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[١]

﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾.[٢]

ثالثاً: أصل المقابلة بالمثل في التعامل مع المعتدي:

﴿...فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾.[٣]

رابعاً: أصل المساواة بين الناس، وتحديد مقياس التمايز في القيم كالتقوى والعلم والجهاد في سبيل الله:

﴿...إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾.[٤]

﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[٥]

﴿...فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[٦]

خامساً: أصل الحرية ورفض أي نوع من الاستبداد:

﴿...وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٧]

---

١. النحل: ٩٠.

٢. المائدة: ٢.

٣. البقرة: ١٩٤.

٤. الحجرات: ١٣.

٥. الزمر: ٩.

٦. النساء: ٩٥.

٧. الأعراف: ١٥٧.

سادساً: أصل عدم تسلط الكفّار على المؤمنين:

﴿...وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.[١]

سابعاً: أصل الشدّة على الكفّار والرحمة بالمؤمنين:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾.[٢]

ثامناً: أصل الإخوة والصلح:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾.[٣]

تاسعاً: أصل الدعوة الى الوحدة:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾.[٤]

عاشراً: أصل الانتفاع بالنعم الإلهية:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾.[٥]

الحادي عشر: أصل الوفاء بالعقود:

﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.[٦]

الثاني عشر: أصل الدعوة إلى الاعتدال:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾.[٧]

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يسْرِفُوا وَلَمْ يقْتُرُوا وَكَانَ بَينَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.[٨]

---

١. النساء: ١٤١.

٢. الفتح: ٢٩.

٣. الحجرات: ١٠.

٤. آل عمران: ١٠٣.

٥. الاعراف: ٣٢.

٦. المائدة: ١.

٧. الإسراء: ٢٩.

٨ الفرقان: ٦٧.

الثالث عشر: أصل عدم الحرج:

﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾.[١]

الرابع عشر: أصل التكليف على قدر الاستطاعة:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾.[٢]

الخامس عشر: أصل الاعتناق الاختياري للدين:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾.[٣]

الأصول التي أشرنا إليها ليست إلاّ جانباً من معارف القرآن التي تعبّر عن التعقّل والانسجام مع الفطرة البشرية، والاعتدال في الأمور، فالقرآن كلّه شفاء، ونور، ورحمة، وهداية، وحقّانية. ومهما تعاقبت الدهور فهي لا تؤثر في طراوة القرآن وحلاوته، وقد بشّر الإسلام بهذه الأُصول والمبادئ الراقية في أسوأ عهود الانحطاط الأخلاقي، وفي زمن شيوع التوحّش والهمجية، وبيّن بأسمى الصور نظرته إلى مختلف جوانب الحياة الاقتصادية منها، والمالية، والاجتماعية، والسياسية، والشؤون العسكرية والدفاعية، والقانونية، وفي مجال الثروات العامة، والمعاملات، والزواج، والطلاق، والمواريث، وما شابه ذلك.

لا تقتصر المعارف الدينية في القرآن على هذه المجموعة من الأصول والأحكام، وإنّما تتجلى أيضاً في مجالات أُخرى من الحياة كمجال الاعتقاد وإثبات وحدانية الله، والنبوّة، والإمامة، والقيامة.

وخلاصة الكلام: إنّها تمتد من المبدأ إلى المعاد. وكلّ ما جاء به القرآن يتطابق مع العقل السليم ومع البرهان القويم. وعندما يقارن المرء بين الآيات التي تتحدّث عن

---

١. الحجّ: ٧٨.

٢. البقرة: ٢٨٦.

٣. البقرة: ٢٥٦.

التوحيد وتصف الأنبياء والرسل، وآيات القيامة والمعاد، مع ما في التوراة والإنجيل من التحريف، تتجلّى له نزاهة القرآن وقدسيّته أكثر فأكثر.[١]

ألا تدلّ هذه المجموعة الهائلة من الأصول والقواعد والمبادئ الراقية، إضافة إلى المعارف العقائدية والأخلاقية والتربوية الغنية، على إعجاز هذا الكتاب؟ فالأحكام والمعارف التي تنسجم مع الفطرة وسنن الكون يُكتب لها الدوام والبقاء. ويمكن القول بعبارة وجيزة: بأنّ القرآن قد وضع بين أيدي الناس كلّ ما يحتاجون إليه لهدايتهم وسعادتهم على الصعيدين العلمي والعملي من تعليمات ومعارف وحقائق كونية، وتشريعات للحياة.

د) الانسجام وعدم الاختلاف

أحد أبعاد إعجاز القرآن التي أشار إليها القرآن نفسه وتحدّى بها، هو عدم وجود الاختلاف فيه. فهذا الكتاب الذي نزل تدريجيّاً على مدى ثلاث وعشرين سنة في مكّة والمدينة، في الليل والنهار، وفي الحرب والسلم، وفي يوم النصر ويوم الهزيمة، وفي يوم العسرة ويوم الأمن، وجاء بالمعارف وتعاليم الأخلاقية والحكم والمواعظ، وتحدّث عن مختلف الشؤون الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، والعقائدية، والفنية، وطرحت فيه احتجاجات واستدلالات عقلية، إضافة إلى مافيه من أمثال وقصص كثيرة، وذكر شؤون الدنيا والآخرة والقيامة على نحو الموعظة، من غير أن يوجد فيه أدنى اختلاف أو تناقض فيما بثّه من المعارف والأصول، بل بالعكس يبدو فيها للعيان انسجام وتناسق عجيب. ولو كان هذا الكتاب من عند بشر لكان فيه

---

١. جاءت في التوراة والإنجيل تهم للأنبياء لا تليق بمكانتهم كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الأمور التي يخجل الإنسان من ذكرها. *البيان في تفسير القرآن*: الفصل المتعلّق بإعجاز القرآن في المعارف الدينية.

كثير من الاختلاف والتضاد، خاصّة وأنّ مدّة نزوله قاربت ربع قرن؛ وذلك لأنّ الإنسان يتحوّل من النقص إلى الكمال. ولهذا السبب جاء التحدّي فيه على النحو التالي:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[1]

هـ) الإخبار بالغيب

من إعجاز القرآن أنّه أخبر في آيات كثيرة عن الغيب، فقد أخبر عن قصص الأنبياء السابقين وأممهم، وأخبر عن المستقبل أيضاً. والأخبار التي جاءت في كلا الحالتين كانت غيبية. وورد التحدّي بالأخبار الغيبية في عدّة آيات منها:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا...﴾.[2]

وورد إخبار بالغيب عن قصّة السيّدة مريم والنبي يوسف عليه السلام.[3]

وعلى هذا الأساس فإنّ القسم الكبير من القرآن الكريم، الذي تحدث عن أحوال الماضين وعن قصص الأنبياء ـ الذين لم تكن لدى نبيّنا أية معرفة عنهم ـ يدخل ضمن الإعجاز الغيبي للقرآن.

والإعجاز في الإخبار عن المغيّبات المستقبليّة أكثر إثارة للاهتمام، وخاصّة عندما وقعت الأمور التي ذكرها القرآن عيناً، نستعرض فيما يلي أمثلة ممّا وقع من أخبار الغيب التي ذكرها القرآن.

أ) خبر انتصار الروم على الفرس

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ...﴾.[4]

---

١. النساء: ٨٢.

٢. هود: ٤٩.

٣. آل عمران: ٤؛ يوسف: ١٠٢.

٤. الروم: ٢ ـ ٤.

إذ انتصر جيش الروم على الفرس خلال مدّة أقلّ من عشر سنوات كما أخبر القرآن.

ب) خبر انتصار المسلمين في معركة بدر.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.[١] وهذه الآية أخبرت عن تهديدات أبي جهل وقوله يوم بدر نحن ننتصر اليوم على محمد وأصحابه،[٢] بينما نصر الله المسلمين كما جاء في هذا الوعد، ففي الآية السابعة من سورة الأنفال، وَعدَ اللهُ المسلمينَ بالنصر في حين كان عددهم ثلث عدد المشركين وعدّتهم أقلّ منهم بكثير وتحققَ لهم هذا الوعد.

ج) الوعد بالعودة إلى مكّة منتصراً

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ..﴾.[٣]

ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ المراد بالمعاد، مكّة التي دخلها الرسول منتصراً.

د) وعد الحفاظ على القرآن

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[٤]

اتّضح لنا في باب سلامة القرآن من التحريف أنَّ القرآن ـ وخلافاً للكتب السماوية السابقة ـ بقي مصوناً من حوادث الدهر ولم تحصل فيه زيادة ولا نقصان.

هـ) تفوّق الإسلام على الأديان الأُخرى

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[٥]

تكررت هذه الآية في القرآن ثلاث مرّات، ويمكن ادراك إعجازها الغيبي اليوم

---

١. القمر: ٤٤ ـ ٤٥.

٢. القمر: ٥٤ ـ ٥٥.

٣. القصص: ٨٥

٤. الحجر: ٩.

٥. التوبة: ٣٣؛ الفتح: ٢٨؛ الصف: ٩.

أكثر من أي وقت مضى. فالإسلام ـ باعتراف العدو والصديق ـ أفضل دين نابض بالحياة، وخير تشريع جاء إلى الحياة وهو يشقّ طريقه بسرعة حالياً في العوالم الجديدة.

و) طرح مسائل العلمية

تناول القرآن طرح مسائل علمية بصراحة في بعض الحالات، وأشار إليها تلويحاً في الحالات الأُخرى التي كان يصعب على الناس إدراكها وهضمها في ذلك الزمان، حيث كانوا يرونها تتعارض مع الاصول البديهية المتعارفة لديهم.

نذكر مثلاً الآية الشريفة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ...﴾.[1]

فقد أثبت العلم اليوم أنّ النباتات والأشجار تحتاج إلى اللقاح لكي تثمر، وعملية التلقيح هذه تحصل أحياناً بواسطة الرياح، مثلما هو الحال في أشجار المشمش والصنوبر والرمّان، وفي نباتات كالحبوب وغيرها.

وجاءت في القرآن آيات أُخرى تصرّح بشمولية ظاهرة الزوجية في الكون كلّه، وأنّ وجود الجنس الآخر لا يختصّ بعالم الحيوانات فقط، وإنّما يشمل حتّى كلّ أنواع النباتات، والشاهد على ذلك الآيات التالية:

﴿...وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾.[2]

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ...﴾.[3]

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.[4]

وطرحت في القرآن أيضاً مسألة حركة الأرض ودورانها: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

---

١. الحجر: ٢٢.

٢. الرعد: ٣.

٣. الذاريات: ٤٩.

٤. يس: ٣٦.

مَهْدًا...﴾.[1] إذ صوّرت الأرض على شكل مهد لمن عليها، وهذه الحالة ناجمة عن الحركة الموضعية والانتقالية للأرض، ومثلما تكون حركة المهد سبباً لسكينة ونمو الطفل، كذلك تؤدّي حركة الأرض إلى تكامل الإنسان وازدهاره، ومن الطبيعي أنّ صيغة الكناية والأسلوب الغامض الذي استخدمه القرآن للتعبير عن هذه الحقيقة يعود إلى أنّ الناس في زمن نزول القرآن كانوا يعتقدون بثبات الأرض، ويعتبرون ذلك من البديهيات التي لا يمكن الشكّ فيها.

وأمّا كروية الأرض أو بيضويّتها فقد أشارت إليها آيات أُخرى مثل:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ...﴾،[2] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

ولو كانت الأرض مسطّحة، لا يمكن أن يكون لها أكثر من مشرق ومغرب. ولا يمكن أن يكون لها أكثر من مشرق ومغرب في وقت واحد إلاّ على فرض كرويّتها وتبدّل أوضاعها وحالاتها بالنسبة إلى الشمس. تقول الآية الشريفة:

﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾.[3] يرى البعض أنّ هذه الآية تشير إلى موضوع الجاذبية العامّة.

ز) التصوير الفني

من العناصر الأُخرى في جاذبية القرآن التي تزيح النقاب عن جانب آخر من إعجازه، عنصر التخيّل وتصوير المشاهد ومختلف المعاني. هذا الفن القرآني سواء في تصويره لمشاهد الطبيعة أم في بيانه للفضائل والرذائل والمحاسن والمساوئ أو في سرده للقصص أو ضربه للأمثال، أو تصويره لمراحل المعاد والقيامة والحساب

---

١. طه: ٥٣.

٢. المعارج: ٤٠.

٣. الرعد: ٢.

والكتاب، له تأثير بالغ، جعل البعض يصفه بالسحر. وقد نقل القرآن عن لسان بعض الكفّار أنّه قال:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.[١]

ويعود سبب هذا القول إلى أنّ الاستماع إلى آيات القرآن مرّة واحدة كان يكفي لتسليم المنكرين واذعانهم لعظمته، ومن الطبيعي أنّ الاستيعاب الصحيح لكلّ ما يتّسم به القرآن من بلاغة وإعجاز فنّي، إنّما يصدق عندما يكون المرء على معرفة بالأدب العربي وبفنون المعاني والبيان، ومطّلعاً على فنون التمثيل والشعر والجمال، فعند ذلك يمكنه من خلال التدبّر في الآيات والنظر من تلك الزاوية الفنية، فهم قمّة الجمال وروعة الجانب الفني في القرآن.

لا يخفى أنّ هذا الجانب من إعجاز القرآن قد غفل عنه العلماء والمحقّقون في علوم القرآن، عدا قليلين اهتموا بهذا الجانب من عصرنا الحاضر، نورد فيما يلي بإيجاز أمثلة من التصوير الفني والقصصي في القرآن الكريم، نقلاً عن كتاب *التصوير الفنّي في القرآن*. آملين أن ينكشف الإعجاز الفنّي في القرآن الكريم أكثر فأكثر، من خلال الاهتمام المتزايد الذي يبذله عشّاق القرآن الكريم، والتعمّق في محتوى الآيات.

يقول سيّد قطب:

حيثما تعرّض القرآن لغرض من الأغراض ليعبّر عن معنىً مجرّد، أو حالة نفسية، أو صفة معنوية، أو نموذج إنساني، أو حادثة واقعة، أو قصّة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلاً في جدل أو محاجّة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقاً، واعتمد فيه على الواقع المحسوس، والمتخيّل المنظور. وهذا هو الذي عنيناه حينما قلنا: إنّ التصوير هو الأداة المفضّلة في أُسلوب القرآن. فليس هو حلية أُسلوب، ولا فلتة

---

١. فصّلت: ٢٦.

تقع حيثما اتّفق، وإنّما هو مذهب مقرر، وخطّة موحّدة، ترجع في النهاية إلى قاعدة التصوير.[١]

ثُمّ ننتقل إلى مشاهد القيامة، وإلى صور النعيم والعذاب، فقد كان لها من التصوير الفني أوفى نصيب: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ*يوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.[٢]

مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره بينما الخيال يتملاّه، والهول الشاخص يذهله، فلا يكاد يبلغ أقصاه، وهو هول لا يُقاس بالحجم والضخامة، ولا يمكن أن يعبّر عن عظمته بسحر كلماته وأسلوبه الخاصّ. المرضعات الذاهلات عمّا أرضعن، والحاملات الملقيات حملهن، والسكارى وما هم بسكارى.[٣]

تصوّر الآيات الأخيرة من سورة الدخان المقر النهائي لأصحاب النار وأصحاب الجنّة، بحيث يشعر المرء وكأنّه في لحظة محاصر بين الزبانية ولهيب النار، ويشعر في لحظة أُخرى، وكأنّه إلى جانب المتّقين في الجنان والأنهار والعيون:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ*فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*يلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ* كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ*يدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ*لَا يذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.[٤]

بيان الخصائص الفنية للقصص القرآني، وكذلك الإيقاع الجذّاب للقرآن وخاصّة في السور القصيرة التي تتقارب فيها فواصل الآيات، والانتباه إلى الجو الخاصّ بكلّ

---

١. *التصوير الفني في القرآن*: ٢٩ ـ ٣٠.

٢. الحج: ١ ـ ٢.

٣. *التصوير الفني في القرآن*: ٤٧.

٤. الدخان: ٥١ ـ ٥٦.

سورة وكلّ آية، والإيقاع الخاصّ المتناغم مع نصّ الآيات، يتطلّب بحثاً مستقلاً بحد ذاته. واليوم في بعض البلدان مثل: مصر، يدخل قرّاء القرآن دورة في تعلّم الفنون الموسيقية قبل الدخول في قراءة القرآن، لكي يتسنّى لهم قراءة السور والآيات بنغم يتناسب مع سجعها.

الخلاصة

١. لا يقتصر إعجاز القرآن على فصاحته وبلاغته، بل له أبعاد شتّى، وفي بعض هذه الحالات، يتضمّن القرآن تحدّياً خاصّاً.

٢. يتجلّى قسمٌ من أبعاد الإعجاز في القرآن الكريم في المجالات التالية:

شخصية الرسول، الفصاحة والبلاغة (الإعجاز البياني)، التعاليم والمعارف الراقية (إعجاز المعاني)، الانسجام وعدم وجود الاختلاف فيه، إخباره عن الغيب، طرحه لمسائل علمية دقيقة، التصوير الفنّي.

٣. يُعتبر عرض القرآن الزاخر بالمعارف والحكم، من قبل الرسول الذي لم يتعلّم حتّى سن الأربعين أي شيء من علوم عصره، يعتبر بحد ذاته معجزة تحدّى بها الله منكري القرآن.

٤. أوضح معالم إعجاز القرآن فصاحته وبلاغته، وهذه الخاصية التي اقترنت بالأُسلوب والصياغة الخاصة للقرآن الكريم، التي لا هي بالنثر ولا هي بالشعر، حيّرت العقول، وقد أحصى بعض الكتّاب عشرين ميزة للآية الكريمة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَياة﴾ على القول الذي كان شائعاً عند العرب: «القتل أنفى للقتل».

٥. المعارف العقائدية والدينية التي جاء بها القرآن الكريم في مجالات التوحيد، والنبوّة، والمعاد، وغيرها من الإرشادات التربوية والأخلاقية، مضافاً إليها الأصول والأحكام والتعليمات المتعددة المرامي، في شتّى الحقول الاقتصادية، والسياسية،

والاجتماعية، والثقافية، والعسكرية، والقانونية، جاءت في غاية الاتقان، وقدّمت للناس أفضل وأنقى الأفكار والمعارف.

٦. رغم أنّ القرآن نزل على نحو متدرّج؛ إذ نزل في مواضع متعددة وفي أزمنة شتّى، وفي حالات وظروف مختلفة على مدى ثلاث وعشرين سنة، واشتمل على مواضيع متنوّعة ومتعددة، إلاّ أنّ آياته خالية من الاختلاف والتناقض، وقد تحدّى الباري تعالى المنكرين بهذا النوع من الإعجاز وهو خلو القرآن من الاختلاف.

٧. الأخبار الغيبية التي ذكرها القرآن الكريم، سواء عن الماضي أم عن المستقبل، ووقعت، تمثل بعداً آخر من أبعاد إعجاز القرآن.

٨ طرح القرآن مسائل علمية دقيقة كتلقيح النباتات بواسطة الرياح، ودوران الأرض وكرويّتها وما إلى ذلك، وهي عبارة عن شواهد أُخرى لإعجاز القرآن.

٩. التصوير الفني في القرآن الكريم وما جاء فيه من مشاهد القيامة وغيرها تمثّل جانباً آخر من جوانب إعجاز القرآن.

الأسئله

١. عَرّف الإعجاز لغةً واصطلاحاً.

٢. ما الحكمة من تنوّع معجزات الأنبياء؟ وما ميزة القرآن على سائر معجزات الأنبياء؟

٣. ما الملاحظات التي يمكن استخلاصها من التأمّل الدقيق في آيات التحدّي؟

٤. ماهي جوانب شخصية الرسول التي تدلّ على إعجاز القرآن؟

٥. اشرح الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال تسليط الضوء على آية القصاص.

٦. اشرح بإيجاز إعجاز القرآن على صعيد تشريع القوانين وبيان المعارف العقائدية.

٧. ما نوع الإعجاز الذي تعبر عنه الآية الشريفة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾؟

٨. بيّن اثنين من الأخبار الغيبية التي ذكرها القرآن.

٩. ما معنى الإعجاز الفني في القرآن؟ وفي أي المجالات جاء؟

١٠. قدم بحثاً عن المسار التنازلي أو غير التنازلي لآيات التحدّي.

١١. اذكر أمثلة أُخرى من معارضة التحدّي القرآني (ثلاثة أمثلة على الأقلّ).

١٢. زعم البعض وجود اختلاف في آيات القرآن، ناقش هذه المزاعم.

١٣. ما المسائل العلمية الأخرى التي ذكرها القرآن؟

الباب الثامن

الناسخ والمنسوخ

الأهداف التعليمية لهذا الباب

١. دراسة شروط تحقّق النسخ في القرآن الكريم.
٢. تعريف النسخ بشكل دقيق يتلاءم مع شروطه.
٣. تبيين الحكمة من النسخ في القرآن.
٤. معرفة أقسام النسخ وإمكان أو عدم إمكان وقوعها.
٥. الاطّلاع على آيات الناسخ والمنسوخ.

المصادر المهمّة

ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، لابن البارزي؛ *الناسخ والمنسوخ*، لابن حزم الأندلسي؛ *مناهل العرفان*، للزرقاني: ٢؛ *النسخ في القرآن الكريم*، للدكتور مصطفى زيد؛ *البيان في تفسير القرآن*، لآية الله العظمى الخوئي؛ *الميزان في تفسير القرآن*، للعلّامة الطباطبائي؛ *التمهيد في علوم القرآن*، لآية الله معرفة: ٢، *مباحث في علوم القرآن*، للدكتور صبحي صالح.

الدرس الأوّل

التعريف اللغوي والاصطلاحي للنسخ

أ) التعريف اللغوي

للنسخ معان لغوية مختلفة، وهي عبارة عن: الإزالة، والتغيير، والإبطال، ووضع شيء مكان شيء آخر. ونَسَخَ الكتاب: كَتَبه عن معارضة.[1]

يستخدم النسخ بمعنى الإزالة والتغيير، نَسَخَتِ الشمسُ الظلَّ: أزالته ونسخت الريح آثار الدار: غيّرتها.

وقال الجوهري: نسخ الآية بالآية إزالة مثل حكمها.

وقال الراغب في *المفردات*: النسخ إزالة شيء بشيء يتعقّبه كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب. فتارة يُفهم منه الإزالة، وتارة يُفهم منه الإثبات، وتارة يُفهم منه الأمران. ونسخ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يتعقّبه.

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا...﴾.[2]

ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي إزالة

---

١. *القاموس المحيط*، للفيروزآبادري: مادة «نسخ».

٢. البقرة: ١٠٦.

الصورة الأُولى بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أُخرى. وقد يعبّر بالنسخ عن الاستنساخ قال تعالى: ﴿...إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[١]

يرى الزرقاني أنّ النسخ في لغة العرب يستخدم بمعنيين:

١. إزالة وإعدام الشيء: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان... .

٢. ويأتي بمعنى نقل الشيء من موضع إلى موضع مع بقائه، ومنه نسخت الكتاب؛ لأنّ في الاستنساخ نوعاً من النقل، والآية التي جاءت في القرآن: ﴿...إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تشير إلى هذا المعنى. ومراد القرآن نقل الأعمال من الصُحف إلى غيرها.[٢]

وهناك اختلاف بين العلماء حول المراد الحقيقي أو المجازي من النسخ، وأي المعنيين يراد به الإزالة، والتغيير، والإبطال، والنقل، وبعد أن ذكر الدكتور مصطفى زيد الآراء المختلفة، رجّح رأي أبي الحسين البصري الذي قال: إنّ المعنى الحقيقي للنسخ هو الإزالة، والمعنى المجازي له هو النقل والتغيير، وجاء بشواهد من العهد القديم ومن الاستخدام القرآني لإثبات صحّة مدّعاه.[٣]

ب) التعريف الاصطلاحي

وفي ضوء الشروط التي سنذكرها في الدرس القادم بشأن المعنى الاصطلاحي للنسخ، فالتعريف الدقيق له هو:

رفع حُكم ـ كان يقتضي الدوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً ذاتاً أو نصّاً.

---

١. الجاثية: ٢٩.

٢. *مناهل العرفان*: ١٧٥/٢.

٣. *النسخ في القرآن الكريم*: ٥٥ ـ ٦٥.

الخلاصة

١. استخدم النسخ لغة في عدّة معانٍ، هي: التغيير، والإزالة، والإلغاء، والإبطال والنقل. النسخ بمعنى الانتقال هو الاستنساخ.

٢. المعنى الحقيقي للنسخ هو الإزالة، واستخدم مجازاً بمعنى النقل والتحويل.

٣. النسخ اصطلاحاً يعني: إزالة حكم ـ يقتضي ظاهر الحال بقاءه ـ بتشريع لاحق، بحيث يتعذر اجتماع الحكمين ذاتاً أو بسبب نصّ شرعي.

الدرس الثاني

شروط النسخ

أركان النسخ عبارة عن: المنسوخ (الحكم الأوّل)، والمنسوخ به (الحكم الثاني)، والناسخ. ولكلّ واحد منها شروط، إلاّ أنّ الكثير من المتقدّمين ونتيجة لعدم التدبّر في حقيقة النسخ، أطلقوه على التقييد والتخصيص.[1]

يرى الزرقاني أنّه لا بدّ من وجود أربعة أُمور لتحقّق النسخ:

١. أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.

٢. أن يكون دليل رفع الحكم دليلاً شرعياً.

٣. أن يكون هذا الدليل الرافع متراخياً عن دليل الحكم الأوّل غير متّصل به كاتصال القيد بالمقيد.

٤. أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقي.[2]

ولكن إلى أي حدٍّ يؤثر الشرط الرابع في تحقّق النسخ؟ فهذا موضع خلاف، إذ يمكن من خلال الرجوع إلى الآيات التي تعتبر في نظر عامّة المحقّقين من الآيات الناسخة والمنسوخة، العثور على حالات لا يُعتبر التعارض بين الدليلين تعارضاً

---

١. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٨٧.

٢. *مناهل العرفان*: ١/١٨٠.

حقيقياً.[١] وبعبارة أُخرى، يُعتبر كلا الدليلين (الأوّل والثاني) قابلان للجمع ذاتاً، والسبب الذي أدّى إلى وقوع تعارض بينهما ورود نصّ ودليل خاصّ. وهذه ملاحظة دقيقة التفت إليها كتاب *التمهيد في علوم القرآن* وضمّنها في تعريفه.

وعلى هذا الأساس فإنّ أحد شروط تحقّق النسخ وجود تعارض بين الدليلين، سواء كان تعارضاً ذاتياً وحقيقياً، أم تعارضاً بدليل خاصّ، ومن هنا يمكن الادّعاء بأنّ كلّ التعاريف الخالية من هذه الخاصية ليست تعاريف جامعة.

الملاحظة الأُخرى التي ينبغي الالتفات إليها هي أن التعارض بين الدليلين يجب أن يكون تعارضاً تامّاً وكلياً، والحالات التي يكون فيها التعارض جزئياً كالمطلق والمقيّد، والعام والخاص، والمبهم والمفسر، والمجمل والمبيّن، لا يتحقّق النسخ. وأن يكون التعارض بين الناسخ والمنسوخ من نوع التضاد الذي يتعذّر معه اجتماعهما، وإنّما يحل أحدهما مكان الآخر. والتشابه بين النسخ والتخصيص أدّى بالبعض إلى الوقوع في الخطأ. فالنسخ فيه ما يشبه تخصيص الحكم ببعض الأزمان، والتخصيص فيه ما يشبه رفع الحكم عن بعض الأفراد.

قال الزرقاني:

> ومن هذا التشابه وقع بعض العلماء في الاشتباه؛ فمنهم من أنكر وقوع النسخ في الشريعة زاعماً أنّ كل ما نسمّيه نحن نسخاً فهو تخصيص. ومنهم من أدخل صوراً من التخصيص في باب النسخ؛ فزاد بسبب ذلك في عداد المنسوخات من غير موجب.[٢]

أ) شروط الحكم المنسوخ (الحكم الأوّل)

١. أن يكون حكماً شرعياً، فلا يدخل في هذا الموضوع الحكم الذي يدلّ عليه

---

١. على سبيل المثال: البقرة: ٢٣٤ ـ ٢٤٠.

٢. *مناهل العرفان*: ١٨٤/٢.

العقل أو ما يتعلّق بالأخبار والوقائع الخارجية. نذكر على سبيل المثال لو زالت الإباحة الأصلية المستنبطة من حكم الشرع بمجيء تشريع جديد، فهذا لا يسمّى بالمصطلح نسخاً. تجدر الإشارة إلى أنّ الحكم الشرعي أشمل من الحكم التكليفي والحكم الوضعي، ولهذا فلا ضرورة للتفصيل الذي جاء في تعريف آية الله الخوئي.

٢. ألّا يكون المنسوخ محدوداً بزمان معيّن، فكلّ الأحكام المقيّدة منذ البداية بزمن محدود على نحو صريح، تنتفي تلقائياً بانتهاء زمن الحكم. وزوال الحكم بهذه الصورة ليس من مصاديق النسخ الاصطلاحي.

ويُفهم هذا الشرط من قولهم يجب أن يكون هناك دليل ظاهر على استمرار المنسوخ.

يرى آية الله الخوئي أنّ ظهور حكم المنسوخ إنّما يكون حينما لا يوجد ثمّة شكّ في عدم استمراريّته، فإن كانت هناك في الآية إشارة إلى احتمال انتهاء ذلك الحكم في زمن معيّن، فإن ارتفاع هذا الحكم ليس من النسخ في شيء، ولهذا السبب رفض ما ذهب إليه الكثيرون في القول بنسخ الآية ١٠٩ من سورة البقرة، والآية ١٥ من سورة النساء.[1]

ولكن يبدو من غير المناسب فرض مثل هذا التقييد في الاصطلاح؛ لأنّ المهمّ هو أن يفهم من الحكم الأوّل الاستمرارية، وهذا قائم مالم يكن الحكم مقيّداً على نحو صريح بزمن معيّن، نذكر على سبيل المثال الآية ١٥ من سورة النساء:

﴿...فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ فرغم أنّ تعبير الآية يفيد احتمال رفع هذا الحكم في المستقبل، إلاّ أنّ مجرّد الاحتمال، لا يؤثّر في استمرار وبقاء هذا الحكم. وبعبارة أُخرى يبقى هذا الحكم، على قوّته مالم يأت حكم آخر، وهذا القدر كافٍ لاصطلاح النسخ.

الدقّة التي يتّصف بها التعريف الذي قدّمه آية الله الخوئي، تبيّن أنّ هذا التعريف

---

١. *البيان في تفسير القرآن*: ٢٨٨ و٣٥٩.

لا يتضمّن هذا الشرط (ظهور الحكم المنسوخ في الاستمرار والدوام) حتّى بالمعنى الذي قصده، فالنسخ في رأيه يعني: رفع أمر ثابت في الشريعة المقدّسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء كان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية.

لا يستفاد من التعريف المذكور أنّ الاستمرار الزمني كان أمراً ثابتاً مسبقاً في الشريعة، بل إنّ عبارة «بارتفاع أمده وزمانه» توهم بأنّ تلك الشريعة كان لها في الظاهر أمد وزمان، بينما مراده على خلاف ما يُستفاد من ظاهر التعريف. فالذين عرّفوا المعنى الاصطلاحي للنسخ، لم يستخدم أيٌّ منهم عبارة «بارتفاع أمده وزمانه».

ب) شروط الحكم المنسوخ به

١. أن يكون متأخّراً زمنياً عن زمن المنسوخ.

٢. أن يكون حكماً شرعياً. وهذا يعني أنّ الحكم الذي يأتي على أساس العقل أو الإجماع، لا يمكن أن يسنخ حكماً سابقاً. وإنّما ينحصر الدليل الشرعي للحكم الثاني في الكتاب والسنة.

أمّا إذا اعتبرنا العقل والإجماع ـ بما لهما من تأييد شرعي ـ أدلّة شرعية، يبرز عندئذٍ اشكال على جميع التعاريف التي اعتبرت النسخ «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخّر». والتعريف الوحيد الذي يسلم من هذا الإشكال هو تعريف الأُستاذ معرفة الذي استخدم كلمة «التشريع» بدلاً من عبارة «دليل شرعي».

٣. يجب أن يكون دليل المنسوخ به في مصاف دليل المنسوخ، وعلى هذا الأساس يمكن الاستناد إلى آية أُخرى أو حديث متواتر قطعي الصدور، لنسخ آية معيّنة، ولكن الآية لا تُنسخ مطلقاً بخبر الواحد، وكذلك الحديث المتواتر والسنة المتواترة لا تُنسخ بخبر غير متواتر، وقد أدّت عدم رعاية هذا الجانب إلى أن يتعامل البعض ـ بذريعة النسخ ـ مع آيات القرآن على نحو لا أُبالي ويجيز نسخ الآية بخبر الواحد.

ج) شرط الناسخ

الناسخ يجب أن يكون للشارع فقط، وبما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام تُطلق عليهم تسمية الشارع أيضاً، بناءً على أنّهم ينطقون عن مصدر الوحي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، لا يحق لأحد غيرهم أن ينسخ شيئاً.

للنسخ شروط أُخرى أيضاً، من أهمّها أنّ النسخ ينطبق على الحكم المنسوخ فقط، وليس على لفظه.

وبعبارة أُخرى: إنّ الآيات التي تبيّن تشريع حكم سابق، لا تُحذف من الآيات بعد مجيء الناسخ، والذي يُرفع هو حكم الآية وليس كلماتها، والتمسّك بنسخ الآية، وهو ما يُعبر عنه بـ«نسخ التلاوة» نوع من التمسّك بتحريف القرآن، وهو ما لا يقبله أي مسلم. والذين قالوا في تعريف النسخ: رفع الحكم الشرعي، يبدو أنّهم كانوا ملتفتين إلى أنّ النسخ هو رفع الحكم وليس رفع التلاوة.

ومن المؤسف أنّ الكثير من المغرمين بزيادة آيات الناسخ والمنسوخ، قالوا بنسخ التلاوة أيضاً.

وحتّى التعريف الدقيق الذي وضعه آية الله معرفة لم يسْلم من هذا النقص، إذ إنّه يرى أنّ النسخ هو: رفع تشريع سابق ـ كان يقتضي الدوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً... .

فهذا التعريف يمكن أن يشمل نسخ التلاوة أيضاً؛ وذلك لأنّ رفع التشريع السابق يمكن أن يحصل على نحوين:

١. رفع الحكم.

٢. رفع الحكم مع اللفظ والتلاوة.

يتّضح ممّا سبق قوله إنّ شروط النسخ هي كالآتي:

١. أن يكون المنسوخ (الدليل الأوّل) حكماً شرعياً وليس حكماً عقلياً.

٢. ألّا يكون المنسوخ محدوداً بزمان معين.

٣. أن يكون المنسوخ به (الدليل الثاني) متأخّراً زمنياً على المنسوخ.

٤. أن يكون تشريع المنسوخ به قد جاء من قبل الشارع.

٥. أن يكون دليل المنسوخ به بالمستوى نفسه مع دليل المنسوخ.

٦. أن يكون هناك تعارض ذاتي أو بدليل خاص بين الدليل الأوّل والدليل الثاني.

٧. أن يكون التعارض بين الدليلين تعارضاً كلّياً وتاماً.

٨. الناسخ هو الشارع المقدّس لا غير.

وفي ضوء الشروط المذكورة يمكن اعتبار التعريف الذي وضعه آية الله معرفة ـ طبعاً بعد إضافة قيد وحذف بعض القيود غير اللازمة ـ أفضل تعريف للنسخ الاصطلاحي وهو كما يلي:

رفع حكم ـ كان يقتضي الدوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً أمّا ذاتاً وأمّا نصّاً.

الخلاصة

١. كان النسخ في اصطلاح القدماء يستخدم في تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، وأيضاً بمعناه الخاصّ. ولهذا السبب كانوا يعتقدون أنّ عدد آيات الناسخ والمنسوخ كثير جدّاً.

٢. أركان النسخ هي: المنسوخ، المنسوخ به، الناسخ.

٣. هناك ثمانية شروط لازمة لتحقّق النسخ الاصطلاحي في أركانه الثلاثة.

٤. التعريف الدقيق للنسخ هو كالآتي: رفع حكم ـ كان يقتضي الدوام حسب ظاهره ـ بتشريع لاحق، بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً أمّا ذاتاً أو نصّاً.

الدرس الثالث

امكان ووقوع النسخ

صرّح القرآن الكريم في عدّة آيات بوقوع النسخ:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.[1]

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ...﴾.[2]

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.[3]

يأتي النسخ أحياناً بسبب حصول رأي جديد، والذي يحصل في وضع القوانين البشرية الجديدة هو ما يواجهه المشرّع عملياً عن طريق كشف المجهولات عند التعاطي مع المعضلات أو المصاعب. في هذه الحالة ينم نسخ القانون القديم وتشريع قانون جديد عن ضعف وجهل المشرّع بالقانون وبالواقع العملي.

ولكن ماذا عن تشريع الأحكام الدينية؟

وهل كان هناك تغيير وتبديل في الأحكام الدينية أم لا؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، كيف ينسجم هذا المعنى مع العلم المطلق للشارع المقدّس؟ كلّنا نعلم أنّ الأحكام تابعة

---

١. البقرة: ١٠٦.

٢. النحل: ١٠١.

٣. الرعد: ٣٩.

للمصالح والمفاسد. وبعبارة أُخرى: إنّ هذه المصالح والمفاسد قد يقتضيها أحياناً حكم الوجوب والاستحباب، أو قد يقتضيها أحياناً حكم الحرمة والكراهة. وقد أخذ الشارع المقدّس هذه المصالح والمفاسد بنظر الاعتبار في تعلّق إرادته بجعل القانون، وفي بعض الحالات لا تكون المصلحة أو المفسدة في أمر ما دائمة وإنّما مقيّدة بزمن معين. ومن الواضح أنّ إرادة الشارع تعلّقت بها منذ البداية بشكل مؤقت، ويعود النسخ الشرعي في جميع الحالات إلى محدودية المصلحة أو المفسدة الموجودة التي انتهت، وانتهت أيضاً إرادة الحكم السابق الذي يتعلّق بالمصلحة أو المفسدة التي كانت موجودة، ومن البديهي أنّ الشارع كان منذ البداية على معرفة بزمن انتهاء المصلحة أو المفسدة وبالنتيجة بانتهاء الحكم الأوّل وبداية حكم جديد.[١]

وعلى هذا فإنّ النسخ في الأحكام الدينية يأتي بالمعنى المجازي والظاهري وليس بالمعنى الحقيقي الذي يستلزم جهل الله وعدم علمه بالمصالح والمفاسد.

ويتّضح في ضوء ما سبق بيانه عدم وجود أي مانع عقلي لوجود النسخ بهذا المعنى في الأحكام الدينية، وبالإضافة إلى عدم وجود المانع العقلي في إمكان النسخ، هناك دليل نقلي واضح على وجوده، وفضلاً عن كلّ ذلك فإنّ وقوع الشيء أوضح دليل على إمكانه.

تستند في بيان الدليل النقلي إلى آيتين فقط ونتحاشى الدخول في ذكر الروايات الكثيرة الواردة في هذا المجال.

الآية الأولى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيرٍ مِنْهَا...﴾.[٢]

الآية المذكورة من الآيات التي تحمل دلالة واضحة على إمكان، بل تحقّق النسخ.[٣]

---

١. دروس في *علم الأصول* (الحلقة الثانية): ٣٠١؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٤٦/١٢، ذيل الآية ١٠١ سورة النحل.

٢. البقرة: ١٠٦.

٣. لمزيد من التوضيح، راجع: *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٤٩/١ ـ ٢٥٤.

الآية الثانية: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.[1]

قال العلّامة الطباطبائي في تبيين هذه الآية:

إشارة إلى النسخ وحكمته وجواب عمّا اتّهموه ﷺ به من الافتراء على الله. والظاهر من سياق الآيات أنّ القائلين هم المشركون وإن كانت اليهود هم المتصلبين في نفي النسخ... فمعنى قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ...﴾، معناه وضعنا الآية الثانية مكان الأولى بالتغيير، فكانت الثانية المبدّلة هي الباقية المطلوبة، وقوله: ﴿...قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ القول للمشركين يخاطبون النبي ويتّهمونه بأنّه يفتري على الله الكذب، فإنّ تبديل قول مكان قول والثبات على رأي، ثمّ العدول عنه ممّا يتنزّه عنه ساحة ربّ العزّة... وقوله: «بل أكثرهم لا يعلمون» أي لا يعلمون حقيقة هذا التبديل والحكمة المؤدية إليه على ماسينكشف في الجواب أنّ الأحكام الإلهية تابعة لمصالح العباد، ومن المصالح ما يتغيّر بتغيّر الأوضاع والأحوال والأزمنة فمن الواجب أن يتغيّر الحكم بتغيّر مصلحته.[2]

الخلاصة

١. يستخدم النسخ بمعنيين حقيقي ومجازي. معناه الحقيقي ظهور رأي جديد، ومعناه المجازي إظهار رأي جديد.

٢. النسخ الذي تحدّثت عنه الآيات والروايات هو النسخ بمعناه المجازي.

٣. أنكر البعض إمكان ووقوع النسخ بسبب عدم التفاتهم إلى الاستخدام الثنائي لمعنى النسخ، وبسبب عدم معقولية النسخ بمعناه الحقيقي.

---

١. النحل: ١٠١.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٣٤٥/١٢ ـ ٣٤٦.

الدرس الرابع

أقسام النسخ

قسّم علماء القرآن النسخ في القرآن إلى ثلاثة أقسام:

أ) نسخ التلاوة والحكم

وكما يتّضح من العنوان، فإنّ من يدّعون وقوع هذا النوع من النسخ يرون أنّ هناك آية أو آيات نسخت تلاوتها مع حكمها، والمثال الذي ذكروه عادة في هذه الحالة على أساس رواية منقولة عن عائشة أنّها قالت:

> كان من الآيات التي نزلت على الرسول هذه الآية: عشر رضعات معلومات يُحَرِّمْنَ. وقد نُسخت هذه الآية مع حكمها خمس مرّات، وقد توفّي رسول الله وهي فيما يُقرأ من القرآن.[1]

إنّ بطلان هذا الكلام وبطلان القول بهذا النوع من النسخ على درجة من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى الرد عليه، فما نُقِل إنّما هو خبر الواحد، وقد أرادوا أن يُثبتوا به آية لا علم لأحد بها، ثُمّ إثبات نسخها بذلك الخبر أيضاً.

قال صبحي الصالح:

---

1. *البرهان*. ١٦٩/١ ـ ١٧٠؛ *الإتقان*. ٧٠٥/٢؛ *مناهل العرفان*. ٢١٢/٢.

والولوع باكتشاف النسخ في آيات الكتاب أوقع القوم في أخطاء منهجية كان خليقاً بهم أن يتجنّبوها.[١]

وهذا القسم من النسخ يستلزم وقوع التحريف في القرآن.

ب) نسخ التلاوة دون الحكم

ومعناه أنّ كلمات الآية نُسخت وحُذفت من القرآن، وبقي الحكم الذي أُنزلت به بقي مستمّراً ويُعمل به. ومَن يعتقدون بهذا النوع مِن النسخ يقولون: بأنّه كانت في سورة النور آية الرجم:

«الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالاً من الله». ثُمّ نسخت تلاوتها، إلاّ أنّ رجِم الشيخ والشيخة إذا زنيا باقٍ.

وجاء في خبر آخر أنّ هذه الآية كانت من آيات سورة الأحزاب التي كانت آياتها مساوية لآيات سورة البقرة[٢]!

وهذا النوع من النسخ ـ كما هو الحال بالنسبة إلى النوع الأوّل ـ غير جائز، ولم يقع في القرآن. وما نقل في هذا المجال لا يتجاوز المثال الواحد أو المثالين، وهي من أخبار الآحاد أيضاً، وساقطة من الاعتبار، ولا تصح على القرآن الذي يجب أن يكون ثبوته بالتواتر ونسخه بالتواتر أيضاً. قال آية الله الخوئي في هذا المجال:

> فإنّ اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أو خطئه، وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أنّ آية الرجم من القرآن وأنّها قد نُسخت تلاوتها وبقي حكمها.[٣]

إنّ القول بمثل هذاالنسخ يعني القبول بتحريف القرآن، وهو مالا يقبله أي مسلم.

---

١. *مباحث في علوم القرآن*: ٢٥٦.

٢. *البرهان*: ١٦٦/٢.

٣. *البيان*: ٢٨٥.

ج) نسخ الحكم دون التلاوة

وهذا النوع هو النوع الوحيد من النسخ الذي وقع في القرآن، وكلّ ما بحثه المؤلّفون الذين كتبوا حول الناسخ والمنسوخ وآيات الكتاب، كان كلّه يصب في هذا المجال.[١]

إنّ الآيات القرآنية التي نُسخت، نُسخ حكمها فقط، وبقيت كلماتها وتلاوتها محفوظة في القرآن.

وفي هذا القسم، هناك ثلاثة أنواع من النسخ:

أ) نسخ القرآن بالقرآن.

ب) نسخ القرآن بالخبر المتواتر.

ج) نسخ القرآن بخبر الواحد.

النوع الأوّل لا نقاش فيه.

أمّا النوع الثاني ففيه اختلاف بين آراء العلماء، فبعضهم أجازه وبعضهم لم يُجزه. ومن أجازوه يُقسمون بدورهم إلى طائفتين، طائفة تقول بوقوعه، وطائفة أُخرى تقول بجوازه وعدم وقوعه.

من قالوا بالجواز استدلّوا على أنّ نسخ القرآن بالسنّة: ليس مستحيلاً لذاته ولا لغيره. أمّا الأوّل فظاهر، وأمّا الثاني فلأنّ السنّة وحي من الله، كما أنّ القرآن كذلك ولا مانع من نسخ وحي بوحي. لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[٢]

واستنتج الزرقاني في ختام هذا البحث، ما يلي:

> لا مانع عقلي ولا شرعي من نسخ الكتاب بالسنّة، إلاّ أنّ مثل هذا النسخ لم يقع، ودليل القائلين بوقوعه غير تامّ.[٣]

---

١. *الإتقان*: ٢/٧٠٦.

٢. *الإتقان*: ٢/٧٠١؛ *مناهل العرفان*: ٢/٢٣٧.

٣. *مناهل العرفان*: ٢/٢٤٤.

ويرى آية الله الخوئي في هذا المجال:

إنّ الحكم الثابت بالقرآن يُنسخ بالسُنّة المتواترة أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم. وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلاً ونقلاً، فإن ثبت في مورد فهو المتّبع وإلاّ فلا يُلتزم بالنَسخ.[1]

والظاهر أنّ مثل هذا النسخ لم يقع في القرآن.

أمّا النوع الثالث، أي نسخ القرآن بخبر الواحد فهو غير ممكن؛ لأنّ من شروط الدليل الناسخ أن يكون بمستوى الدليل المنسوخ.

الخلاصة

١. أقسام النسخ في القرآن عبارة عن: نسخ التلاوة والحكم، نسخ التلاوة دون الحكم، نسخ الحكم دون التلاوة. ويرى المحقّقون إنّ القسم الثالث فقط هو الصحيح.

٢. يُقسم نسخ الحكم دون التلاوة في القرآن الى عدّة حالات: نسخ القرآن بالقرآن، نسخ القرآن بالخبر المتواتر، ونسخ القرآن بخبر الواحد.

والحالة الثالثة باطلة. والحالة الثانية غير محالة، ولكنّها لم تقع.

---

١. *البيان*: ٢٨٦.

الدرس الخامس

بحث آيات الناسخ والمنسوخ

إذا تجاوزنا حالة الإفراط التي وقع فيها البعض فيما يخصّ اكتشاف النسخ في القرآن، يتّضح لنا من خلال استعراض أقوال كبار المحقّقين في علوم القرآن بأنّ دائرة النواسخ في القرآن الكريم تضيق أكثر فأكثر من خلال وضع ضوابط وموازين لمصطلح النسخ، ويلغي رأي المحقّقين المتأخّرين النظرية التي يذهب إليها مؤيّدو كثرة النسخ حيث إنّ القدماء اعتبروا عدد الآيات المنسوخة يقارب خمسمئة آية.[1]

ذكر مصطفى زيد موارد النسخ التي زعمها المتقدّمون على النحو التالي:

أبو عبد الله، محمد بن حزم ٢١٤ مورداً؛ أبو جعفر النحّاس ١٣٤ مورداً؛ ابن سلامة ٢١٣ مورداً، ابن الجوزي ٢٤٧ مورداً ممّا اعتبروه من مصاديق النسخ.[2]

ردّ السيوطي في *الإتقان* دعاة الزيادة في النسخ، واستعرض آيات النسخ بشكل عام من أوّل القرآن إلى آخره، وحصرها في موارد معيّنة هي:

سورة البقرة ستّ آيات، آل عمران آية واحدة، النساء آيتان، المائدة ثلاث آيات، الأنفال ثلاث آيات، النور آيتان، الأحزاب آية واحدة، المجادلة آية واحدة،

---

١. *الفوز الكبير في أصول التفسير*.

٢. رسالة *ناسخ ومنسوخ در قرآن وديدگاه علامة*: ١٠٦ ـ ١٠٧.

الممتحنة آية واحدة، المزّمل آية واحدة. وبهذا يكون عدد الآيات المنسوخة عند السيوطي ٢١ آية. وهو يشكّ في نسخ واحدة منها. واقتفى الزرقاني أثر السيوطي وبحث هذه الآيات نفسها.[١]

وقال الدكتور صبحي الصالح بعد الإشارة إلى أنّ العلماء المحقّقين يعتبرون عدد الآيات المنسوخة في القرآن قليلاً، والتذكير برأي السيوطي:

لو تعقّبنا الآيات لوجدنا الصالح منها للنسخ لا يزيد على عشر فقط.[٢]

والنتيجة التي وصل إليها محمد هادي معرفة في دراسته هي وجود ثماني آيات منسوخة فقط، وهي: آية النجوى، وآية عدد المقاتلين، وآية الإمتاع، وآية جزاء الفحشاء، وآية التوارث بالإيمان، وآيات الصفح، وآيات المعاهدة، وآيات تدريجية تشريع القتال.[٣]

ويرى العلّامة الشعراني وجود خمسة موارد من النسخ.[٤]

وأمّا آية الله الخوئي فيذهب إلى وجود مصداق واحد للنسخ، وهو آية النجوى.[٥]

ويضيف السيّد إسماعيل الصدر إلى آية النجوى، الآية ٦٥ من سورة الأنفال، إذ يرى أنّها منسوخة أيضاً.[٦]

وفي ختام هذا البحث نستعرض ما ورد من آيات الناسخ والمنسوخ في كتاب *الميزان في تفسير القرآن* ونوضّحها بإيجاز:

---

١. *الإتقان*: ٢/٧٠٨ ـ ٧١٢؛ *مناهل العرفان*: ٢/٢٥٦ ـ ٢٧٠.

٢. *مباحث في علوم القرآن*: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

٣. *التمهيد*: ٢/٣٠٠ ـ ٣١٦.

٤. رسالة *ناسخ ومنسوخ در قرآن وديدگاه علامة*: ١٠٧.

٥. *البيان*: ٣٧٣ ـ ٣٨٠.

٦. رسالة *ناسخ ومنسوخ در قرآن وديدگاه علامة*: ١٠٧.

أ) آية العفو والصفح

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ...﴾.[١]

هذه الآية كانت تأمر بالصفح والعفو عن أهل الكتاب في بداية الهجرة؛ وذلك لأنّ المسلمين لم تكن لديهم القوّة الكافية. قال العلّامة الطباطبائي: قالوا: إنّها منسوخة بآية القتال.[٢] وآية القتال هي: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.[٣] ويفهم من سكوت العلّامة وعدم تعليقه على القول بنسخها أنّه يؤيّد ذلك.

ب) آية نسخ حرمة الجماع في ليلة الصيام

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾.[٤]

والآية بنزولها شرّعت الحلّية ونسخت الحرمة كما ذكره جمع من المفسّرين.

ويُشعِر به أو يدلّ عليه قوله: «أُحِل لكم» وقوله: «كنتم تختانون» وقوله: «فتاب عليكم وعفا عنكم» وقوله: «فالآن باشروهنّ» وهذا يدلّ على وجود حرمة سابقة.[٥]

ج) آية جزاء الفاحشة

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.[٦]

---

١. البقرة: ١٠٩.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٥٧/١.

٣. التوبة: ٢٩.

٤. البقرة: ١٨٧.

٥. *الميزان في تفسير القرآن*: ٤٥/٢.

٦. النساء: ١٥.

قال العلّامة الطباطبائي:

والظاهر إنّ المراد بها هاهنا الزنا على ما ذكره جمهور المفسّرين، ورووا أنّ النبي صلى الله عليه وآله ذكر عند نزول آية الجلد،[1] أنّ الجلد هو السبيل الذي جعله الله لهنّ إذا زنين، ويشهد بذلك ظهور الآية في أنّ هذا الحكم سينسخ، حيث يقول تعالى: ﴿... أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

وفي الترديد إشعار بأنّ من المرجو أن ينسخ هذا الحكم، وهكذا كان فإنّ حكم الجلد نسخه، فإنّ من الضروري أنّ الحكم الجاري على الزانيات في أواخر عهد النبي صلى الله عليه وآله والمعمول به بعده بين المسلمين هوالجلد دون الإمساك في البيوت. فالآية على تقدير دلالتها على حكم الزانيات منسوخة بآية الجلد: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾. والسبيل المذكور فيها هوالجلد بلا ريب.[2]

د) آية التوارث بالإيمان

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾.[3]

يُفهم من بيان العلّامة الطباطبائي أنّ الولاية على الإرث بالأخوة الدينية وليس النسب والقرابة كان أمراً مسلماً به بين المهاجرين والأنصار في بداية الهجرة، فالنبي صلى الله عليه وآله كان قد أجرى مؤاخاة بين المسلمين، وصاروا يتوارثون بهذه الأخوة. وقد نقل مجمع *البيان* عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

إنّهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة.

وجاء في *الدر المنثور* عن ابن عبّاس:

جعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون الأرحام.

---

١. النور: ٢.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٤/٢٣٤.

٣. الأنفال: ٧٢.

وبعد أن نزلت الآية: ﴿...وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾.[١]
فنُسخ التوارث بالإيمان والهجرة، إلى التوارث بالقرابة والرحم.[٢]

هـ) آية النجوى

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...﴾.[٣]

يرى الكثير من العلماء أنّ هذه الآية من المنسوخات. وقد أشرنا سابقاً إلى أنّ آية الله الخوئي اعتبر هذه الآية المصداق الوحيد للنسخ في القرآن. وقالوا في شأن نزولها أنّ المسلمين كانوا يكثرون السؤال عن مسائل غير ذوات شأن، شاغلين أوقات الرسول ﷺ على غير طائل، فنزلت الآية بفرض صدقة درهم واحد عند كلّ مسألة.

قال العلّامة الطباطبائي:

وقد ترك أكثرية الصحابة مناجاته خوفاً من بذل المال بالصدقة، فلم يناجه أحد منهم إلاّ علي عليه السلام فإنّه ناجاه عشر نجوات، كلّما ناجاه قدّم بين يدي نجواه صدقة، ثُمّ نزلت الآية التالية من هذه السورة وفيها عتاب شديد للصحابة والمؤمنين: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾. فنسخت حكم الآية السابقة.[٤]

الخلاصة

١. عند وضع ضوابط لمصطلح النسخ، تتلاشى القيمة العلمية لآراء بعض المتقدّمين الذين ذكروا أنّ عدد الآيات المنسوخة في القرآن يبلغ خمسمئة آية.

٢. يرى المحقّقون المعاصرون أنّ عدد الآيات المنسوخة قليل جدّاً. فقد ذهب الدكتور صبحي الصالح إلى أنّها عشر آيات، وقال آية الله معرفة أنّها ثمان آيات، وقال

---

١. الأحزاب: ٦.
٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٩/١٤١ ـ ١٤٣؛ *التمهيد*: ٢/٣٠٩ ـ ٣١٠.
٣. المجادلة: ١٢.
٤. *الميزان في تفسير القرآن*: ١٩/١٨٩؛ *البيان*: ٣٧٣ ـ ٣٨٠؛ *التمهيد*: ٢/٣٠٠.

العلّامة الشعراني، والعلّامة الطباطبائي أنّها خمس آيات، وقال آية الله الخوئي بوجود آية منسوخة واحدة في كلّ القرآن.

٣. الآيات الخمسة المنسوخة هي: آية العفو والصفح، آية نسخ تحريم الجماع في ليالي شهر رمضان، آية جزاء الفحشاء، آية التوارث بالإيمان، آية النجوى.

الأسئلة

١. عرف النسخ لغة واصطلاحاً.

٢. بيّن شروط النسخ.

٣. اذكر آيتين من القرآن الكريم تدلأن على وقوع النسخ.

٤. اشرح المعنى الحقيقي والمجازي للنسخ في التشريعات، وبيّن أيّهما يتعلّق بنسخ التشريعات الدينية؟

٥. أي اقسام النسخ في القرآن هو الصحيح؟ وما سبب بطلان باقي الأقسام؟

٦. هل يصح نسخ القرآن بالخبر المتواتر وبخبر الواحد؟ وعلى فرض صحّة ذلك، هل وقع مثل هذا النسخ؟

٧. اذكر ثلاثة موارد من الآيات المنسوخة مع الآيات الناسخة لها. واشرحها بإيجاز.

٨. قدّم بحثاً حول تطوّر مسار تعاريف النسخ من قبل العلماء منذ البداية وإلى الآن.

٩. راجع أقوال المتقدّمين ودائرة وحدود النسخ في مصطلحهم وقارن ذلك مع حدود النسخ الاصطلاحي عند المتأخّرين.

١٠. اكتب بحثاً عن «البَداء».

١١. اذكر ما زعموه من موارد نسخ التلاوة والحكم، ونسخ التلاوة دون الحكم، وانقدها.

١٢. حَلّل ثلاثة أمثلة من الآيات التي زُعِمَ نسخها (من غير الموارد التي ذُكرت في الكتاب)، وبيّن رأيك النهائي في رفض أو قبول نسخها.

الباب التاسع

المُحْكَم والمُتَشابه

الموضوعات الأساسية في هذا الباب:

١. المُحكَم والمُتَشابَه وتأثيرهما في التفسير وعلوم القرآن.

٢. آراء المحقّقين في تعيين مصاديق المُحكَم والمُتَشابَه.

٣. الحكمة من وجود المتشابهات في القرآن.

٤. أمثلة من الآيات المتشابهات.

٥. تأويل القرآن وإمكان أو عدم إمكان العلم به.

المصادر المهمّة

الميزان في تفسير القرآن: ٣؛ *التمهيد في علوم القرآن*: ٣؛ *علوم القرآن عند المفسّرين*: ٣؛ *متشابه القرآن*، لمحمد بن إبراهيم الشيرازي.

تمهيد

إنّ لمعرفة المُحكَم والمُتَشابَه في القرآن أهمّية فائقة بحيث إنّ كلّ مفسّر للقرآن الكريم كان يرى لزاماً عليه الإحاطة بها في ما يخصّ كلّ موضع في هذا الكتاب الإلهي، ويعتبر إغفالها مدعاة لحصول انحراف في تفسير القرآن الكريم. فالقرآن بصفته مجموعة مترابطة ومتجانسة ـ وليس في آياته اختلاف أو تعارض، كما ينصّ هو على ذلك ـ يُقسم إلى قسمين: محكم، ومتشابه. فبعض الآيات أساسية ويجب الرجوع إليها، وهناك آيات أُخرى تستلزم الإرجاع إلى المجموعة الأُولى. ولهذا السبب فإنّ النظر إلى آيات المجموعة الثانية فقط عند تفسير القرآن، يُبعد المرء كليّاً عن المسار الصحيح لفهم القرآن، ويدفعه بشكل لا إرادي إلى السَيْر في اتجاه مخالف لكتاب الله.

كان ظهور مذاهب فاسدة كالمجسّمة أو المجبّرة أو المفوّضة، على أساس فهم هذه الآيات دون ملاحظة الآيات المحكمة. ومن المؤسف أنّ هذه الظاهرة استمرّت منذ صدر الإسلام إلى وقتنا الحاضر. وكانت هناك في كلّ عصر فئة تتمسّك بهذه الآيات حسبما تقتضيه ظروف الزمان والمكان، وتبتدع البدع، وتتخذ من آيات القرآن الكريم أداة لبلوغ مآربها وأهوائها، وتجد لها غطاءً دينياً وقرآنياً. ولعلّ هذا السبب هو الذي جعل موضوع المُحكَم والمُتَشابَه موضع اهتمام من قبل المفسّرين وعلماء

القرآن. وأبرز دليل على ذلك هو ما طرحه المفسّرون من الصحابة والتابعين ومن تلاهم من آراء مختلفة في هذا المجال.

فبالاضافة إلى كتب التفسير التي شرحت هذا الموضوع في ذيل آية المُحكَم والمُتَشابَه (الآية ٧ من سورة آل عمران)، فقد طرحه عدد كبير من المفسّرين والمطّلعين على علوم القرآن ضمن بحوث علوم القرآن، حتّى في كتب ورسائل مستقلّة.[1]

ونكتفي هنا بذكر حديث واحد لبيان أهمّية معرفة المُحكَم والمُتَشابَه من الآيات، ونصّ الحديث هو:

في تفسير النعماني بإسناده إلى إسماعيل بن جابر قال:

سمعتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادقﷺ يقول:... واعلموا ـ رحمكم الله ـ إنّه من لم يعرف كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ والخاصّ من العامّ والمحكم من المتشابه والرُخص من العزائم... فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله.[2]

---

١. السيّد المرتضى علم الهدى (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ)، تفسير *المُحكَم والمُتَشابَه*؛ *السيّد الرضي* (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ)، *حقائق التأويل في متشابه التنزيل*؛ سور بن عبد الله الأشعري (ت ٣٠٠هـ)، كتاب في محكم *القرآن ومتشابهه*؛ القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني (٣٥٩ ـ ٤١٥هـ)، *متشابه القرآن*؛ علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٣هـ)، *متشابه القرآن*؛ محمد بن إبراهيم الشيرازي (٩٧٩ ـ ١٠٥٠هـ)، صدر المتألهين، *متشابهات القرآن*.

٢. *الميزان في تفسير القرآن*: ٣/٨٠.

الدرس الأوّل

المُحكَم والمُتَشابه

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[1]

قَسمَت الآية السابقة، آيات القرآن الكريم إلى مجموعتين: مُحْكَمات ومُتَشابِهات، مع ذكر خصائص كلٍّ منهما.

ينبغي قبل كلّ شيء التعرّف على مُصطلحي «المحكم»، و«المتشابه».

أ) تعريف المُحكَم والمُتَشابه

١. المحكم: قال الراغب في *المفردات*:

حَكَم أصله مَنَع مَنْعاً لإصلاح، ومنه سمّيت اللجام حَكَمةِ الدّابّة.

وعلى هذا الأساس يَكمُن في هذا المعنى نوع من المنع والسَدّ. وعندما نقول إنّ القاضي قد «حَكَم» فمعنى ذلك أنّ القضية قبل حكمه كانت مزعزعة وبعد الحُكم اتّخذت حالة الثبات والاستقرار. وإحكام الشيء إتقانه وصلابته بحيث لا

---

١. آل عمران: ٧.

يتخلله عنصر خارجي، وحسبما قال الراغب:

المحكم هو ما لا تعرض فيه شبهة لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى.

والإحكام يوصف به الكلام إذا كان ذا دلالة واضحة، بحيث لا يحتمل وجوهاً من المعاني.

٢. المتشابه: قال الراغب:

والشبهة هو ألّا يتميّز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى. والمتشابه من القرآن ما أُشكل تفسيره لمشابهته بغيره أمّا من حيث اللفظ أو من حيث المعنى.

ويقع الاشتباه أيضاً بسبب تشابه شيئين أو أكثر.

فالمتشابه ـ حسب المصطلح القرآني: هو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني وكان موضع ريب وشبهة، ومن ثُمّ فهو كما يصلح للتأويل إلى وجه صحيح، يصلح للتأويل إلى وجه فاسد ولأجل هذا الاحتمال وقع مطمع أهل الزيغ والفساد.[1]

وبعد الاطّلاع على اصطلاحي «المُحكَم والمُتَشابَه»، نعود إلى الآية الأصلية. فقد وصفت هذه الآية، الآيات المحكمات بأنّهن «أم الكتاب»، والأُم أصلها أَمَّ يؤم بمعنى قَصَدَ يَقْصُدُ، وسمّيت الأُمُّ أُمّاً لأنّ الابن يتّجه إليها ويقصدها، فالأُم معناها المرجع والمقصد، وأُم الكتاب الآيات التي تكون مرجعاً للآيات الأُخرى، وقد صرّح القرآن بأنّ المحكمات هنّ الأم والمرجع والأساس، وهذا يعني أنّها خالية من الإبهام وتزيل الإبهام من الآيات الأُخرى. ويُفهم من هذه الآية أنّ بعض الآيات المتشابهة في القرآن يزول عنها التشابه وتتضح معانيها عند إرجاعها إلى الآيات المحكمات. وبعبارة أُخرى، رغم أنّ قسماً (قليلاً) من القرآن عبارة عن آيات متشابهات، إلاّ أنّ هذا التشابه ليس ذاتياً ولا دائمياً؛ وذلك لأنّ القرآن نفسه قد عيّن طريق تبيين المتشابهات، وكشف سبيل رفع التشابه.

---

١. *التمهيد*: ٦/٣.

ب) مصاديق المُحكَم والمُتَشابه

طرحت الآراء التالية في المُحكَم والمُتَشابَه:[١]

١. المتشابهات هيِ الحروف المقطّعة التي في أوائل بعض السُوَر، وباقي الآيات محكمات.

٢. المُحكمات هي الحروف المقطّعة وغيرها هي الآيات متشابهات.

٣. الآيات المبيّنة في القرآن هي المحكمة، والآيات المجملة هي متشابهات القرآن.

٤. الآيات الناسخة هي المحكمة، والآيات المنسوخة هي المتشابهة.

٥. المحكمات هي الآيات ذوات الدلائل الواضحة، أمّا المتشابهات فتحتاج إلى التدبّر والتأمّل لفهمها.

٦. المُحكم هو كلّ آية يتيسّر فهمها ـ ببرهان خفي أو جلي ـ خلافاً للمتشابه كالعلم بالزمان والقيامة وما شابه ذلك.

٧. آيات الأحكام هي محكمات القرآن، وسواها متشابهات.

٨ الآيات المحكمات هي التي لها تأويل واحد، بينما الآيات المتشابهات تحتمل وجوهاً متعددة لتأويلها.

٩. تقسيم الآيات إلى مُحْكَمات ومُتَشابِهات خاصّ بآيات القصص، فالآيات التي بيّنت بشكل واضح أخبار الرسل وأممهم هي الآيات المحكمات، وأمّا الآيات التي تكررت في سور متعددة واشتبهت ألفاظها ومحتواها بشأن سيرة الأنبياء فهي المتشابهات.

١٠. الآيات المتشابهات هي الآيات التي لا تحتاج إلى توضيح وبيان، خلافاً للمحكمات.

يبدو في ضوء ما تقدّم من تعريف للمحكم والمتشابه، أنّ الإشكالات الواردة على بعض الآراء المذكورة آنفاً واضحة، ولا حاجة الى طرحها.

---

١. مجمع *البيان*: ٦٩٩/١ و ٢/ ٧٠٠؛ *الميزان في تفسير القرآن*: ٣/ ٣٢ ـ ٤٠.

الخلاصة

١. تقسيم آيات القرآن إلى طائفتين: مُحْكَمات ومُتَشابِهات، وقد ذكر القرآن هذا التقسيم صراحة.

٢. الآيات المحكمات هي الآيات الأُم والمرجع في القرآن.

٣. المحكم هي الآية التي لا يكتنف إفادة معناها أي إبهام أو إيهام، وتغلق الطريق أمام أي شبهة واشتباه.

٤. يطلق مصطلح المتشابه في القرآن على الآية التي تُحتمل فيها عدّة معان، ولهذا السبب يحصل فيها شكّ وشبهة.

٥. بعض الآراء التي وردت بشأن تعيين المحكمات والمتشابهات في القرآن لا تتطابق مع التعريف المُبيَّن لها، ومثال ذلك قولهم: إنّ المتشابهات هي الحروف المقطّعة، أو أنّ الآيات المتشابهة هي المجملة، أو هي الآيات المنسوخة، أو هي ما سوى آيات الأحكام، وهكذا.

٦. جاء ظهور بعض المذاهب المنحرفة في الإسلام نتيجةً لاتّباع المتشابهات من آيات القرآن.

الدرس الثاني

الحكمة من وجود المتشابهات في القرآن

كان وجود المتشابهات في القرآن ذريعة لدى بعض المعترضين للطعن بهذا الكتاب المقدّس، فقالوا: كيف يكون القرآن هو القول الفصل، والفرقان الذي يفرق بين الحقّ والباطل، ولا يأتيه الباطل، في حين أنّ الآيات المتشابهة فيه مثيرة للشبهات وعسيرة الفهم ومثيرة لدواعي الاختلاف؟! بحيث إنّ كل واحدة من الفرق والمذاهب الإسلامية تجد ضالّتها فيه للاستدلال على صحّة آرائها، وليس سبب ذلك إلاّ وجود المتشابهات في القرآن، ولو كان كلّ هذا الكتاب محكماً ألم يكن أقرب الى حصول الغرض الذي بيّنه القرآن؟

توصل العلّامة الطباطبائي في تبيين سبب وجود المتشابه في القرآن في شرح مفصّل إلى أنّ وجود المتشابه في القرآن أمر واجب وضروري ولا غنىً عنه فقال:

لا يمكن إلقاء معنى من المعاني الى إنسان إلاّ من طريق معلوماته الذهنية التي تهيأت عنده في خلال حياته وعيشته، فإن كان مأنوساً بالحس فعن طريق المحسوسات على قدر ما رقي إليه من مدارج الحس.

ثُمّ إنّ الهداية الدينية لا تختصّ بطائفة دون طائفة من الناس، بل تعم جميع الطوائف وتشمل عامة الطبقات، واختلاف الأفهام مع ما عرفت من وجود التأويل

للقرآن هو الموجب انّ يُساق البيانات مساق الأمثال، وهو أن يتّخذ ما يعرفه الإنسان ويعهد ذهنه من المعاني فيبيّن به ما لا يعرفه لمناسبة ما بينهما.[١]

وبعبارة أُخرى:

إنّ البيانات اللفظية القرآنية أمثال للمعارف الحقّة الالهية؛ لأنّ البيان نزل في سطح هذه الآيات إلى مستوى الأفهام العامّة التي لا تدرك إلاّ الحسيّات، ولا تنال المعاني الكليّة إلاّ في قالب الجسمانيّات، ولما استلزم ذلك في إلقاء المعاني الكلية المجرّدة من عوارض الاجسام أحد محذورين، فإنّ الأفهام في تلقّيها المعارف إنْ جمدت في مرحلة الحس انقلبت الأمثال بالنسبة إليها حقائق ممثلة، وفيه بطلان الحقائق وفوت المقاصد.[٢]

وعلى أية حال بما أنّ نقل المفاهيم القرآنية الراقية والمعنوية إلى الإنسان لا يمكن إلاّ عن طريق الألفاظ والعبارات، فمن الطبيعي أنّ هذه الألفاظ المادية تعجز عن التعبير عن كلّ المحتوى والمعنى، ومن هنا يأتي التشابه، وهو أنّ الألفاظ عاجزة عن استيعاب المعاني.

وأمّا السبب الآخر لضرورة وجود المتشابهات في الآيات ابتداء من أبسط التعابير اليومية إلى أرقى التعابير والعبارات الأدبية والفنية، يشتمل على أنواع من صور المجاز والاستعارة والتمثيل، وحيثما وجد المجاز يحصل قطعاً التشابه والمتشابه.

وعلى هذا الأساس، فإنّ النتيجة النهائية التي لا يمكن التوصل إليها في ضوء صياغة أدق المعاني في اطار ألفاظ مادية من جهة، واستخدام القرآن للتعابير اللفظية المتداولة كالمجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكناية من جهة أُخرى، يصبح وجود المتشابهات التي لا يبلغ عددها أكثر من مئتي آية، أمراً ضرورياً ولا يمكن اجتنابه. ولو كان غير ذلك لكان الأمر مثاراً للشكّ والإبهام.

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٣/٦٠ ـ ٦١.

٢. *المصدر*: ٣/٦٢.

الخلاصة

١. بما أنّ الدين جاء لهداية كلّ الناس، وبما أنّهم متفاوتون من حيث المستوى الفكري، فإنّ بعضهم قادر على إدارك المحسوسات فقط، وبعضهم الآخر قادر على إدراك المعاني الكلية والمجرّدة، وعلى أية حال فصياغة المفاهيم الإلهية والمعارف القرآنية السامية بصيغة ألفاظ مادية، والبيان المُمَثَّل في إطار المثال يؤدّي إلى التشابه، وهو أمر لا مفر منه.

٢. وجود التشابه في القرآن أمر طبيعي؛ وذلك لأنّ القرآن مثل سائر الكلام الطبيعي بين الناس، يستخدم ـ لبيان معارفه ـ أبسط العبارات وأرقى العبارات الأدبية والفنية، وتتخلله أنواع المجازات، والاستعارات، والتشبيهات، والكنايات، ولا مفر من وقوع التشابه في مثل هذه الاستخدامات.

٣. يتبيّن في ضوء الملاحظتين السابقتين أنّ لا إشكال في وجود المتشابه، بل بالعكس يعد ميزة للقرآن من حيث الدقّة والروعة.

الدرس الثالث

أمثلة من المتشابهات[1]

من المؤكّد أنّ أوضح أمثلة ومصاديق الآيات المتشابهة في القرآن هي الآيات المتعلّقة بصفات الله وأفعاله، فهذه المجموعة من الآيات، مضافاً إليها الآيات التي تتحدّث عن هداية وضلال الإنسان، أو تلك التي تعالج قضايا نظير الوحي والموجودات الغيبية، قد جعلت الأمر يشتبه على البعض.

ربّما يمكن القول: إنّ النظر إلى مثل هذه الآيات أدّى منذ القرن الأوّل حتّى وقتنا الحاضر، إلى حصول استنتاجات مختلفة، كان بعضها منحرفاً وانتهى إلى ظهور فرق متعددة. نستعرض فيما يلي بإيجاز هذه الآيات لمجرّد الاطّلاع على عوامل ظهور هذه الفرق التي استندت كلّ واحدة منها إلى مجموعة من تلك الآيات.

لمحة على الآيات المتشابهة

أ) صفات الله

١. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...﴾.[2]

---

١. *التمهيد:* ٨٢/٣ فما بعدها.

٢. فُصّلت: ١١.

٢. ﴿...ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾.[١]

٣. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[٢]

٤. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...﴾.[٣]

٥. ﴿...يدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيدِيهِمْ...﴾.[٤]

٦. ﴿وُجُوهٌ يوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[٥]

٧. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.[٦]

ظواهر هذه الآيات أوقعت البعض في وهم التجسيم وبالتأمّل في الآيات السابقة، والنظر إلى الآيات الأخرى وهي الآيات المحكمات، يزيل أي نوع من الإبهام عن تلك الآيات ويُبعد عن الذهن وهم التجسيم.

قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[٧]

وقال أيضاً: ﴿...لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[٨]

فالمراد بالكرسي والعرش اللذين ذكرهما القرآن، التدبير وإدارة شؤون الملك. وقد جاء معنى العلم في الروايات على وجهين: أحدهما: العلم، والثاني: كلّ ما سوى الله. ولعلّ المراد تدبير الله الشامل المنبعث عن علم وقدرة.[٩]

---

١. الفرقان: ٥٩؛ السجدة: ٤.

٢. طه: ٥.

٣. المائدة: ٦٤.

٤. الفتح: ١٠.

٥. القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.

٦. الفجر: ٢٢.

٧. الأنعام: ١٠٣.

٨. الشورى: ١١.

٩. *التمهيد*: ٣/١٢٢ ـ ١٢٦.

ب) أفعال الله

هناك آيات يدلّ ظاهرها على الجبر أو الاختيار، وتنسب هدى الإنسان أو ضلاله إلى الله، وتعتبر مشيئة الله منشأ الإيمان والكفر والسعادة والشقاء.

١. ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾.[١]

٢. ﴿...يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا...﴾.[٢]

٣. ﴿...فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾.[٣]

٤. ﴿...مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾.[٤]

٥. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا...﴾.[٥]

ولتوضيح معنى هذه الآيات التي دفعت البعض إلى الاعتقاد بالجبر استناداً إليها، من الضروري الانتباه الى الآيات التالية:

١. ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.[٦]

٢. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾.[٧]

٣. ﴿...فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...﴾.[٨]

٤. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾.[٩]

---

١. فاطر: ٨

٢. البقرة: ٢٦.

٣. إبراهيم: ٤.

٤. الأنعام: ١١١.

٥. الأنعام: ١٠٧.

٦. عبس: ١١ ـ ١٢.

٧. الكهف: ٢٩.

٨ الزمر: ٤١.

٩. البقرة: ٢٥٦.

٥. ﴿...لِيهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَينَةٍ وَيحْيِ مَنْ حَى عَنْ بَينَةٍ...﴾.[١]

٦. ﴿وَأَنْ لَيسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيهُ سَوْفَ يرَى﴾.[٢]

إضافة إلى الآيات السابقة، هناك آيات توكِل الثواب والعقاب الإلهي إلى الأعمال الاختيارية للإنسان نفسه:

٧. ﴿الْيوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيوْمَ...﴾.[٣]

٨. ﴿...لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾.[٤]

٩. ﴿...إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.[٥]

١٠. ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيبْلُوَكُمْ أَيكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾.[٦]

هذه أمثلة من الآيات التي تعتبر هداية الإنسان وضلاله متعلّقة بالإنسان نفسه، وترى في الحياة والموت ساحة لاختباره ليؤمن من يشاء باختياره، وليكفر من لا يريد الإيمان باختياره.

الطائفة الأولى من الآيات يوحي ظاهرها بأنّ الإنسان لا تأثير له في الاهتداء أو الضلال، وإنّما يضلّه الله أو يهديه بمشيئته، والمقصود أنّ العناية الربّانية تأخذ بيد المؤهل لتلقّي الفيض والرحمة الإلهية، ويُحرم منها المعرضون عن ذكر الله.

الخلاصة

١. أوضح مصاديق الآيات المتشابهة هي تلك الآيات المتعلّقة بصفات الله وأفعاله.

٢. كان السبب الأساسي للوقوع في منزلق الآيات المتشابهات وظهور فرق منحرفة

---

١. الانفال: ٤٢.

٢. النجم: ٣٩ ـ ٤٠.

٣. غافر: ١٧.

٤. البقرة: ٢٨٦.

٥. الكهف: ٣٠.

٦. الملك: ٢.

في الدين، عدم النظر الدقيق إلى جميع جوانب الآيات، وعدم إرجاع المتشابهات إلى المحكمات التي هي بمثابة المبيّنة للمتشابهات.

٣. ظاهر بعض الآيات التي تحدّثت عن العرش، والكرسي، واليد، والوجه، والرؤية، والمجيء، أدّى إلى إيجاد التشابه، بينما يتّضح بقليل من التأمّل بطلان التوهم بجسمانية الله.

٤. فيما يخصّ أفعال الله وأعمال الإنسان، يوحي ظاهر بعض الآيات وكأنّ كلّ شيء موقوف على إرادة الله؛ فهو الهادي، وهو المُضِل، وهذا ما أوقع البعض في الخطأ والانحراف والقول بالجبر، وهناك آيات كثيرة أُخرى تدلّ بكلّ جلاء على أنّ الإنسان موجود مختار، وسعادته وشقاؤه رهن إرادته.

والحصيلة العامّة التي تُستخلص في ضوء الروايات هي أنّه لا جبر ولا تفويض وإنّما أمر بين أمرين.

الدرس الرابع

التأويل

الدرس الأخير في باب المُحكَم والمُتَشابَه هو بحث التأويل. وهو مصدر باب تفعيل من المصدر أوْلْ: بمعنى الرجوع والعودة.

يعتبر المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة من أهمّ المصطلحات التفسيرية والقرآنية، وقد حظيت باهتمام المحقّقين والمفسّرين منذ عهد بعيد، وقيل فيها كلام كثير. جاءت لفظة التأويل سبع عشرة مرّة في القرآن، إحداها عند تقسيم آيات القرآن إلى مُحْكَم ومُتَشابَه؛ أي في الآية السابعة من سورة آل عمران، ففي هذه الآية يبيّن الله تعالى أنّ من في قلوبهم زيغ يتبعون الآيات المتشابهة طلباً للفتنة ورغبة في تأويل المتشابه.[1] هناك موضوعان مهمّان في هذا المجال: أحدهما معنى التأويل، والآخر: هل علم التأويل عند الله وحده؟

أ) ماهو التأويل؟

قال العلّامة الطباطبائي:

كان المشهور بين القدماء أنّ التأويل هو التفسير، وهو المراد من الكلام، بينما قال

---

١. ﴿...فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾.

المتأخّرون: إنّ المراد بالتأويل المخالف لظاهر اللفظ. وقد شاع هذا المعنى بحيث عاد اللفظ حقيقة ثانية فيه بعدما كان بحسب اللفظ لمعنى مُطلق الإرجاع أو المرجع.[١]

واستنتج العلّامة بعد ذكره وتفنيده لكلّ الآراء، ما يلي:

إنّ الحقّ في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنّه موجود لجميع الآيات القرآنية: محكمها ومتشابهها، وأنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأُمور العينية المتعالية من أن تُحيط بها الألفاظ، وإنّما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، ولم يستعمل القرآن لفظ التأويل إلاّ في المعنى الذي ذكرناه.[٢]

ومن الشواهد على هذا الاستخدام لكلمة التأويل ما ورد في قصّتي موسى والخضر،[٣] وما ورد أيضاً في قصة يوسف وما شابه ذلك.[٤] نذكر ما جاء في بداية سورة يوسف الذي قصّ رؤياه على النحو التالي:

﴿إِذْ قَالَ يوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ﴾.[٥]

وبعد مضي سنوات طويلة وحوادث كثيرة، جاء تأويل هذه الرؤيا في نهاية السورة بالشكل التالي:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْياى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا...﴾.[٦]

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ٤٤/٣.

٢. المصدر: ٤٩/٣.

٣. الكهف: ٧٨.

٤. *الميزان في تفسير القرآن*: ٢٥ ـ ٢٦.

٥. يوسف: ٤.

٦. يوسف: ١٠٠.

فما رآه يوسف في الرؤيا يعود الى سجود أبيه وأُمّه وأُخوته. وهذا التأويل والرجوع من قبيل رجوع المثال إلى الممثَل والواقع الخارجي.

ب) هل علم التأويل عند الله وحده

يثار السؤال المذكور في ضوء ما ورد في الآية السابعة من سورة آل عمران، فقد وقع خلاف مهم حتّى في قراءة الآية وتلاوتها، وهو حسب قول البعض أهمّ اختلاف في القراءات وأعمقه معنى في القرآن كلّه. ويدور الاختلاف حول الوقف أو عدمه بعد كلمة «الله» في الآية الشريفة: ﴿...يعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ...﴾.

فالقول بالوقف يعني أنّ علم التأويل عند الله وحده، وأمّا القول بالعطف فمعناه أنّ علم التأويل ليس لله وحده، وإنّما الراسخون في العلم لديهم علم بالتأويل أيضاً.

رغم أنّ هذا البحث بقي محتدماً من الماضي حتّى الحاضر، إلاّ أنّ جانبه العلمي كان أكثر أهمّية من فائدته العملية؛ لأنّ كلا القولين بالوقف أو العطف جائز من حيث النحو والأدب العربي، ولا يمكن إثارة أي إشكال أدبي على أي منهما. وأفضل شاهد على ذلك هو أنصار كلّ واحد من هذين الرأيين؛ إذ يوجد بينهم أشخاص من فحول الأدب العربي.

وأمّا انعدام الفائدة العملية من هذا البحث، فيعود سببه إلى أنّ أمثال العلّامة الطباطبائي الذين يذهبون إلى القول بعدم دلالة الآية على العطف، يعتقدون في الوقت ذاته أنّ العلم بالتأويل لا يختصّ بالله تعالى، استناداً إلى أدلّة أُخرى منها الآيات الأُخرى والروايات.

الدليل العقلي الواضح على أنّ الراسخين في العلم، يعلمون تأويل الآيات المتشابهة هو أنّ القرآن نزل بلغة الناس ومن أجل هدايتهم، وإذا عجز العلماء والراسخون في العلم عن تأويل القرآن، فستبقى آياته لغزاً يتعذّر حلّه، في حين أنّ القرآن نفسه أمر بالتعقّل والتدبّر في آياته.

الأعجب من ذلك هو أنّ العلم بالتأويل لو كان لله وحده، فمعنى ذلك أنّ الرسول والأئمة قد حُرموا منه أيضاً، أي أنّ الرسول الذي كان مهبط الوحي، لا يعلم تأويل الآيات!

الخلاصة

١. التأويل عبارة عن حقائق تستند إليها آيات القرآن الكريم في كلِّ ما تبيّنه، ويظهر مِن استخدام هذه الكلمة في القرآن بأنّ التأويل ليس من قبيل المفاهيم والمعاني، وعلى هذا الأساس فالقرآن كلّه بمحكماته ومتشابهاته له تأويله.

٢. أمّا موضوع التأويل وهل يعلمه غير الله، أو لا؟ فهذا موضوع يحمل طابعاً علمياً أكثر من طابعه العملي؛ لأنّ هناك دلائل واضحة على جواز العلم بتأويله لغير الله، بغض النظر عن دلالة أو عدم دلالة الآية نفسها على هذا المعنى.

الأسئلة

١. ما الدليل على أنّ الآيات المتشابهات كانت من أهمّ أسباب ظهور المذاهب المنحرفة؟
٢. عرف المُحكَم والمُتَشابَه.
٣. اذكر عدّة آراء في تعيين المُحكَم والمُتَشابَه في القرآن الكريم.
٤. ما سبب وجود المتشابهات في القرآن، في رأي العلّامة الطباطبائي؟
٥. هل يمكن ذكر سبب آخر لوجود المتشابهات؟
٦. بيّن خمسة أمثلة من الآيات المتشابهات التي فُهمت على نحو منحرف.
٧. ما معنى التأويل؟
٨. ماهي المعاني التي استخدم فيها القرآن لفظ التأويل؟
٩. هل يعلم التأويل غير الله؟

١٠. عند المقارنة بين موضوعين من موضوعات علوم القرآن وهما الناسخ والمنسوخ، والمُحكَم والمُتَشابَه، أيهما أكثر أهميّة؟ وما السبب؟

١١. هل تستطيع ذكر سبب آخر لوجود المتشابهات في القرآن؟

١٢. في القرآن الكريم آيات في القضاء والقدر، فُهمت على نحو منحرف، بين أمثلة منها.

١٣. قدّم بحثاً حول «العلم بالتأويل».

الباب العاشر

سبعون نكتة حول القرآن الكريم(للمُطالَعة)

مطالعة حرّة

تمهيد

اطلعنا في الأبواب السابقة على أهمّ موضوعات تاريخ وعلوم القرآن. وقد عرض الباحث القرآني، الاستاذ بهاء الدين خُرَّمْشاهي في قسم من كتابه *شناخت قرآن* «*معرفة القرآن*» مئة نكتة ونكتة قرآنيّة ممّا يتعلّق بعلوم القرآن ويتضمّن معلومات مفيدة وقيّمة في مجال معرفة القرآن، وتوجد بينها لطائف وظرائف.

وبما أنّنا ذكرنا في أبواب هذا الكتاب قسماً من هذه النكات، فإنّ التذكير بها ثانية يُعد بمثابة إلقاء نظرة جديدة على الكتاب. ورأينا من المناسب أن نفرد الباب العاشر من هذا الكتاب لبيان سبعين نكتة مختارة من المئة نكتة ونكتة التي تضّمنها ذلك الكتاب.

تجدر الإشارة إلى أنّنا أجرينا تغييرات في انتقاء وترتيب النكات، ولكن موضوعاتها نُقلت عيناً وبأمانة تامّة، وإذا كانت تحتاج إلى إيضاح أو إكمال، فقد أشرنا إلى ذلك في الهامش.

سبعون نكتة قرآنية

١. العلوم التي ظهرت لفهم وتفهيم ومعرفة القرآن والتعريف به بأعمق وأدقّ ما

يمكن، وازداد عددها على مرّ تاريخ الإسلام، تُسمّى بعلوم القرآن. وتدخل ضمنها أيضاً بعض الفنون كالتجويد والترتيل والترجمة. وعدد وعناوين هذه الفنون والعلوم القرآنية كما يلي:

١. تاريخ القرآن.

٢. علم الرسم (أي رسم الخطّ) العثماني.

٣. معرفة المكّي والمدني.

٤. علم شأن النزول / أسباب النزول.

٥. علم الناسخ والمنسوخ.

٦. علم المُحكَم والمُتَشابه.

٧. التحدّي، والإعجاز، وسلامة القرآن من التحريف.

٨. التفسير والتأويل.

٩. القراءة والتجويد والترتيل.

١٠. فقه القرآن أو أحكام القرآن.

١١. إعراب القرآن.

١٢. قصص القرآن.

١٣. علم غريب القرآن.

١٤. علم أو فن ترجمة القرآن.[١]

٢. القرآن الكريم آخر كتاب وحي إلهي في الأديان التوحيدية والإبراهيمية. وهو الكتاب المقدّس في الدين الإسلامي، ويمثّل عين ألفاظ الوحي، وليس فيه أي نقص،

---

١. في ضوء الفاصل الاصطلاحي الذي وضعه المحقّقون المعاصرون، لم يعد هذا الاصطلاح ينطبق اليوم على علم التفسير، والتجويد، وآيات الأحكام، وقصص القرآن، وترجمة القرآن. راجع الفصل الأوّل من الباب الأوّل من هذا الكتاب.

وكتب بأدقّ أساليب الجمع والتدوين في تاريخ الكتب السماوية اعتماداً على النسخة التي كُتبت في عهد حياة الرسول ولكنّها لم تُجمع على شكل كتاب ومصحف وفي عهد عثمان دُوّن القرآن على شكل مصحف، ووقعت هذه الحادثة الكبرى بين العام الحادي عشر للهجرة وهو عام وفاة الرسول، وعام ثلاثين للهجرة قبل خمس سنوات من نهاية عهد عثمان.

٣. المصاحف الإمام هي المصاحف العثمانية وكان عددها خمس أو ست نسخ، وقد أرسلت إلى كبريات حواضر العالم الاسلامي مع مقرئي حافظ للقرآن. (أُرسلت منها نسخة إلى مكّة، ونسخة إلى المدينة،[1] ونسخة إلى البصرة، ونسخة إلى الكوفة، ونسخة إلى البحرين، ونسخة إلى الشام).

٤. بقيت المصاحف الإمام أو العثمانية لمدّة قرون. وقد ذكر الرحّالة المسلمون الثلاثة المعروفون: ابن جبير (ت ٦١٤ هـ)، وياقوت (ت ٦٢٦ هـ)، وابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) أنّ كلّ واحد منهم شاهد في عصره المصحف العثماني الذي كان في الجامع الكبير بدمشق، وكان موضع احترام فائق ويزوره الناس. ولكن من المؤسف أنّ هذه النسخة انعدمت في حريق عام ١٣١٠ هـ. تجدر الإشارة إلى أنّ أحد المصاحف الإمام (العثمانية) محفوظ حالياً في دار الكتب المصرية بالقاهرة، وبقياسات أكبر من الحجم الرحلي (بحجم جريدة تقريباً)، وجرى مؤخّراً ترميمها على يد متخصصين.

٥. نزل ما يقارب ثلثي القرآن في مكّة، ونزل أكثر من الثلث بقليل في المدينة (تاريخ القرآن، راميار، ص ٢٦٣). عدد الآيات المكّية ٤٤٦٨ آية، وعدد الآيات المدنية ١٧٦٨ آية (*المعجم الإحصائي لكلمات القرآن الكريم*: ١/ ٣٩).

---

١. بما إنّ تدوين المصاحف العثمانية، تُمّ في المدينة، مركز الخلافة الإسلامية، فلا معنى للقول بارسال نسخة إلى المدينة، وإنّما احتفظوا بالنسخة الأصلية في المدينة.

٦. أكثر ما وردت قصص الأنبياء في السُوَر المكّية، وأكثر ما ورد الفقه أو أحكام القرآن في السُوَر المدنيّة.

٧. جاءت قصص الأنبياء على شكل مقتطفات موزّعة على كلّ القرآن. ولم ترد قصة أي منهم بشكل كامل في القرآن، إلاّ قصّة يوسف وأُخوته التي وردت كلّها كاملة في سورة يوسف وهي السورة الثانية عشرة في القرآن.

٨ للقرآن نزولان؛ أحدهما نزوله جملة واحدة، والآخر نزوله نجوماً وتدريجياً واستمرّ ثلاثاً وعشرين سنة، في المرّة الأُولى نزل القرآن بتمامه جملة واحدة في ليلة القدر، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة أو البيت المعمور (في السماء الرابعة)، وفي المرة الثانية نزل نجوماً أو مُنَجَّماً على مدى ثلاث وعشرين سنة (*بحار الانوار*: ٢٥٣/١٨ ـ ٢٥٤). رأي الملا محسن فيض الكاشاني حول نزولي القرآن الكريم هو: إنّ النزول الأوّل هو نزول معنى القرآن على قلب الرسولﷺ... ثم كان متى ما جاءه جبرئيل طيلة ثلاث وعشرين سنة وجاءه بالوحي ويتلو ألفاظه عليه، كان ينزل جزءاً جزءاً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه (المقدّمة التاسعة *لتفسير الصافي*).

٩. ذكروا أنّ عدد كُتّاب الوحي من الصحابة الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة بلغ أربعين مشخصاً. نذكر هنا عشرة منهم: ١ ـ ٤ الخلفاء الأربعة ٥. أُبَيْ بن كعب ٦. زيد بن ثابت ٧. طلحة ٨. الزبير ٩. سعد بن أبي وقّاص ١٠. سالم مولى أبي حذيفة.

١٠. العشرة الأوائل من حفّاظ القرآن الكريم من الصحابة هم: ١. علي بن أبي طالبعليه السلام ٢. عثمان ٣. ابن مسعود ٤. أُبَي بن كعب ٥. زيد بن ثابت ٦. أبوالدرداء ٧. سالم مولى أبي حذيفة ٨ معاذ بن جبل ٩. أبو زيد ١٠. تميم الداري.

١١. زيد بن ثابت الذي أوكلت إليه في عهد عثمان رئاسة لجنة جمع وكتابة القرآن وإعداد المصحف الإمام (المصاحف العثمانية)، كان من كتّاب الوحي، وحافظاً للقرآن، وفي عهد أبي بكر أمره بجمع القرآن ممّا كان قد كُتب في عهد

رسول اللهﷺ وبقي متفرقاً، فجمع مصحفاً كاملاً، وبقي ذلك أمانة عند عمر وانتقل من بعده إلى ابنته حفصة، واتّخذوه أساساً لعملية جمع القرآن في عهد عثمان.

١٢. يضم القرآن الكريم ثلاثين جزءاً متساوية من حيث الطول، ويحتمل أنّ الرسولﷺ[١] أو خلفاءه وضعوا هذا التقسيم لتسهيل القراءة اليومية للقرآن، والمصحف الرسمي الحالي للعالم الإسلامي، أي مصحف المدينة المكتوب بخطّ عثمان طه، كُتب كلّ جزء منه في عشرين صفحة ذات خمسة عشر سطراً.

١٣. يتألّف كلّ جزء من أجزاء القرآن من أربعة أحزاب أو من حزبين، ويتألّف كلّ القرآن من مئة وعشرين أو من ستّين حزباً، ولعلّ هذا التقسيم جاء لتسهيل قراءة القرآن في مجالس الفاتحة.[٢]

١٤. قسّموا كلّ خمس آيات إلى خُمس (خ)، وكلّ عشر آيات إلى عُشر (ع) ويُسمّون هذا العمل «تَخميس» و«تَعشير». وأشير إلى هذا التقسيم في حواشي كلّ مصحف.

١٥. من التقسيمات الداخلية والتفصيلية الأُخرى للقرآن، تقسيمه إلى ركوعات. والركوعات ـ على خلاف سائر تقسيمات القرآن ـ ليس لها طول وقياس معيّن، وإنّما أطلق المحقّقون على كلّ قسم يتألف من عدّة آيات ممّا له موضوع ومعنى واحد، ويمكن قراءته في الصلاة بعد سورة الحمد، ويركع المصلّي بعد قراءته، اسم الركوع / والركوعات، وعدد ركوعات القرآن طبقاً للشهور هو ٥٤٠ ركوعاً.

١٦. عدد آيات القرآن ـ بناءً على أصحّ الروايات ـ ٦٢٣٦ آية.

١٧. عدد كلمات القرآن ٧٧٨٠٧ كلمة.

١٨. جاءت كلمة الجلالة (الله) في القرآن الكريم ٢٦٩٩ مرّة.

---

١. لا يوجد دليل على أنّ النبيﷺ هو الذي وضع هذا التقسيم.

٢. الاحتمال الآخر هو لأجل تسهيل حفظ القرآن.

١٩. السبع الطُوَل أو الطِوال عبارة عن سبع سُوَر: ابتداءً من سورة البقرة وانتهاءً بسورة التوبة،[١] عدا سورة الأنفال.

٢٠. يتألّف قسم المفصّلات من ٦٦ سورة صغيرة، ويبدأ من بعد سورة الحجرات، أي من سورة «ق»،[٢] وإلى نهاية القرآن، اضافة إلى سورة الفاتحة التي تقع في أول القرآن. *شناخت سوره‌هاى قرآن* «*معرفة سور القرآن*: ٤٧».

٢١. الحامدات: خمس سور تبدأ ب «الحمد لله» وهي: ١. سورة الفاتحة ٢. سورة الأنعام ٣. سورة الكهف ٤. سورة سبأ ٥. سورة فاطر.

٢٢. سور المسبّحات هي: الإسراء، الحديد، الحشر، الصف، الجمعة، التغابن، الأعلى.

٢٣. يُطلق اسم الزهراوين على سورتين في القرآن هما: البقرة وآل عمران.

٢٤. المعوّذتان (تُلفظ بفتح الواو، وتصح قراءتها بالكسر أيضاً) اسم السورتين الأخيرتين في القرآن وهما: سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وسمّيتا بهذا الاسم لأنّ الرسولﷺ كان يعوّذ بهما الحسن والحسينﷺ.

٢٥. تُطلق تسمية الحروف المقطّعة أو فواتح السُوَر على حروف مثل:

الم (ألِف، لام، ميم)، طسم (طاء، سين، ميم)، كهيعص (كاف، هاء، ياء، عين، صاد)، ومجموعها ٢٩ حرفاً، وهي الحروف التي جاءت في بدايات ثمانية وعشرين سورة، كلّها مكّية، عدا البقرة وآل عمران.

٢٦. قال بعض المحقّقين من الشيعة: لو حذفنا المكررات من الحروف المقطّعة، لتكوّنت لدينا العبارة التالية: *صراط عليٍ حق نمسكه*. وقال بعض المحقّقين من أهل السنّة ـ

---

١. لم يعتبروا سورة التوبة من السبع الطُوَل، وإنّما الخلاف بشأن السورة السابعة؛ اذ قال البعض: إنّها سورة يوسف، بينما قال آخرون: إنّها سورة الكهف. *الإتقان*: ١/ ١٩٩.

٢. الرأي الغالب بخصوص السورة الأُولى من السُوَر المفصلات هي سورة الرحمن (*التمهيد*: ٢٥١/١)، وقال آخرون: إنّ أوّل سورة في المفصلات هي الحجرات. *مناهل العرفان*: ٣٥٢/١.

ربّما في رد قول الشيعة: إنّ نتيجة جمع هذه الحروف هي: صحّ طريقك مع السُنّة.

٢٧. أقصر آية قرآنية ذات حروف مقطّعة هي «طه» (التي تلفظ طاها) وتقع في بداية السورة العشرين وهي سورة «طه»، وكذلك «يس» (التي تلفظ ياسين) وتقع في بداية السورة السادسة والثلاثين وهي سورة «يس».

ينبغي الالتفات إلى أنّ «ق» (= قاف) التي تقع في أوّل سورة «ق»، و«ن» (نون) التي تقع في أوّل سورة القلم، ليس لهما عدد مستقل،[1] أي لا تُعتبر أي منهما آية كاملة. وما عدا الحروف المقطّعة أو فواتح السُوَر، فإنّ أقصر آية في القرآن هي «مدهامّتان» في سورة الرحمن، الآية ٦٤. وأطول آية هي آية الدّيْن، الآية ٢٨٢ من سورة البقرة، وتقع في مصحف المدينة المكتوب بخطّ عثمان طه، في صفحة كاملة ذات خمسة عشر سطراً (ص ٤٨). وأطول سورة في القرآن هي سورة البقرة، وتقع في مصحف عثمان طه في ٤٨ صفحة. وأقصر سورة هي سورة الكوثر التي يبلغ طولها سطر ونصف فقط.

٢٨. المئون هي السُوَر التي يربو عدد آياتها على مئة آية، وتبدأ بسورة يونس وتنتهي بسورة الشُعراء، عدا سور إبراهيم، الرعد، الحجر، مريم، النور، الفرقان، التي يقل عدد آياتها عن مئة آية. وتدخل ضمن المئين سورة الصافات، وبذلك يكون مجموعها إحدى عشرة سورة، وهي: يونس، هود، يوسف، النحل، الإسراء، الكهف، طه، الأنبياء، المؤمنون، الشعراء، الصافّات. *شناخت سورههاي قرآن*: ٤٦.

٢٩. المثاني في اصطلاح علوم القرآن عبارة عن السُوَر التي تلي سورة الشعراء إلى سورة الحجرات، وعدد آيات كلّ منها أقلّ من مئة آية. وتبدأ هذه السُوَر بسورة النمل (٢٧) إلى سورة الحجرات (٤٩) باستثناء سورة الصافات التي يبلغ عدد آياتها ١٨٢ آية.

---

١. وكذلك «ص» (صاد) في بداية سورة «ص».

وتُضاف إليها ثمان سور أُخرى يقل عدد آياتها عن المئة، وهي: الأنفال، الرعد، إبراهيم، الحجر، مريم، الحجّ، النور، الفرقان. *شناحت سوره‌هاي قرآن*: ٤٦ ـ ٤٧.

٣٠. في القرآن آيتان استخدمت كلّ واحدة منهما كلّ حروف الألفباء، وهما: الآية ١٥٤ من سورة آل عمران، التي تبدأ بـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ..﴾، والأُخرى هي الآية ٢٩ (الآية الاخيرة) من سورة الفتح، التي تبدأ بـ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..﴾.

٣١. في القرآن آيتان يمكن قراءتهما من الجهتين: الأولى: ﴿...كُلٌّ فِي فَلَكٍ...﴾(يس، ٤٠)، والثانية ﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر: ٣).

٣٢. يقع وسط القرآن الكريم، أي حيثما يُقسم إلى نصفين تماماً، في كلمة (وليتلطّف) (سورة الكهف: ١٩).

٣٣. في القرآن أربع عبارات، في كلّ واحدة منها أربعة تشديدات متوالية:

أ) ﴿...نَسِيًّا* رَّبُّ السَّمَاوَاتِ...﴾ (مريم: ٦٤ ـ ٦٥).

ب) ﴿...فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾ (النور: ٤٠).

ج) ﴿...قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس: ٥٨).

د) ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ...﴾ (الملك: ٥).

٣٤. أكثر ماتكرر ذكر آية واحدة في القرآن في سورة الرحمن، حيث تكررت الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٣١ مرّة. والرسم الشائع عند قراءة هذه الآية هو أن يقال: «لا بشيء من آلاء ربّنا نكذّب» أو «ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب، فَلَكَ الحمد».

٣٥. هناك موضعان آخران تكرر فيهما ذكر آية واحدة في القرآن في سورة القمر، حيث تكررت الآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، وكذلك تكررت الآية: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أربع مرّات في هذه السورة.

٣٦. هناك تكرار آخر لآية واحدة في سورة المرسلات، حيث تكررت عشر مرّات الآية التالية: ﴿وَيلٌ يوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٣٧. آيات السجدة الواجبة والمستحبّة خمس عشرة آية، منها أربعة يجب السجود عند قراءتها أو الاستماع إليها، والسُوَر التي تقع فيها هذه الآيات تُسمّى سور العزائم وهي: السجدة، فُصّلت، النجم، العلق.

٣٨. «وأن يكاد» بداية الآية قبل الأخيرة من سورة القلم، وفيما يلي نصّها ـ بمعيّة الآية التي تليها ـ: ﴿وَإِنْ يكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة القلم: ٥١ ـ ٥٢). قال المفسّرون في تفسير هذه الآية: إنّ جماعة من الكفّار أحضروا عدداً من حُسّاد بني أسد، ممّن كانوا معروفين بقوّة الحسد والقدرة على التأثير وإيذاء الإنسان والحيوان بما لديهم من مهارة في الحسد، أحضروهم لكي يحسدوا الرسول ﷺ ويقضوا عليه، إلاّ أنّ الله حفظه من شرورهم. وقد نزلت هذه الآية في الإشارة إلى هذه القضية، وقال الحسن البصري وآخرون: إنّ قراءة هذه الآية وحملها مفيد في دفع الحسد، ولهذا السبب يصنعون من آية «وأن يكاد» تعويذة وحرز على شكل تميمة تعلّق في رقاب الأطفال.

٣٩. جاءت في القرآن الكريم أسماء ٢٥ نبياً، مع شرح تفصيلي أو موجز لدعوتهم قومهم إلى التوحيد والعمل الصالح، وهؤلاء الأنبياء هم: ١. آدم عليه السلام ٢. إبراهيم ٣. إدريس عليه السلام ٤. إسحاق عليه السلام ٥. إسرائيل (يعقوب) عليه السلام ٦. إسماعيل عليه السلام ٧. إلياس عليه السلام ٨. إليسع عليه السلام ٩. أيوب عليه السلام ١٠. داوود عليه السلام ١١. ذو الكفل عليه السلام ١٢. زكريا عليه السلام ١٣. سُليمان عليه السلام ١٤. شُعيب عليه السلام ١٥. صالح عليه السلام ١٦. عيسى عليه السلام ١٧. لوط عليه السلام ١٨. مُحمد ﷺ ١٩. موسى عليه السلام ٢٠. نوح عليه السلام ٢١. هارون عليه السلام ٢٢. هود عليه السلام ٢٣. يحيى عليه السلام ٢٤. يوسف عليه السلام ٢٥. يونس عليه السلام.

٤٠. أعلام القرآن موضوع يُعنى بمعرفة وتعريف الأعلام وذوي الأسماء الخاصّة في القرآن ويضم: ١. أعلام الرجال كذي القرنين، شعيب، إبراهيم. ٢. أعلام النساء مثل مريم، أسماء نساء بعض الأنبياء، زليخا التي ذُكِرت باسم امرأة عزيز مصر. ٣. الأماكن الجغرافية مثل: مِصر، مِديَن، مَكّة، المدينة. ٤. أسماء الغزوات مثل: بدر، أُحُد (لم يذكر اسم أحد صراحة)، حُنين. ٥. أسماء الأقوام مثل: العرب، عاد، يأجوج ومأجوج. ٦. أسماء الملائكة مثل: جبرئيل، ميكائيل، ملك الموت، مالك النار، هاروت وماروت. ٧. الأصنام وآلهة الكفر مثل: فرعون، السامري، قارون. ٨. أسماء الموجودات الغيبية في عالم الآخرة كالجنة، جهنّم، السلسبيل،الكوثر. ٩. أسماءالكتب السماوية كالزبور، التوراة، الإنجيل، القرآن.

٤١. هل في القرآن غث وسمين؟ كان الجدال محتدماً حول هذه المسألة بين العلماء والمحقّقين المسلمين، فمن القدماء كان الإمام محمد الغزالي قد أجاب عن هذا السؤال بالإيجاب بصراحة تامّة، إذ كان يعتقد بوجود الغث والسمين في القرآن، وكتب كتاباً اسمه *جواهر القرآن* ضمّنه ما انتقاه حسب مذاقه من الآيات الأفضل في القرآن، ومجموعها ١٤٠٠ آية (أقل من ربع القرآن)، وممّا يسترعي الانتباه في هذا المجال أنّ هناك بيتين من الشعر باللغة الفارسية، ناظمها مجهول وقد وصلتنا من القدماء. ويكفي في قِدَمهما أنّ مؤلّف كتاب *عجائب المقدور في أخبار تيمور* قد ترجمها من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية شِعراً على نفس الوزن والقافية، ننقلهما فيما يلي كليهما (الفارسي والعربي).

در بيان ودر فصاحت كى بود يكسان سخن
گرچه گوينده بود چون جاحظ و چون أصمعى
در كلام ايزد بيچون كه وحى مُنزلست
كى بود تبت يدا مانند يا أرض ابلعى

*****

ما استوى في موقف الإفصاح منطيق ولو
قد سحبا سحب سحبان واصمى أسمعى
فافتكر فيما ترى في منزل أعيا الورى
هل ترى تبت تحاذي قيل يا أرض ابلعي

(*زندگي شگفت آور تيمور*، ترجمه إلى الفارسية محمدعلي نجاتي: ٣٣٧).

٤٢. القرّاء السبعة الذين كانوا في الواقع أئمة في القرآن والقراءات هم:

١. عبد الله بن عامر الدمشقي (٢١ ـ ١١٨ هـ) ٢. عبد الله بن كثير المكّي (٤٥ ـ ١٢٠ هـ) ٣. عاصم بن أبي النجود (٧٦ ـ ١٢٨ هـ) ٤. زَبّان بن العلاء = أبو عمرو البصري (٦٨ ـ ١٥٤ هـ) ٥. حمزة بن حبيب الكوفي (٨٠ ـ ١٥٦ هـ) ٦. نافع بن عبد الله المدني (٧٠ ـ ١٦٩ هـ) ٧. علي بن حمزة الكسائي (١١٩ ـ ١٨٩ هـ).

٤٣. الآيات المتشابهات موجودة في القرآن استناداً إلى نصّ صريح القرآن (آل عمران: ٧)، وهي الآيات التي لا يمكن ولا ينبغي حملها على معناها الظاهري، مثل «وكان عرشه على الماء». وفي مقابل المتشابهات توجد الآيات المحكمات، التي تؤلّف القسم الأعظم من القرآن، وهي الآيات التي يُفهم معناها من ظاهرها، مثل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾ (البقرة: ٢٣٣). عدد المتشابهات في القرآن يقارب مئتي آية من مجموع آيات القرآن وهي ٦٢٣٦ آية. يجوز بل يجب تأويل المتشابهات. وتقع هذه المهمّة على عاتق وفي حد استطاعة الراسخين في العلم والإيمان، وعلى العكس من ذلك لا يجوز تأويل المحكمات.

٤٤. هل يعلم تأويل القرآن أحد غير الله؟ هناك اختلاف في الآراء حول هذا الموضوع بين علماء القرآن الشيعة وعلماء القرآن من أهل السنّة. ومرجع هذا البحث

في القرآن، الآية السابعة من سورة آل عمران التي تبيّن أنّ في القرآن محكمات تشكل القسم الأساسي منه، وفيه أيضاً متشابهات، وتشير إلى أنّ من في قلوبهم زيغ يتّبعون تأويل المتشابه وفقاً لأهوائهم، ثُمّ تؤكد الآية: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..﴾. وهذه الآية يمكن ـ من الناحية النحوية ومن الناحية البلاغية ـ أن تُقرأ على وجهين:

أ) قراءة الوقف بعد كلمة «الله»، وهي قراءة أكثر أهل السُنّة، باستثناء عدد من كبار علمائهم كالزمشخري، والقاضي عبد الجبّار الهمداني، وأبي السعود العمادي، والآلوسي، والقاضي البيضاوي، وحتّى نُحاة كبار كالنحاس، والعكبري، ومحمود الصافي.

ب) قراءة العطف، أي عطف عبارة «الراسخون في العلم» على كلمة «الله». وهي قراءة الأكثرية العظمى من الشيعة الإمامية، وعدد من كبار علماء أهل السنّة الذين ذكرنا بعضاً منهم آنفاً. فالراسخون في العلم جُعلوا في هذه الآية في مقام المدح، وجهل تأويل القرآن خال من المدح، وإذا لم يكن أحد يعلم تأويل متشابهات القرآن غير الله، فسيبقى القرآن ـ والعياذُ بالله ـ أشْبه ما يكون بلُغز يستعصي حلّه، وبالنتيجة سيكون ذلك بمثابة نقض للغرض المطلوب من إنزال القرآن. ولا يمكن القول: إنّ الرسول ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ لا يعلمون تأويل القرآن. وبناءً على هذا نقول في الإجابة عن السؤال الذي عرضناه آنفاً: نعم، إنّ الراسخين في العلم، وعلى رأسهم المعصومين ﷺ (الذين قالوا: نحن الراسخون في العلم؛ فنحن نعلم تأويله)، ويأتي بعدهم أئمة العلم والأدب وعلماء القرآن والمحقّقون في حقل القرآن، يعلمون تأويل المتشابهات.

٤٥. كُتِبَ القرآنُ وطُبِع بصُوَر وأشكال متعددة. ومن أشهر كُتّاب القرآن في العصر القديم، ابن مُقْلة (واضع خط الثُلث)، وابن البَوّاب، وياقوت المُستعصي، وأشهرهم في العصور الحديثة أحمد النَيْريزي، وقد طُبع أحد المصاحف التي كتبها تحت عنوان «قرآن المستضعفين» (بعد إزالة االاسم السابق المتعلّق بشاه إيران).

ومن أفضل الخطاطين المعاصرين في العالم الإسلامي، حامد الآمدي وهو خطاط تركي بارع، والآخر عثمان طه، وهو خطاط سوري بارع. وقد كُتب القرآن وطُبع بأبعاد مختلفة، ومن ذلك أنّ كلّ القرآن كُتِبَ على صفحة واحدة (أصغر من صفحة جريدة عادية) وطبع. ولكن كتابته دقيقة جداً ولا يمكن قراءته الأ بواسطة عدسة مكبّرة. وطُبِع القرآن أيضاً على ورق رقيق جداً بأبعاد واحد في اثنين سانتيمتر. ومن الأنواع الأُخرى لكتابة القرآن في القطع الكبير كتابة بايْسُنقُر ميرزا (٨٠٢ ــ ٨٣٨ هـ) وهو أمير تيموري ماهر في الخطّ، وقد كتب القرآن بخطّ يظنّه غير أهل الخبرة ثلثاً، ولكنّه في الواقع خطّ المحقّق، وبأبعاد تقارب متراً في نصف متر، ولعلّه أجمل خطّ كُتب به القرآن، ويبدو أنّه محفوظ منذ مدّة طويلة في دروازه قرآن (باب القرآن) بمدينة شيراز، إلاّ أنّه تعرّض للنهب على يد أُناس جهلة، ففرّقوه صفحة صفحة، وصارت كلّ صفحة منه في بقعة، وأغلبُ صفحاته محفوظة اليوم في متاحف العالم المعروفة.

٤٦. كانت أوّل طبعة للقرآن على يد باغانيني في فينيسيا بين عام ١٥٠٣ ــ ١٥٢٣م. ومن الطبعات الأُخرى المهمّة للقرآن: طبعة إبراهام هينكلمان في عام ١٦٩٤م. في هامبورغ؛ وطبعة فلوجل ١٨٣٤م. في لايبزغ؛ وطبعة سان بطرسبورغ عام ١٧٨٧م. وهي أوّل طبعة للمسلمين؛ وطبعة تبريز ١٢٤٢ هـ أو ١٢٤٤ هـ. وأوّل تنقيح وطبعة علمية للقرآن الكريم في العالم الإسلامي هو مصحف القاهرة عام ١٣٤٣ هـ/١٩٢٣م. تحت إشراف أساتذة الأزهر وبدعم من الملك فؤاد الأوّل، وقد اعتمدوا فيه على المعتبر من رسم الخطّ الخاص للقرآن والقراءات الخاصّة للقرآن، وبرواية حفص عن عاصم. ومصحف المدينة الذي يعتبر اليوم المصحف الشهير والرسمي في العالم الإسلامي اعتمدوا فيه على تنقيح وطباعة مصحف القاهرة، ومكتوب بخطّ الخطاط السوري البارع عثمان طه.

٤٧. الترجمة الفارسية: هي أقدم ترجمة للقرآن، تمّت في عهد رسول الله ﷺ؛ لأنّه كانت هناك في مكاتيبه إلى ملوك ذلك العصر كالنجاشي والمُقوْقَس وخسرو پرويز،

آيات قرآنية أيضاً. ومن الطبيعي أنّ ترجمة الكتب والآيات عُرضت عليهم أيضاً، وكان هوﷺ يعرف هذا المعنى ولا ينكره. والموضوع الآخر هو أنّ عدداً من الإيرانيين طلبوا من سلمان أن يترجم لهم إلى اللغة الفارسية سورة الحمد (وبعض آيات القرآن)، ففعل ذلك. وكان من ذلك أنّه ترجم بسم الله الرحمن الرحيم إلى: «به نام يزدان بخشاينده» واطلع رسول اللهﷺ على ذلك ولم ينكره. وفي القرون التالية كان الإيرانيون أوّل قوم من المسلمين ترجموا القرآن إلى لغتهم، وإلى ما قبل كشف وتصحيح قرآن القدس بهمة الدكتور علي الرواقي، كانت ترجمة تفسير الطبري التي تضم ترجمة لآيات القرآن أيضاً، وتمّت في عام ٣٤٥ هـ تعتبر أقدم ترجمة فارسية للقرآن، إلاّ أنّ ترجمة قرآن القدس أقدم منها وتعود إلى سنوات ما بين ٢٥٠ إلى ٣٥٠هـ.

٤٨. الترجمة التركية: هناك نسخة من الترجمة التركية للقرآن تعود الى عام ٧٣٤هـ. محفوظة في المتاحف الفنية التركية في اسطنبول، وهي أقدم ترجمة تركية للقرآن.

٤٩. الترجمة الأُوردية: أوّل ترجمة للقرآن إلى اللغة الأُوردية هي ترجمة مولانا شاه رفيع الدين الدهلوي (١١٩٠ هـ). ومن بعد ذلك التاريخ بذل المتحدّثون باللغة الأُوردية جهوداً واسعة في ترجمة وتفسير القرآن الكريم على مدى أربعة قرون. والقائمة التي نشرت بترجمات وتفاسير القرآن إلى اللغة الأُوردية تضم أكثر من ألف أثر.

٥٠. الترجمة اللاتينية: أوّل ترجمة لاتينية للقرآن الكريم هي ترجمة روبرت الكتوني في عام ١١٤٣م، وصدر الإذن بطباعتها بعد قرون من ذلك التاريخ بإذن من مارتن لوثر.

٥١. الترجمة الإنجليزية: تُرجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية أكثر من أية لغة أُوروبية أُخرى. وتوجد اليوم أكثر من أربعين ترجمة كاملة، ومئة وعشرين ترجمة مختارة من القرآن باللغة الإنجليزية. كانت أوّل ترجمة إنجليزية للقرآن بقلم الكساندر روس عام ١٦٤٨م. على أساس الترجمة الفرنسية، وأنّ ترجمة آرثر آربري ترجمة ممتازة. ومن ترجمات المسلمين ترجمة بيكتال، وعبد الله يوسف علي.

٥٢. الترجمة الفرنسية للقرآن: أفضل الترجمات الفرنسية للقرآن هي ترجمة كازيميرسكي، وترجمة بلاشير.

٥٣. الترجمة الألمانية للقرآن: أفضل الترجمات الألمانية للقرآن هي ترجمة أولمان، وترجمة هنينغ، ومؤخّراً هناك ترجمة مع التوضيحات والمصطلحات، قام بها رودي بارت.

٥٤. الترجمة الروسية للقرآن: أفضل الترجمات الروسية للقرآن هي ترجمة كراتشفسكي، والترجمة الأُخرى صدرت عام ١٩٩٥م. هي ترجمة البروفسور عثمان أوف.

٥٥. أوّل مفسر للقرآن هو رسول الله ﷺ، ونُقلت أمثلة من تفاسيره حسب ترتيب السُوَر في كتاب الإتقان للسيوطي، ورويت عنه أحاديث كثيرة في تفسير السُوَر تُسمّى بالأحاديث التفسيرية.

٥٦. ومن بعد رسول الله ﷺ كان أكبر عالم بالقرآن ومُفسر له بين المسلمين في صدر الإسلام هو علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أقسم أنّه لو أراد تفسير سورة الحمد، لفسّرها بما فيه حمل سبعين بعير. وكان عليه السلام أيضاً من حُفّاظ القرآن وكُتّاب الوحي، وجمع مصحفه في أقل، من أُسبوع بعد وفاة النبي ﷺ، ولكن بما أنّ ذلك المصحف كان يتضمّن توضيحات وإضافات تفسيرية وذكر فيه مثلاً أسماء المنافقين الذين أشار إليهم القرآن دون ذكر أسمائهم، وما شابه ذلك، فإنّ القوم لم يقبلوا ما كان قد جمعه، وكان حسب ترتيب النزول. وشعر أمير المؤمنين بالاستياء في بداية الأمر، ولكنّه عندما لاحظ دقّة واتقان عمل لجنة زيد بن ثابت المكلفة بجمع القرآن في عهد عثمان، وسلامة أُسلوبها وشدّة مراقبتها في تدوين المصاحف الإمام (المصاحف العثمانية)، أقرَّ عملهم، ولم يظهر لهم مصحفه، وقال: لو ولّيت ما وُلّي عثمان لعملت بالمصاحف ما عَمِل.

٥٧. كان أكبر عالم بالقرآن بعد الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام، بين المسلمين في صدر الإسلام، هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس، تلميذ الإمام علي عليه السلام. وقد جمع

الفيروز آبادي صاحب القاموس ما ورد من أقواله التفسيرية في تفسير الطبري، في كتاب مستقل سمّاه *تنوير المقباس في تفسير ابن عبّاس*، وطبع في العصر الحديث.

٥٨. وبعد ابن عبّاس، كان تلميذه البارز مجاهد الذي كان مفسّراً كبيراً ويقال: إنّه تعلّم القرآن درساً وتفسيراً على يد ابن عبّاس ثلاثين مرّة. وجاء في الرواية أيضاً أنّه كان تلميذاً للإمام علي عليه السلام. وقد طبع تفسيره في السنوات الأخيرة في مجلّدين.

٥٩. أهمّ تفسير قديم في العالم الإسلامي هو *تفسير الطبري* المؤرخ والمحدّث الايراني الكبير (ت ٣١٠ هـ)، ويعرف تفسيره باسم *جامع البيان* وقد طبع في ثلاثين مجلّداً. وهو أقدم وأهمّ تفسير روائي أو مأثور في العالم الإسلامي.

٦٠. أقدم التفاسير الشيعية تفسير علي بن إبراهيم القُمّي الذي طبع بمجلّدين، و*تفسير فرات الكوفي* الذي صدرت له طبعة منقّحة أيضاً، القُمّي والكوفي من رجال أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة.

٦١. أقدم تفسير للشيعة الإمامية باللغة الفارسية هو تفسير أبي الفتوح الرازي (المتوفّي في النصف الأوّل من القرن السادس للهجرة) وعنوانه *رَوْض الجِنان ورَوْح الجَنان*، ويقع في عشرين مجلّداً. وقد طبع في السابق بجهود العلّامة القزويني، والمرحوم القَمْشي، والمرحوم الشعراني، وبجهود الدكتور محمد جعفر ياحقّي والدكتور مهدي الناصح، في الآونة الأخيرة.

٦٢. أقدم تفسير عرفاني باللغة الفارسية هو *تفسير الأسرار وعدّة الأبرار* لأبي الفضل رشيد الدين المَيْبُدي (ت ٥٢٠ هـ) الذي كتبه على أساس الأمالي التفسيرية للخواجة عبد الله الأنصاري.

٦٣. أهمّ تفسير ينسجم مع المذهب المعتزلي هو تفسير *الكشّاف* للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

٦٤. أهمّ تفسير كلامي في العالم الإسلامي، وفق المذهب الأشعري هو *التفسير الكبير* للإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في ثلاثين مجلّداً.

٦٥. أشمل تفسير قديم للشيعة الإمامية هو تفسير *مجمع البيان* في عشر مجلّدات، لأمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطَّبْرسِي (ت ٥٤٨ ﻫ) وقد تُرجم إلى اللغة الفارسية.

٦٦. أهمّ تفسير شيعي في القرن الرابع عشر للهجرة هو *الميزان في تفسير القرآن* للمرحوم العلّامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢ ﻫ) في عشرين مجلّداً، وقد تُرجم إلى اللغة الفارسية.

٦٧. أحدث وأهمّ تفسير في العالم الإسلامي (عند أهل السنّة) هو *التفسير المنير* للأُستاذ وهبة الزحيلي (٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً، طُبع عام ١٤١١ ﻫ). الدكتور الزحيلي فقيه وأُستاذ الفقه في أغلب جامعات سوريا والعالم الإسلامي. تجدر الإشارة إلى أنّ هذا التفسير فاز قبل عدّة سنوات بجائزة الكتاب السنوي الأفضل في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

٦٨. «الإعجاز العددي في القرآن الكريم» أحد موضوعات البحوث القرآنية الجديدة، وهدفه الكشف عن النظم الرياضي الإعجازي للقرآن الكريم. وأوّل من أثار هذا الموضوع وأثار دهشة العالم، هو الدكتور رشاد خليفة المصري الأصل وأُستاذ الحاسوب في الجامعات الأمريكية. وقد أثار نظرية العدد تسعة عشر، وهي أنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» تتألف من تسعة عشر حرفاً، وتكررت كلمة «اسم» تسع عشرة مرّة في القرآن، وتكررت كلمة «الله» ٢٦٩٨ مرّة، وهو من مضاعفات العدد ١٩؛ أي ١٤٢× ١٩، و«الرحمن» ٥٧ مرّة (١٩ × ٣)، و«الرحيم» ١١٤ مرّة (٦ × ١٩)، لكن نظريّته أثارت جدلاً من ناحيتين: أحدهما أنّ العدد (١٩) يمثّل عدد زبانية جهنم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ولكن هذا لا يخلق مشكلة، غير أنّ العدد (١٩) عَدد مقدّس عند البابيّين والبهائيين. أي «حروف حي»[1] أو الأصحاب المقرّبين إلى الباب. ولهذا السبب أثارت هذه النظرية

---

١. «الحروف الحية» هي عند البابية أسماء أوّل من آمنوا بدعوة الباب وعددهم ثمانية عشر. (المترجم. نقلاً عن *لغت نامه دهخدا*).

فزع المسلمين وانتهت الاضطرابات اللاحقة إلى اغتيال أو مقتل رشاد خليفة. وكان الإشكال الآخر في نظريّته هو أنّها لاتخلو من «الترتيب» إلى حدٍّ ما، ومن ذلك أنّ أحد أكبر الباحثين الإيرانيين في حقل القرآن، وهو الدكتور محمود الروحاني ـ صاحب أحد أدق المعاجم الإحصائية للقرآن، واسمه *المعجم الاحصائي لألفاظ القرآن الكريم*، الذي طبع في ثلاثة مجلّدات في مدينة مشهد من قبل مؤسسة الطباعة والنشر التابعة إلى الروضة الرضوية المقدّسة ـ قام بدراسة جديدة ودقيقة لإحصاء كلمة الجلالة «الله» في القرآن، وكان على علم بنظرية الدكتور رشاد خليفة، وأعلن بشكل قطعي أنّ هذه الكلمة تكررت في القرآن ٢٦٩٩ مرّة، وهذا العدد يختلف عن العدد الذي أعلنه رشاد خليفة برقم واحد، ويختلف برقمين عمّا ورد في *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٦٩. لكن الطريق الذي افتتحه رشاد خليفة، واصَلَه آخرون منهم عبد الرزاق نوفل وهو باحث قرآني من أهل السنّة، وأبو زهراء النجدي وهو باحث قرآني شيعي، وتوصلوا إلى اكتشاف انسجام رياضي جيّد في القرآن يسترعي الانتباه.

عنوان كتاب عبد الرزاق نوفل هو *الإعجاز العددي في القرآن الكريم*، وقد ترجمه إلى اللغة الفارسية الباحث القرآني المعاصر السيّد مصطفى الحسيني الطباطبائي. ننقل فيما يلي عدداً من الإحصائيات والأرقام المذهلة التي ذكرها عبد الرزاق نوفل:

ـ وردت كلمة الدنيا في القرآن ١١٥ مرّة، وكلمة الآخرة بمثل هذا العدد.

ـ الشياطين ٦٧ مرّة، والملائكة بمثل هذا العدد.

ـ الحياة ٧١ مرّة، والموت بمثل هذا العدد.

ـ العلم والمعرفة ومشتقّاتهما ٨١١، والإيمان واشتقاقاته بمثل هذا العدد.

ـ إبليس ١١ مرّة، والاستعاذة منه بمثل هذا العدد.

ـ كلمة اليوم بشكل مفرد ٣٦٥ مرّة بعدد أيّام السنة الشمسية. وبشكل تثنية وجمع ٣٠ مرّة بعدد أيّام الشهر.

ـ كلمة الشهر ١٢ مرّة بعدد أشهر السنة.

٧٠. عنوان كتاب الدكتور الباحث القرآني الشيعي أبو زهراء النجدي، هو *الإعجاز البلاغي والعددي للقرآن الكريم*، وهو لا يرقى في إحصائيّاته الرياضية إلى مستوى عمل الدكتور رشاد خليفة، ولا إلى مستوى كتاب عبد الرزاق نوفل. ننقل فيما يلي عدداً من حالات الانسجام والظرافة العددية في القرآن ممّا كشفه وأورده في كتابه:

ـ كلمة الساعة ٢٤ مرّة بعدد ساعات اليوم.

ـ السماوات السبع، أو سبع سماوات، سبع مرّات.

ـ «سَجَد» ومشتقّاتها ٣٤ مرّة بعدد مجموع السجدات لركوعات الصلاة اليومية السبعة عشر، إذ في كلّ ركعة سجدتان، فيكون مجموعها ٣٤ سجدة.

ـ لفظ الصلاة والقيام وأقيموا ومشتقاتها ٥١ مرّة بعدد سبع عشرة ركعة للصلوات الواجبة، و٣٤ ركعة للصلوات المستحبّة.

ـ الوصي / والتوصية ومشتقّاتهما ١٢ مرّة بعدد الأوصياء الإلهيين.

ـ لفظ الشيعة ومشتقّاتها ١٢ مرّة.

ـ مشتقّات الفرقة ٧٢ مرّة بعدد الفرق الإسلامية.

تجدر الإشارة إلى أنّ مثل هذه البحوث ذات طابع تفنني، ولا تحظى بقيمة علمية من الطراز الأوّل.

الأسئلة

١. ماذا يعني تقسيم السُوَر إلى ركوعات؟ وعلى أي أساس جرى؟

٢. اذكر خمسة تصنيفات لأعلام القرآن.

٣. على أي السُوَر تُطلق تسميات: الزهراوَيْن، القرينتين، الحامدات، المسبّحات؟
٤. اذكر أفضل الترجمات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية للقرآن الكريم.
٥. اذكر السور التي تتكرر بعض آياتها في القرآن، واذكر تلك الآيات.
٦. ماهو اسم أقدم تفسير شيعي باللغة العربية وأقدم تفسير شيعي باللغة الفارسية؟
٧. ماهي أهمّ التفاسير الشيعية والسنية في العصر الحديث؟
٨. اذكر أمثلة من التفاسير الروائية، والعرفانية، والكلامية.
٩. من هم أكبر علماء القرآن بعد الرسول صلى الله عليه وآله؟
١٠. اشرح ما تعرفه عن الإعجاز العددي في القرآن.
١١. قدّم ثلاث نكات قرآنية أُخرى.

المصادر

القرآن المجيد.

١. ابن أبي طالب، مكي، *الإبانة عن معاني القراءات*، تحقيق: عبد الفتاح شلبي. ١٤٠٥ق ١٩٨٥م.

٢. ابن أبي طالب، مكّي، *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*، تحقيق: محي الدين رمضان، بيروت: الرسالة، ١٤١٧ هـ.

٣. ابن أحمد بن خالويه، حسين، *الحجّة في القراءات السبع*، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الكويت، الرسالة، ١٩٩٠م.

٤. ابن أحمد بن عثمان الذهبي، محمد، *معرفة القرّاء الكبار*، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: الرسالة، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

٥. ابن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، محمد، *صحيح البخاري*، تحقيق: قاسم الشماعي الرّفاعي، بيروت: دار القلم، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.

٦. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بيروت: دار الفكر ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

٧. ابن الأشعث السجستاني، سليمان، *كتاب المصاحف*، مصر: مطبعة الرحمانية، ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦م.

٨. ابن البارزي، *ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه*، باهتمام الدكتور حاتم صالح ضامن.

٩. ابن النديم، *الفهرست*، طهران، مطبوع بالأوفسيت.

١٠. ابن حني، عثمان، *المحتسب في تبيين وجوه القراءات وعللها وحججها*، تحقيق: محي الدين رمضان، بيروت: الرسالة، ١٤٠٧ هـ.

١١. ابن سعيد الداني، أبو عمرو عثمان، *المحكم في نقط المصاحف*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ

١٢.ابن عبد الغفّار الفارسي، أبو علي الحسن، *الحجّة للقرّاء السبعة*، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير الجويجاتي، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ.
١٣.ابن عمر الزمخشري، محمود، *الكشّاف*، بيروت: دار الفكر.
١٤.ابن فارس، أحمد، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم: دفتر تبليغات إسلامي، ١٤٠٤ هـ.
١٥.ابن فيرّة الشاطبي، القاسم، *حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع*، بيروت: دار الكتاب النفيس، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦.ابن موسى بن مجاهد، أبو بكر أحمد، *كتاب السبعة في القراءات*، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف.
١٧.أبو بكر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، *الإتقان في علوم القرآن*، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ.
١٨.*أسباب النزول*، بيروت: دار الهجرة، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠م.
١٩.البلاغي، محمد جواد، *آلاء الرحمن*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٠.الخوئي، أبو القاسم، *البيان في تفسير القرآن*، طهران: أنوار الهدى، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.
٢١.الرازي، أبو الفتوح، *روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن*، تحقيق: محمد جعفر ياحقّي ومحمد مهدي ناصح، بنياد پژوهش‌هاي اسلامي، ١٣٧١ هش.
٢٢.الرافعي، مصطفى، *إعجاز القرآن*، بيروت.
٢٣.رشيد رضا، محمد، *المنار*، طهران، دار الفكر.
٢٤.الروحاني، محمود، *المعجم الإحصائي للقرآن الكريم*، مشهد: انتشارات آستان قدس رضوي، ١٣٦٨ هش.
٢٥.الزرقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
٢٦.الزنجاني، أبو عبد الله، *تاريخ القرآن*، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دمشق: دار الحكمة، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.
٢٧.زيد، مصطفى، *النسخ في القرآن الكريم*، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧م.
٢٨.الصالح، صبحي، *مباحث في علوم القرآن*، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
٢٩.الطباطبائي، محمد حسين، *الميزان في تفسير القرآن*، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٠. الطبرسي، أمين الإسلام، **مجمع *البيان***، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.
٣١. الطهراني، أقا بزرگ، ***الذريعة في تصانيف الشيعة***.
٣٢. العاملي، جعفر مرتضى، ***حقائق هامّة حول القرآن الكريم***، قم: دفتر انتشارات إسلامي، ١٤١٠ هـ.
٣٣. عبد الباقي، محمد فؤاد، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم***، القاهرة: دار الحديث، ١٤١١ هـ= ١٩٩١م.
٣٤. عبد الله الزركشي، محمد بن بهادر، ***البرهان في علوم القرآن***، تحقيق: عبد الرحمن المرعشلي، حمدي الذهبي وإبراهيم عبد الله الكردي، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.
٣٥. عثمان بن سعيد الداني، أبو عمرو، ***التيسير في القراءات السبع***، بيروت: دار الكتاب العربي.
٣٦. العطار، داوود، **موجز *علوم القرآن***، طهران، مؤسسة القرآن الكريم، ١٤٠٣ هـ.
٣٧. ***علوم القرآن عند المفسّرين***، دفتر فرهنگ ومعارف القرآن الكريم، قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ١٣٧٥ هش.
٣٨. علي الصغير، محمد حسين، ***دراسات قرآنية***، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٣ هـ.
٣٩. فاضل اللنكراني، محمد، **مدخل *التفسير***، طهران: مطبعة الحيدري، ١٣٩٦ هـ.
٤٠. القمّي، المشيخ عبّاس، ***الكنى والالقاب***، طهران: مكتبة الصدر، ١٣٩٧ هـ.
٤١. الكليني، محمد بن يعقوب، ***الأصول من الكافي***، تحقيق: علي أكبر غفاري.
٤٢. المجلسي، محمد باقر، ***بحار الأنوار***، بيروت: الوفاء، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.
٤٣. محمد بن محمد ابن الجزري، أبو الخير، ***النشر في القراءات العشر***، بيروت: دار الفكر.
٤٤. مختار عمر و عبد العال أاحمد و سالم مكرم، ***معجم القراءات القرآنية***، طهران، أُسوَه، ١٤١٢ هـ= ١٩٩١م.
٤٥. معرفة، محمد هادي، ***التمهيد في علوم القرآن***، قم: دفتر انتشارات إسلامي.
٤٦. معرفة، محمد هادي، ***صيانة القرآن من التحريف***، قم: دفتر انتشارات إسلامي. ١٤١٣ هـ.
٤٧. النحّاس، ***الناسخ والمنسوخ***، تحقيق: الدكتور سليمان ابراهيم، بيروت: الرسالة، ١٩٩١م.
٤٨. ***نهج البلاغة***، تحقيق: صبحي الصالح.
٤٩. النوري، الميرزا حسين، ***فصل الخطاب في تحريف كتاب ربّ الأرباب***.
٥٠. الواحدي النيسابوري، علي، ***أسباب النزول***، تحقيق: أيمَن صالح شعبان. القاهرة: دار الحديث.

سنة الطبع ۱۳۹۱

۱. اسلام و اصلاح فرهنگی/ مولف: زکی میلاد ت: آیت اله خزائی
۲. آثار تربیتی جلوه‌های و اخلاقی قیام عاشورا/ محمد عارف صداقت
۳. آشنایی با اصول وروش های ترجمه قرآن (خلاصه کتاب منطق ترجمه قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی/ علی نصیری/ چ۲
۵. آموزش احکام همراه با استفتائات مقام معظم رهبری مدظله العالی / محمد حسین فلاح زاده/ چ۷
۶. آموزش فارسی به غیرفارسی زبانان/ فاطمه اکبری
۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۱/ احمد زهرایی و اصغر فردی
۸. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۲/ احمد زهرایی و اصغر فردی
۹. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار ج۵ / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی/ چ۳
۱۰. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار ج۶/ مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی/ چ۳
۱۱. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار ج۷ / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی/ چ۳
۱۲. بیراهه‌ها (رهیافت هایی از دعای هشتم صحیفه سجادیه)/ حجت منگنه چی
۱۳. پرتو پژوهش شماره ۹۱ الی ۹۶
۱۴. التزام ناگزیر تحلیلی بر راهبردهای ایالات متحده امریکا در مواجهه با بیداری اسلامی / مولف امیل نخله ت: علی محمد سابقی
۱۵. حقوق اهل‌بیت در تفاسیر اهل‌سنت / محمد یعقوب بشوی / چ۲
۱۶. درآمدی بر علم کلام اسلامی/ عزالدین رضانژاد
۱۷. درآمدی بر لیبرالیسم بررسی و نقد مبانی / علی الهی تبار
۱۸. درآمدی بر مناسبات روحانیت و دولت اسلامی با تأکید بر دیدگاه امام خمینی(ره)
۱۹. درآمدی به تاریخ علم اصول/ مهدی علی پور/ چ۳
۲۰. دردری (مجموعه سروده های شاعران پارسی گوی خراسان بزرگ درباره حادثه عاشورا) / سیدحسن احمدی نژاد بلخی بلخابی
۲۱. درسنامه تفسیرتربیتی ج۱/ محمد حسین محمدی
۲۲. درسنامه دراية الحدیث / سید رضا مؤدب / چ۳
۲۳. درسنامه عقاید / علی شیروانی / چ۷
۲۴. رهیافتی به منظومه فکری حضرت امام خمینی (ره) و رهبر معظم انقلاب در حوزه فرهنگ وتربیت / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخر الا ئمه به سفارش جامعه المصطفی / چ۲
۲۵. شکوه کلام در نهج البلاغه/ حسن امیر انصاری
۲۶. علم درایة تطبیقی / سید محمد رضا مؤدب/ چ ۲
۲۷. فصلنامه اطلاع رسانی
۲۸. فلسفه اشک / سید عبدالله حسینی
۲۹. قرآن و امام حسین (تحلیل استشهادادت قرآنی و روایات تفسیری امام حسین)/ حسین مطهری محب
۳۰. کوثر معارف شماره ۲۲
۳۱. مبانی کلامی فارسی اعجاز قرآن / روح الله رضوانی
۳۲. مجموعه مقالات همایش بین المللی قرآن و مستشرقان / جمعی از مولفان
۳۳. منطق ترجمه قرآن/ محمد علی رضایی اصفهانی/ چ۲
۳۴. منطق مقدماتی/ ابوالفضل روحی/ چ۲
۳۵. نشریه پژوه شماره ۵۲
۳۶. ویژه نامه استشراق / جمعی از مولفان

سنة الطبع ۱۳۹۰

۳۷. اسلام در هند / دکترمحمد رضا موحدی
۳۸. اعجاز قرآن / سیدرضا مؤدب
۳۹. اعجاز قرآن و مصونیت از تحریف / محمد مهدی اسکندرلو
۴۰. انقلاب اسلامی ایران درزمینه‌ها و فرآیند شکل‌گیری / محمد مهدی باباپور
۴۱. آداب و اخلاق پزشکی در اسلام / ت: محمدرضا صالح
۴۲. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید صدر / علی رضا بی‌نیاز، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۴۳. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید مطهری / علی رضا بی‌نیاز، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۴۴. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول راهنمایی)/ علی بمان ملک احمدی
۴۵. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم راهنمایی)/ علی بمان ملک احمدی
۴۶. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم راهنمایی)/علی بمان ملک احمدی
۴۷. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۴۸. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۴۹. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم دبیرستان)/ علی بمان ملک احمدی
۵۰. آشنایی با متون حدیث و نهج‌البلاغه / مهدی مهریزی
۵۱. آشنایی با متون روایی معارفی / عبدالمجید زهادت
۵۲. آموزش احکام (همراه با استفتائات مقام معظم رهبری) / محمدحسین فلاح‌زاده
۵۳. آموزش فارسی به فارسی کتاب چهارم / اصغر فردی، احمد زهرایی
۵۴. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار چهارم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۵. بررسی احوال فرزندان امام موسی کاظم و نقش آنها در تاریخ تشیع / سید یاسین زاهدی
۵۶. پرتو پژوهش، ج۲ / معاونت پژوهش مجتمع عالی فقه
۵۷. پژوهشی تطبیقی در روایات تفسیری فریقین / مهدی رستم نژاد
۵۸. پژوهشی در علم رجال / اکبر ترابی
۵۹. پلورالیسم دینی و قرآن / موسی ابراهیمی
۶۰. پیوندهای نماز / محسن قرائتی
۶۱. تاریخ فلسفه اسلامی (ویراست جدید) / جمعی از مؤلفان
۶۲. تاریخ فلسفه غرب ۱ / مهدی بنایی
۶۳. تاریخ قرآن / محمد حسین محمدی
۶۴. تجزیه جهان اسلام چرایی و پیامدها / علی اصغر رجاء
۶۵. تمدن وفرهنگ شیعیان افغانستان / عبدالقیوم آیتی
۶۶. جایگاه مردم در نظام سیاسی دینی از منظر آیت الله نائینی و شهید صدر / میرزا حسین فاضلی
۶۷. چکیده پایان‌نامه‌های کارشناسی ارشد، ج ۱-۴ / معاونت آموزش
۶۸. حقوق بین‌الملل اسلامی / عبد الحکیم سلیمی
۶۹. حقوق بین‌الملل خصوصی / محمد مهدی کریمی نیا
۷۰. دایرةالمعارف فرهنگ ملل، ج۱ / پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی
۷۱. درسنامه اخلاق / جواد محدثی
۷۲. درسنامه روش آموزش و مهارت‌های کلاس‌داری قرآن / رحمت عابدی
۷۳. درسنامه روش‌های تفسیر قرآن / دکتر محمد علی رضایی اصفهانی
۷۴. درسنامه مفردات قرآن مجید / شهید غلام‌علی همایی
۷۵. درسنامه وضع حدیث / ناصر رفیعی محمدی
۷۶. دستور زبان فارسی / حمید نصیربان
۷۷. دعای مکارم اخلاق (در پرتو قرآن وحدیث) / حجت منگنه چی
۷۸. دقایقی با قرآن / محسن قرائتی
۷۹. دل باخته / حاج میرزا عبد الحسین قدس
۸۰. دیدگاه مذاهب اسلامی در مورد تفاوت دیه زن و مرد و ادله آنها / محمد یاسین احسانی
۸۱. رابطه قدرت و عدالت در فقه سیاسی / غلام سرور اخلاقی
۸۲. ریاضی مقدماتی / غلامرضا صفایی صادق
۸۳. زنان در افغانستان / محمد آصف محسنی (حکمت)
۸۴. سیره اخلاقی و تربیتی معصومین / محمد احسانی
۸۵. شیوه‌ای نو در آموزش عروض و قافیه / محمد رضا نیکزاد

۸۶.عقل و ایمان از دیدگاه ابن رشد، صدر المتالهین شیرازی وایمانوئل کانت / علاءالدین ملک‌اف
۸۷.فرهنگ اصلاحات اصول / مجتبی ملکی اصفهانی
۸۸. فرهنگ واژه‌گان فارسی به انگلیسی/ مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۸۹. فرهنگ واژه‌گان فارسی به چینی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۹۰. فرهنگ واژه گان فارسی به روسی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۹۱. فرهنگ واژه‌گان فارسی به عربی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۹۲. فرهنگ واژه‌گان فارسی به فرانسه / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۹۳. فرهنگ واژه‌گان فارسی به مالایو / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۹۴.قیام مهدی علیه السلام منتظر ماست / سیدحسن فیروزآبادی
۹۵.کتاب شناسی تعلیم و تربیت در اسلام / بهروز رفیعی
۹۶.کتاب کار دستور زبان فارسی / حمید نصیریان
۹۷.کمک درسی زبان روسی / علی مدبر چهار برجی
۹۸.الگوی فرزانگی / معاونت پژوهش
۹۹. مبانی فقهی انقلاب اسلامی در اندیشه امام خمینی رحمه الله / علی اکبر ناصری
۱۰۰. مجموعه مقالات چهاردهمین جشنواره بین‌المللی پژوهشی شیخ طوسی، ج۱ـ۳ / جمعی از مؤلفان، پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی صلی الله علیه و آله؛ پژوهشکده انقلاب اسلامی
۱۰۱.مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی اجتماعی امام خمینی رحمه الله، ج۲ـ۴ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی رحمه الله
۱۰۲. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۵ / جمعی از مولفان
۱۰۳.مشاهیر تشیع در افغانستان، ج۱ـ۳ / عبدالمجید داود ناصری
۱۰۴.معرفت شناسی / حسن معلمی
۱۰۵.معرفت شناسی باوردینی از دیدگاه شهید مطهری و آلوین پلنتینگا / علاء الدین ملک‌اف
۱۰۶. مقایسه تطبیقی اندیشه مهدویت در اسماعیلیه و امامیه / قدیر محمد اف
۱۰۷.منشورفضل / به کوشش جمعی از مؤلفان
۱۰۸.منطق تفسیر قرآن، ج۱ـ۲ / محمد علی رضایی اصفهانی
۱۰۹.نقد نظریه تجربه دینی با تأکید بر قرآن / شیرعلی شجاع
۱۱۰.ویژه‌نامه اختر تابان / جمعی از مولفان
۱۱۱.ویژه‌نامه همایش دین، فرهنگ و رسالت علمای افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله در افغانستان
۱۱۲. ویژه‌نامه همایش شیخ طوسی/ پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی صلی الله علیه و آله
۱۱۳.همایش حوزه‌های علمیه افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله در افغانستان
۱۱۴.یهودیت / محمد حسین طاهری آکردی

سنة الطبع ۱۳۸۹

۱۱۵.از سی‌مرغ تا سیمرغ / محمدرضا یوسفی
۱۱۶. از قبادیان تایمگان / محمدرضا یوسفی- رقیه ابراهیمی شهرآباد
۱۱۷.آسیب شناسی تمدن اسلامی / علیرضا عالمی
۱۱۸.آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / حسین علوی مهر
۱۱۹.آشنایی با صحیفه سجادیه / محمد علی مجد فقیهی
۱۲۰.آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ۵، ۶، ۷) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
۱۲۱.آموزه‌های بنیادین علم اخلاق، ج۱ـ۲ / محمد فتحعلی خانی
۱۲۲.آیات الاحکام تطبیقی / محمد فاکر میبدی
۱۲۳.با نور قرآن هدایت شدم / ت: محمدقاسم احمدی
۱۲۴. بدایة المبتدی، ج۱ـ۲ / سید یونس استروشنی، قمرالدین الفضلی
۱۲۵. براهین جهان‌شناختی از دیدگاه ابن‌سینا و اکویناس / حمید زکی
۱۲۶. پرتو پژوهش، ج۱ / معاونت پژوهش مجتمع آموزش عالی فقه
۱۲۷. تاریخ پیامبر و اهل‌بیت علیهم السلام، ج۱ـ۶ / علی ملک بمان احمدی
۱۲۸. تاریخ تحلیلی آندلس / محمدرضا شهیدی پاک
۱۲۹. تاریخ تحلیلی مغرب / محمدرضا شهیدی پاک
۱۳۰. تاریخ حدیث / سید رضا مؤدب
۱۳۱.تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی / محمد رضا کاشفی
۱۳۲.تفسیر تطبیقی (بررسی تطبیقی مبانی تفسیر قرآن و ...) / فتح الله نجارزادگان
۱۳۳.جایگاه جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیة در بعثت جهانی / اداره کل دفتر ریاست جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیة
۱۳۴.جهانی در خلوت / مرتضی طالبی
۱۳۵.چهل حدیث در مورد انسجام اسلامی / جمعی از مولفان مجتمع امام خمینی رحمه الله
۱۳۶.حفظ موضوعی قرآن کریم سید علی میرداماد نجف آبادی
۱۳۷.خلوص کامیاب / عبدالحسین طالعی، مرتضی طالبی
۱۳۸.درآمدی بر سیره اهل‌بیت علیهم السلام / حسین عبدالمحمدی
۱۳۹.درآمدی به شیعه‌شناسی / علی ربانی گلپایگانی
۱۴۰.درسنامه آیات الاحکام جزایی / محمد مهدی کریمی نیا
۱۴۱.درسنامه صرف / علی عرب خراسانی
۱۴۲.درسنامه عقاید / علی شیروانی
۱۴۳.دیکشنری فارسی ـ اندونزی / بانور فبری ن
۱۴۴.رهیافتی به منظومه فکری امام خمینی رحمه الله و مقام معظم رهبری / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخرالائمه علیهم السلام
۱۴۵.شناخت استعمار / مصطفی اسکندری
۱۴۶.فرق و مذاهب کلامی / علی ربّانی گلپایگانی
۱۴۷.قرآن کتاب رشد و تعالی / روح الله دهقانی
۱۴۸.قصه‌های قرآنی / صالح قنادی
۱۴۹.مبانی و روش‌های تفسیری / محمد کاظم شاکر
۱۵۰.مبانی و اصول طراحی کتاب درسی / محمد شریفی نیا
۱۵۱.مجموعه مقالات برتر سیزدهمین جشنواره شیخ طوسی / جمعی از مؤلفان
۱۵۲. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی امام خمینی رحمه الله، ج ۱ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی رحمه الله
۱۵۳.مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۱ـ۴ / ستاد برگزاری همایش
۱۵۴.مقام محبت الهی از منظر حکمت و عرفان نظری و عملی / محمد حسین خلیلی
۱۵۵.منشور جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیة
۱۵۶.منطق پیشرفته / عسکری سلیمانی امیری
۱۵۷.منطق تفسیر قرآن ۳ / محمد علی رضایی اصفهانی
۱۵۸.مهدویت در ادیان آسمانی / ابراهیم کوثری
۱۵۹. مهندسی اوقات فراغت / محمد علی متولیان، احمد هوشمند
۱۶۰.نخل نسیم / حسن ابراهیم‌زاده
۱۶۱.نظام حقوقی اسلام / جلیل قنواتی
۱۶۲.واژه‌شناسی قرآن مجید/ غلامعلی همایی

سنة الطبع ۱۳۸۸

۱۶۳.اسراف و تبذیر، تباهی سرمایه‌ها / ناصر رفیعی محمدی
۱۶۴. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری رحمه الله، ج۲ / جمعی از مؤلفان
۱۶۵.آزادی در مکتب فکری عاشورا / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۱۶۶.آسیب‌های درونی عزاداری / سید محمد علی موسوی
۱۶۷. آشنایی با استشراق و اسلام‌شناسی غربیان / محمدحسن زمانی
۱۶۸.آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل‌سنت / علی نصیری
۱۶۹.آشنایی با علوم قرآن / محمد باقر سعیدی روشن
۱۷۰.آموزش صرف / جمعی از مولفان
۱۷۱.آموزش علوم قرآن / محمدباقر سعیدی‌روشن
۱۷۲.آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ۴) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
۱۷۳.بازخوانی تاثیرات انقلاب اسلامی ایران بر بیداری مسلمانان / سید مهدی طاهری

۱۷۴. بررسی واقعه عاشورا در تاریخ طبری / زهرا محمدی
۱۷۵. بررسی تحریفات قیام عاشورا از دیدگاه تحریف‌ستیزان / آمنه احسانی، جمیله احمدی، کریمه گل‌گلی
۱۷۶. بررسی مدارک و مستندنویسی واقعه عاشورا / سید حسن سجادی، سید طالب زکی
۱۷۷. بررسی مستند حیات حضرت زینب و نقش او در نهضت عاشورا / سید علیرضا عالمی
۱۷۸. تاریخ آموزش در اسلام / حسن حسین‌زاده‌شانه‌چی
۱۷۹. تجزیه و ترکیب / حسین شیرافکن
۱۸۰. تصمیم‌گیری شورایی / معاونت پژوهش
۱۸۱. تطور عاشورانگاری در میان اهل سنت / حبیب الله صالحی (روحانی)، غلام‌حسین میری
۱۸۲. جلوه‌ها و الگوهای اخلاقی قیام عاشورا / محمد عارف صداقت، حمیدالله شریفی
۱۸۳. چالش‌های زمینه‌ساز قیام حسینی / معصومه گل گلی، تقوا کنانی
۱۸۴. چکیده‌اندیشه‌های آیةالله سیدمجتبی موسوی‌لاری / حسن ابراهیم‌زاده
۱۸۵. حقوق اساسی جمهوری اسلامی افغانستان با تاکید بر قانون اساسی / عید محمد احمدی و قاسم علی صداقت
۱۸۶. حقوق غیر ایرانیان در جمهوری اسلامی / فرج‌الله هدایت‌نیا
۱۸۷. خرد ناب، ج ۱-۲ / معاونت پژوهش
۱۸۸. دکترین مهدویت، ج ۱-۴ / تهیه و تدوین: موسسه آینده روشن
۱۸۹. رابطه دیالکتیکی عاشورا با بحرانهای محیطی / محمدقاسم عرفانی، قنبرعلی تابش
۱۹۰. زلال اندیشه / معاونت پژوهش
۱۹۱. سروش آسمانی، ج ۱-۴ / محمدرضا افضلی
۱۹۲. سنت‌ها و آیین های بزرگداشت عاشورا در میان اهل‌سنت / محمد شریف حیدری، محمد جمله شیخ‌زاده
۱۹۳. سیره اهل بیت در جذب مخالفان / سید محسن مهدی زیدی
۱۹۴. سیره عملی پیامبر و اهل بیت در خانواده / محمدجمعه شیخ‌زاده
۱۹۵. سیره و راه شهیده بنت‌الهدی / ت: نجیب‌الله نوری
۱۹۶. عاشورا تجلیگاه عزت اسلامی / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۱۹۷. فرهنگ تصویری افعال / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۹۸. فلسفه سیاسی فارابی و ارتباط آن با ولایت فقیه / محمد حسین حسینی
۱۹۹. کارنامه مجمع علما و طلاب جاغوری / مجمع علما وطلاب جاغوری
۲۰۰. مجموعه مقالات حکومت دینی / جمعی از مؤلفان
۲۰۱. مجموعه مقالات همایش اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری / جمعی از مولفان
۲۰۲. مجموعه مقالات همایش دین و دینداری در عصر جدید / مجمع علما و طلاب جاغوری
۲۰۳. مجموعه مقالات همایش عالمان دینی افغانستان / مجمع علماء و طلاب جاغوری
۲۰۴. مجموعه مقالات همایش وحی شناسی / مدرسه عالی فقه و معارف اسلامی
۲۰۵. مسائل جدیدکلامی و فلسفه دین، ج ۱-۳ / عبدالحسین خسروپناه
۲۰۶. معارف مثنوی / محمدرضا افضلی
۲۰۷. معرفی واحدهای آموزشی و پژوهشی جامعة المصطفی العالمية / معاونت پژوهش
۲۰۸. مفاهیم علم نحو، ج ۱-۲ / محمود رضا عصاری
۲۰۹. مقایسه تطبیقی چهار گزارش مشهور در واقعه عاشورا / سید عبدالله حسینی
۲۱۰. نقد مبانی هرمنوتیکی نظریه قرائت‌های مختلف از دین / قربانعلی هادی
۲۱۱. نقش خاندان امام حسین در حادثه کربلا / رخسانه دانش، رقیه سادات میراکبری
۲۱۲. نقش زنان در واقعه عاشورا / مرضیه سادات مرتضوی، صدیقه نجفی
۲۱۳. نقش عاشورا در وحدت میان مسلمانان / قربانعلی هادی
۲۱۴. نیایش عارفان / معاونت پژوهش
۲۱۵. وحدت اسلامی مبانی، عرصه‌ها، موانع و راه‌کارها / محمد رسول حسینی
۲۱۶. هرمنوتیک و تفسیر / غلام رسول حمیدی

سنة الطبع ۱۳۸۷

۲۱۷. احوال الشخصیه شیعیان افغانستان / عبدالله شفاهی
۲۱۸. اسلام و دموکراسی لیبرال / محمد حنیف طاهری
۲۱۹. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری، ج ۱ / جمعی از مؤلفان
۲۲۰. ایضاح الحکمة فی شرح بداية الحكمة / علی ربانی گلپایگانی
۲۲۱. بررسی جامعه شناختی پیامدهای فرهنگی بازگشت مهاجران به افغانستان / محمد عیسی عالمی
۲۲۲. تحلیل قصص / محمد شریفانی
۲۲۳. جوان و جوانی در سیره اهل‌بیت / محمد عارف صداقت
۲۲۴. چکیده پایان نامه‌های کارشناسی ارشد جامعة المصطفی / مرتضی رضا خانی
۲۲۵. درآمدی به تاریخ علم اصول / مهدی علی‌پور
۲۲۶. درسنامه تاریخ عصر غیبت / پور سید آقایی، جباری، آشوری و حکیم
۲۲۷. درسنامه دراية الحديث / سید رضا مؤدب
۲۲۸. روحانیت و حکومت در افغانستان / محرابعلی صفدری
۲۲۹. فرهنگ تصویری واژه‌ها (چندزبانه) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۳۰. کلام تطبیقی (توحید، صفات و عدل الهی) / علی ربّانی گلپایگانی
۲۳۱. کلام تطبیقی (نبوت، امامت و معاد) / علی ربّانی گلپایگانی
۲۳۲. گفتمان فلسفی اسلام و غرب / سید حسن حسینی
۲۳۳. مدرسه ترنم توحید / مجید حیدری‌فر
۲۳۴. نقش جنگ‌های صلیبی در انتقال تمدن اسلامی به غرب / سید عبدالرئوف رضایی

سنة الطبع ۱۳۸۶

۲۳۵. اسماعیلیه از ابتدا تا حال / محمد سعید بهمن‌پور
۲۳۶. اعجاز قرآن از دیدگاه مستشرقان / رئیس اعظم شاهد
۲۳۷. آشنایی با ادیان بزرگ / حسین توفیقی
۲۳۸. آموزه‌های گام به گام نستعلیق / حسن آهنگران
۲۳۹. پله پله تا آسمان علم / محمد عابدی
۲۴۰. تاریخ تشیع در افغانستان / عبدالمجید ناصری داوودی
۲۴۱. حقیقت محمدیه و افراد انسان از ازل تا ابد در مکتب ابن عربی / امداد توران
۲۴۲. درآمدی بر برنامه‌ریزی آموزش عالی دین / ت: نورالهدی توفیق - علی زاهدی‌پور
۲۴۳. درآمدی بر تئوری‌های حاکمیت / سید محمد مصطفوی
۲۴۴. سنت‌های اجتماعی الهی در قرآن / احمد مرادخانی تهرانی
۲۴۵. سیر تدوین و تطور تفسیر علمی قرآن / ناصر رفیعی محمدی
۲۴۶. سیمای جهاد و مجاهدان در قرآن (تفسیر سوره انفال) / علی شیروانی
۲۴۷. مکه در بستر تاریخ / نعمت الله صفری فروشانی
۲۴۸. منطق ترجمه قرآن / محمد علی رضایی اصفهانی
۲۴۹. منطق مقدماتی / ابوالفضل روحی

سنة الطبع ۱۳۸۵

۲۵۰. احکام و مقررات شکار و صید / علی‌اکبر صادقی
۲۵۱. اخلاق تبلیغ در سیره رسول الله / سید مرتضی حسینی
۲۵۲. اصول تدوین ضوابط و مقررات / دفتر بهبود روشها و برنامه‌ریزی سازمانی گروه قوانین و مقررات

۲۵۳.آداب اسلامی، ج ۱ـ۲ / محمد عندلیب
۲۵۴.آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی / علی نصیری
۲۵۵.بطن قرآن از دیدگاه شیعه و اهل سنت / سید حیدر طباطبایی
۲۵۶.بلمی به سوی ساحل (زبان تصویر ۱) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۵۷.حکومت دینی در اندیشه امام خمینی و ابوالاعلی مودودی / ضامن علی حبیبی
۲۵۸.خدا و صفات خدا در مکتب امامیه و ماتریدیه / حیات الله ناطقی
۲۵۹.در انتظار خورشید / جمعی از مؤلفان
۲۶۰.درآمدی بر ساختار اداری حکومت اسلامی / عبدالعلی محمدی
۲۶۱.رابطه قرآن و عترت از دیدگاه شیعه و اهل سنت / فدا حسین عابدی
۲۶۲.سیره تبلیغی پیامبر اعظم / سارا رضایی
۲۶۳.شرح مولد النبی / ت: جمعی از مؤلفان
۲۶۴.شناخت ادیان ۲ / سید احمد محمودی
۲۶۵.شناخت مذاهب اسلامی، ج ۱ـ۲ / سید احمد محمودی
۲۶۶.صف و ستاد در سازمان / گروه امور سازمانی دفتر بهبود روشها و برنامه‌ریزی سازمانی
۲۶۷.قضاوت زن از دیدگاه فقه شیعه / سید محمد یعقوب موسوی
۲۶۸.مبانی جامعه‌شناسی / مجید کافی
۲۶۹.مفاهیم اخلاقی / صالح قنادی
۲۷۰.نقش حسابداری در توسعه اقتصادی / احمد صادقی گلمکانی، محسن برزوزاده

سنة الطبع ۱۳۸۴

۲۷۱.اهل‌بیت از دیدگاه اهل سنت / سید ابوالحسن باقری
۲۷۲.آموزش فارسی به فارسی(کتاب چهارم و پنجم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۷۳.آموزش فارسی به فارسی(کتاب دوم و سوم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۷۴.تفسیر تطبیقی آیه مودت / فدا حسین عابدی
۲۷۵.تفسیر مقدماتی قرآن کریم / محمد علی رضایی‌اصفهانی
۲۷۶.حقوق اهل‌بیت در تفاسیر اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۲۷۷.در جست وجوی حق / حیدر مظفری ورسی
۲۷۸.راز آفرینش اهل‌بیت / سید محمد علی موسوی
۲۷۹.زنگ‌ها (زبان تصویر ۲) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۸۰.سفیر (زبان تصویر۵) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۸۱.فلسفه اخلاق / حسن معلمی
۲۸۲.میراث تفسیری اهل‌بیت / سید حسین هاشمی
۲۸۳.نقد احادیث مهدویت از دیدگاه اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۲۸۴.یاس‌های وحشی (زبان تصویر۴) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی

سنة الطبع ۱۳۸۳

۲۸۵.آموزش فارسی به فارسی(کتاب ششم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۸۶.تمرین کتاب ششم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲۸۷.نگره‌های عمده در پیوند دین و فلسفه / سید محمد مهدی افضلی
۲۸۸.ولایت در پرتو آیات / علی جان محمدی (قره‌باغی)

سنة الطبع ۱۳۸۲

۲۸۹.تفسیر تطبیقی آیه تطهیر از دیدگاه اهل بیت و اهل سنت.../ ایلقار اسماعیل‌زاده
۲۹۰.جای پای آفتاب / سید علی نقی میرحسینی
۲۹۱.زنان دین گستر در تاریخ اسلام / طاهره روحانی
۲۹۲.شخصیت و حقوق زن در اسلام، ج ۲ـ۳ / جمعی از مؤلفان
۲۹۳.شناخت ادیان ۱ / سید احمد محمودی
۲۹۴.علم الدرایة تطبیقی / سید رضا مؤدب
۲۹۵.مادران چهارده معصوم / حیدر مظفری ورسی
۲۹۶.مجموعه مقالات سمینار افغانستان و قانون اساسی آینده، ج ۱ـ۲ / مجمع محققین و طلاب افغانستان

سنة الطبع ۱۳۸۱

۲۹۷.آزادی اراده انسان در کلام اسلامی / طاهره روحانی، حلیمه حسینی
۲۹۸.روش تدریس / حسین سپهری
۲۹۹.رویارویی تمدن اسلامی و مدرنیته / سید محمد عارف حسینی
۳۰۰.علم و عقل از دیدگاه مکتب تفکیک / سید عباس مرتضوی
۳۰۱.مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

سنة الطبع ۱۳۸۰

۳۰۲.آموزش منطق / غرویان
۳۰۳.علوم قرآنی / محمد جواد اسکندرلو

سنة الطبع ۱۳۸۷

۳۰۴.آموزش کلام اسلامی۲ / محمد سعیدی مهر
۳۰۵.جغرافیای سیاسی جهان اسلام / عزةالله عزتی
۳۰۶.رهیافتی بر علم سیاست و جنبش‌های اسلامی معاصر / عبدالوهاب فراتی
۳۰۷.سیره اهل بیت / عبدالرحمان، عبدالخالق
۳۰۸.علم حدیث و درایه / نوروز شاه امیرخان
۳۰۹.مبانی مطالعات سیاسی ـ اجتماعی، ج ۱ـ۲ / محمدرضا حافظنیا

سنة الطبع ۱۳۷۷

۳۱۰.اصول دین در قرآن کریم / مؤسسه معارف اسلامی
۳۱۱.درآمدی بر نظام تربیتی اسلام / محمدعلی حاجی ده‌آبادی
۳۱۲.شرح منظومه بر قبساتی از قصیده فرزدق / جوهری استروشنی، سید زفرخان، تحقیق و تعلیق ملامعروف جان اشتروشنی
۳۱۳.فلسفه اخلاق / محمد فتحعلی خانی

الكتب العربية

سنة الطبع ۱۳۹۱

۱. الهداية في النحو/ حسين شير افكن/ ج ۲۰
۲. ولايت الفقيه والحكومة الاسلاميه في عصرالغيبه/ وديع الحيدري
۳. القدس في الشعر العربي الحديث في سورية ولبنان وفلسطين/ جهاد فيض الاسلام
۴. دراسات الاسلامية فيعلم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو ومقومات التربية/ سعيد كاظم العذاری
۵. النحو الجامع/ سيد حميد الجزايري/ ج۲
۶. القراءات والاحرف السبعه/ عبدالرسول الغفاری
۷. القراة والمناقشه/ مولف ميثم الربيع؛ محمد الحيدري؛ شاكر افضلی
۸. التّعليم المُصوَّر/ مولف ميثم الربيع؛ محمد الحيدري؛ شاكر افضلی

سنة الطبع ۱۳۹۰

۱. أساليب التبليغ عند الأنبياء دراسة قرآنيه / السيد منتظر الموسوي (الجابري)
۲. اولياء عقد النكاح / حمودي حسن عباس الصيقل
۳. آيةالاظهار بين عالمية الاسلام والعولمة المعاصر / رياض عبدالرحيم الباهلي
۴. پرتو پژوهش، ج ۱ / ت: رعد الحجاج
۵. تاثير الثورة الاسلاميه على البلدان العربيه / ت: عبدالكريم بحراوي طعمه
۶. التبليل في التجويد والترتيل / حسن عالمي بكتاش
۷. تداعيات الثورة الاسلامية في العالم الاسلامي / دكتر منوچهر محمدی
۸. تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الامامية / عدنان فرحان تنها
۹. التفسير التربوي للقرآن الكريم / شيخ هاشم ابو خمسين
۱۰. تهذيب البلاغه في تلخيص مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني / علی عرب خراسانی
۱۱. الحرية الاقتصادية ضوابطها وحدودها في الفقه الاستدلالي / عبدالكريم بحراوي
۱۲. الحقوق الزوجية / سوسن علی حسين (دادرس)
۱۳. الحكومة الاسلامية في روية الامام خميني / ت: محسن زين العابدين

إصدارات مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة و النشر

۱۴. الحكومة الاسلامية والولاية الفقيه في رؤية الامام خميني ﷺ / ت: محسن زين العابدين
۱۵. الدر الباهر في مقتضيات الجواهر ج۱ / السيد جمال الدين دين‌پرور
۱۶. دراسة أدلة إثبات وجود الواجب في ضوء الحكمة المتعاليه / السيد أحمد السيد صلاح الموسوي
۱۷. دراسة تطبيقية مبدأ التكافؤ في الترجمة (من الفارسية إلى العربية) / انور پنام الرصافی
۱۸. دروس تمهيدية في اصول العقائد / صادق الساعدی
۱۹. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالی، تلفيقی ج۲و۳ / الشيخ باقر الايروانی
۲۰. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، ج۱ / الشيخ باقر الايروانی
۲۱. دروس تمهيدية فی الفقه الاستدلالی، ج۲ـ۴ / الشيخ باقر الايروانی
۲۲. دروس في الاصول الفقه المقارن / مجيد النيسی
۲۳. دروس في البلاغة / الشيخ معين دقيق العاملی
۲۴. دروس في التاريخ الفقه و ادواره / آية الله جعفر السبحانی
۲۵. دروس في علم الدراية / ت: قاسم البيضانی
۲۶. دروس فی نصوص الحديث و نهج البلاغة / ت: انور الرصافی
۲۷. شقائق الرجال / عادل المزيعل العباحی
۲۸. علم الدراية المقارن / ت: انور الرصافی
۲۹. الفقه المقارن (العبادات والأحوال الشخصية) / سيد كاظم مصطفوی
۳۰. القواعد الفقهية۲ (قاعدة لاضرر، حجية البينة و...) / السيد محمد كاظم المصطفوی
۳۱. قيام المهدی امامنا المنتظر ﷺ / السيد حسن فيروز آبادی
۳۲. مبانی نقد متن الحديث / قاسم البيضانی
۳۳. النجوم الزاهرة فی اثبات خلافة الأئمة الطاهرة / السيد خليل الشوكی
۳۴. الهداية في النحو / تصحيح و تعليق: حسين شير افكن

سنة الطبع ۱۳۸۹

۳۵. آداب اسلامی، ج۱-۲ / محمد عندليب
۳۶. بحوث في علم الرجال / آية‌الله محمد آصف المحسنی
۳۷. تاريخ الحديث / سيد رضا مؤدب
۳۸. التعرف علی خط النبتی / مرتضی الشعبانی
۳۹. دروس تمهيديه فی السيرة القادة الهداة، ج۱-۲ / سيد منذر حكيم
۴۰. دروس فی الفقه المعاملات(البيع) / السيد محمد كاظم المصطفوی
۴۱. دروس في المسيحيه / علی الشيخ
۴۲. دروس فی المناهج والاتجاهات و التفسيرية للقرآن / ت: قاسم البيضانی
۴۳. دروس في علوم القرآن / حسين جوان آراسته
۴۴. دروس في فقه الاستدلالی، ج۱ـ۳ / عبد الكريم آل‌نجف
۴۵. دروس موجزة فی علمی الرجال والدراية / آية‌الله جعفر سبحانی
۴۶. العلم في إطار الدين / عبدالكريم الجنابی
۴۷. قرآن الحسين وحدة المنهج والهدف / السيد ليث الحيدری
۴۸. المحكم و المتشابه / عبدالرسول غفاری
۴۹. المراة في الاسلام / عبدالرسول غفاری
۵۰. معجم الافعال المتداولة و مواطن استعمالها / السيد محمد الحيدری
۵۱. معرفة ابواب الفقه / محسن الفقيهی
۵۲. النسخ بين المفسرين / عبدالرسول غفاری
۵۳. وعاية الحكمة فی شرح نهاية الحكمة / حسين عشاقی الاصفهانی

سنة الطبع ۱۳۸۸

۵۴. ابن‌تيميه منهجه في الحديث / ابومحمد النّعيمی
۵۵. اعجاز القرآن / ت: قاسم البيضانی
۵۶. التبليغ: مناهجه واساليبه / جعفر البجاری
۵۷. ترجمه قرآن كريم / محمد علی رضايی اصفهانی
۵۸. تعريب دروس في وضع الحديث / ناصر رفيعی المحمدی
۵۹. التقية فی المجتمع الإسلامی ادلة و آثار / محمد جواد فاضل موسوی
۶۰. تهذيب جواهر البلاغه / تهذيب و تلخيص: أمير الأمينی
۶۱. الحياة الجنسية بين الاستقامة و الشذوذ / سيد كاظم العزادی
۶۲. حياة السياسية الامام ﷺ / عصری البانی
۶۳. دروس في الشيعة والتشيع / ت: انور الرصافی
۶۴. دروس في تاريخ الاديان / ت: انور الرصافی
۶۵. دروس في مبادی الفقه و معرفة ابوابه / حسن الرضائی
۶۶. دروس فی وضع الحديث / سيد عبدالكريم حيدری و عبدالامير الوردی
۶۷. الدّين وعملية العولمة / ت: عبدالكريم الجنابی
۶۸. القواعد الفقهيه (ويراست جديد) / السّيد محمد الحسينی القزوينی
۶۹. كتاب التطبيق / شاكر محمود افضلی
۷۰. اللغة العربيه / شاكر محمود افضلی
۷۱. المدخل الی تاريخ علم اصول / مهدی علی‌پور، علی ظاهر
۷۲. نافذه علی الفلسفه / صادق‌الساعدی
۷۳. النحو الجامع / حميد جزائری
۷۴. نحو القرآن / حسن الرضايی

سنة الطبع ۱۳۸۷

۷۵. دراسات موجزة فی الخيارات و الشروط / آية‌الله جعفر السبحانی
۷۶. دروس فی الفقه الاستدلالی(فی الفقه العباده)، ج۱ـ۲ / الشيخ باقر الايروانی
۷۷. الدعاء عند اهل البيت ﷺ / محمد مهدی الآصفی
۷۸. قضاء المراة في نظر فقه الشيعی / ت: نبيل يعقوبی
۷۹. من فيض الخلود / فاضل الموسوی
۸۰. الوجيز فی مسائل الفقه الاستدلالی، ج۱ـ ۴ / سيد علی العلو

سنة الطبع ۱۳۸۶

۸۱. ادوار الاجتهاد عند الشيعة الامامية / عدنان فرحان تنها
۸۲. التفسير الميسر / سيد محمد شاهدی
۸۳. التفسير و المفسرون / سيد محمد شاهدی
۸۴. التلقيح الصناعی بين العلم و الشريعة / سيد كاظم العذاری
۸۵. الجبر و الاختيار / ت: حسين الواسطی
۸۶. دروس في التاريخ عصر الغيبه / تعريب: انور الرصافی
۸۷. روايات سهو النبی الاكرم ﷺ ... / قيصر التميمی
۸۸. نقد آراء ذهبی فی كتاب التفسير و المفسّرون / قاسم البيضانی

سنة الطبع ۱۳۸۵

۸۹. الاحوال الشخصية(النكاح) / السيد محمد النجفی
۹۰. اسباب النزول القرآنی: تاريخ و حقائق / حسن محسن حيدر
۹۱. تاريخ اسلام، ج۱ـ۴ / سيد منذر حكيم
۹۲. قواعد الاملاء / عبدالهادی شريفی
۹۳. مصادر السنة الشريفه / سيد محمد جواد جلالی
۹۴. نظرية العرف بين الشريعة والقانون / السيد نذير الحسنی

سنة الطبع ۱۳۸۴

۹۵. الاحوال الشخصية(الطلاق) / السيد محمدكاظم المصطفوی
۹۶. تحرير الاسفار للمولی صدرالدين الشيرازی، ج۱-۳ / علی الشيروانی
۹۷. دروس فی الاحكام الاسلامية، ج۱ـ۲ / شيخ عبدالكريم ال نيف
۹۸. دروس في الاحكام الاسلامية، ج۱ـ۲ / عبدالكريم بهبهانی
۹۹. كيف نحفظ القرآن / شهريار پرهيزگار

سنة الطبع ۱۳۸۳

۱۰۰. الاخلاق السياسية فی المنهج الاسلامی / شهاب الدين الحسينی
۱۰۱. الاخلاق والحضارة / علی حسن الياسری
۱۰۲. الخلود في جهنم / محمد عبدالخالق كاظم
۱۰۳. دروس في علم الاصول / سيد محمد باقر حكيم
۱۰۴. فلسفة التربية في الاسلام / السيد نذير الحسنی
۱۰۵. في الاخلاق النظرية / السيد عبدالهادی الشريفی
۱۰۶. القصص القرآنی / سيد محمد باقر حكيم
۱۰۷. القواعد الفقهيه / سيد كاظم مصطفوی، سيدعبدالهادی شريفی
۱۰۸. المعاد الجسمانی / شاكر عطية الساعدی
۱۰۹. الموجز في تاريخ الادب العربی / سيد عبدالهادی شريفی

سنة الطبع ١٣٨٢

١١٠. حوار الحقيقة في ضوء رؤية التوحد الديني الثقافي / تحسين البدري
١١١. العدالة الاجتماعية في الاسلام / سيد فاضل موسوى جابرى
١١٢. قبسات من سيرة القادة الهداة، ج١ـ٢ / سيد منذر حكيم
١١٣. محاضرات في علوم القرآن / محمد على تسخيرى

سنة الطبع ١٣٨١

١١٤. الامام على ﷺ و تنمية ثقافة اهل الكوفة / محمد العبادى
١١٥. الدولة الاسلامية من التوحيد الى المدنية / نزار عيدانى
١١٦. علم الكلام المعاصر / حيدر حب الله
١١٧. الفقه المقارن / سيد كاظم مصطفوى

سنة الطبع ١٣٧٦ـ١٣٧٨

١١٨. آداب التلاوة (دوزبانه) / محمد غلامى / ٧٨
١١٩. بداية المبتدى / سيد يونس استروشنى / ٧٨
١٢٠. تاريخ الادب العربى / عبدالهادى شريفى / ٧٨
١٢١. موجز الادب العربى و تاريخه / محمد على آذر شب / ٧٨
١٢٢. فضل القرآن / محمد غلامى / ٧٦

الكتب انجليزية

سنة الطبع ١٣٩١

١. نهج البلاغه/ مولف: سيد رضى ت: سيد على رضا
٢. كتاب احاديث (چهل حديث)/ مولف: سيد على لواسانى ت: سيد على فريد محمدى

سنة الطبع ١٣٩٠

٣. آشنايى با تاريخ تفسير و مفسران / ت: حامد حسين وقار
٤. آشنايى با صحيفه سجاديه / ت: حامد حسين وقار
٥. حفظ موضوعى قرآن كريم / ت: حامد حسين وقار
٦. خاطرات اميرالمومنين ﷺ / ت: على فريد محمدى
٧. در آستان رحمت / فريده مهدوى دامغانى
٨. در آغوش نور ولايت / سيد على فريد محمدى
٩. قيام مهدى ﷺ منتظر ماست / ت: مركز بين‌المللى ترجمه و نشر المصطفى ﷺ
١٠. نگاهى دوباره به نظريه شفاعت / ت: سلام جودى

سنة الطبع ١٣٨٢ـ١٣٨٩

١١. اشعار عاشورايى، ج١ـ٢ / محمد رضا فخر روحانى / ٨٩
١٢. معاد از ديدگاه قرآن و علوم / ت: زين العابدين ايوبى / ٨٨
١٣. يک گام بسوى ظهور / مدرسه امام خمينى ﷺ / ٨٨
١٤. درآمدى بر فلسفه اسلامى / عبدالرسول / ٨٦
١٥. اصول الفقه / محمد على شمالى / ٨٥
١٦. انسان و سرنوشت / ت: محمد اشرف شجاع / ٨٣
١٧. خدمات متقابل اسلام و ايران / ت: مينا بوكار، ادريس نيجانى سمارى / ٨٣
١٨. رساله‌اى كوتاه در باب ضيافت الهى / محمد .م. خلفان / ٨٣
١٩. عدل الهى / ت: شجاع على ميرزا و... / ٨٣
٢٠. مصحف اميرالمؤمنين ﷺ / ت: عبداللهى احمد زنگو / ٨٢

الكتب الفرنسية

سنة الطبع ١٣٩١

١. امام اخلاق سياست/ مولف: سيد حسن اسلامى / ت: ابراهيم مونتو

سنة الطبع ١٣٩٠

٢. آشنايى با صحيفه سجاديه / ت: فريده مهدى دامغانى
٣. آموزش احكام / ت: اليزه كابنا
٤. پيام آور رحمت / فريده مهدوى دامغانى
٥. در آستان رحمت / فريده مهدوى دامغانى
٦. سروده‌هاى عاشورايى / فريده مهدوى دامغانى
٧. فلسفه اخلاق / ت: ابراهيم متتو بتو
٨. نامه‌هاى اميرالمومنين ﷺ / فريده مهدوى دامغانى

سنة الطبع ١٣٨٨ـ١٣٨٩

٩. سخنان حسين بن على ﷺ از مدينه تا كربلا / ت: فريده مهدوى دامغانى / ٨٩
١٠. غدير از ديدگاه اهل سنت / ت: ذوالقعده نصرالله / ٨٨

الكتب التاجيكية

سنة الطبع ١٣٩٠

١. اهل بيت ﷺ در قرآن و سنت / ت: حكيم جان كمالى
٢. بحثهاى پيرامون اسلام / حكيم جان كمالى
٣. پرتو پژوهش، ج١ / ت: حكيم جان كمالى
٤. تفسيرسوره عنكبوت / ت: شهر الدين محمد امين
٥. چهل حديث مقام زن در روايات / محمد رحيمى
٦. حكمت‌نامه جوان / حكيم جان كمالى
٧. حكمت‌نامه كودک / ت: حكيم جان كمالى
٨. دنيا و آخرت / ت: حكيم جان كمالى
٩. سيد جمال الدين مصلح شرق / ت: سيد اكبر برهان
١٠. شرح چهل حديث خداشناسى / بحر الدين قربان
١١. مساله حجاب / ت: سيد اكرم خان زياد الله
١٢. مسئوليت والدين در قبال فرزندان / ت: محمد الله حليم‌اف
١٣. مقام و منزلت ازدواج / محمد رحيمى
١٤. نگاهى به مسيحيت / ت: محمدالله حليم اف

سنة الطبع ١٣٨٩

١٥. اربعين مولانا جامى / داستان حقنظرزاده
١٦. پدر و مادر ومعلم من را خوب تربيت كن / ت: سيد امان‌الله بابايوف
١٧. پيامبر اعظم ﷺ / رجب جمعه‌خان
١٨. تفسير سوره محمد ﷺ / محسن قرائتى
١٩. حرمت شراب / روح‌الله قلندر
٢٠. فضيلت صدقه / مصطفى على
٢١. مقام پدر ومادر / محمد رحيمى
٢٢. مقام قرآن كريم / اسماعيل محى الدين
٢٣. مقام نماز / عبدالهاشم ميرزا

سنة الطبع ١٣٨٨

٢٤. احكام اسلامى / الياس قاسم‌اف
٢٥. امام على ﷺ و پيروانش / الياس قاسم‌اف

سنة الطبع ١٣٨٧

٢٦. تاريخ اسلام / مهدى پيشوايى، عبدالحكيم كمالى
٢٧. تفسير سوره حجرات / ت: سيد تاج الدين حسام
٢٨. تفسير سوره يس، الرحمن، ملک / ت: عبدالحكيم كمالى
٢٩. تمثيلات / ت: عبدالحكيم كمالى
٣٠. چهل حديث بهداشت / حبيب الله منان
٣١. سوره لقمان / ت: محمدالله حليم
٣٢. سوره ياسين / ت: محمد الله حكيم
٣٣. قصه كربلا / ت: عبدالحكيم كمالى
٣٤. منتخب ميزان الحكمة، ج١ـ٤ / ت: عبدالحكيم كمالى، امان الله بابايى
٣٥. نگين آفرينش / الياس قاسم‌اف

سنة الطبع ١٣٨٦

٣٦. اين است دين اسلام / سيد يونس استروشنى
٣٧. تفسير سوره نور / ت: عبدالحكيم كمالى
٣٨. زهرا ﷺ برترين بانوى جهان / ت: جمعى از مترجمان
٣٩. گزيده تحف العقول / ت: عبدالحكيم كمالى

۴۰. گزیده شهاب الاخبار / ت: عبدالحکیم کمالی
۴۱. گزیده غررالحکم و دررالکلم / ت: عبدالحکیم کمالی

سنة الطبع ۱۳۷۷ـ۱۳۸۵

۴۲. تفسیر سوره فرقان / ت: جمعی از مترجمان / ۸۵
۴۳. دوستی در کتاب سنت / ت: حکیم جان کمالی / ۸۵
۴۴. مودة القربی و اهل العبا / ت: الیاس قاسم / ۸۵
۴۵. سفارشات پیامبر اکرم ﷺ به دختران و زنان / اکرم خان زیاد الله / ۸۴
۴۶. یوسف قرآن (تفسیر سوره یوسف) / ت: امان الله بابایی / ۸۴
۴۷. احکام روزه / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۴۸. احکام زکات / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۴۹. احکام نکاح و طلاق / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۵۰. آموزش نماز / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۵۱. چرا از اسلام روگردانی / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۵۲. چهل حدیث / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۵۳. نگاهی به زندگانی پیامبر ﷺ / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷

الكتب الأذرية

سنة الطبع ۱۳۹۰

۱. اهل بیت ﷺ در قرآن و سنت / ت: رضا شکراف
۲. آداب معاشرت (از نگاه معصومین) / ت: محمد خلیل اف
۳. پرتو پژوهش، ج ۱ / ت: رضا شکراف
۴. پرتویی از فضائل امیرالمؤمنین علی ﷺ / ت: علاءالدین ملک‌اف
۵. پلورالیسم دین، حقیقت و کثرت / ت: علاءالدین ملک‌اف
۶. پیامبر ﷺ از نگاه قرآن و اهل بیت ﷺ / ت: علاءالدین ملک‌اف
۷. توحید وزیارت / ت: محمد خلیل اف
۸. جسم انگاری خدا از نگاه شیعه وسنی / ت: حسین مهدی اف
۹. حکمت‌نامه زنان / توفیق اسد اف و افضل الدین رحیم اف
۱۰. حیات پیامبر اسلام حضرت محمد ﷺ / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۱. خصائص امیرالمؤمنین ﷺ / ت: جبرئیل أبی اف
۱۲. زندگی در پرتو اخلاق / ت: رضا شکر بیگلی
۱۳. سیری در صحیحین / ت: رشاد اکبر اف
۱۴. شفاعت / ت: المان اقام اغلان‌اف
۱۵. صد و پنجاه درس زندگی / ت: اسماعیل اسماعیل اف
۱۶. عقل؛ ایمان و انسان‌شناسی / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۷. گفتمان مهدویت زبان آذری / ت: علاءالدین ملک‌اف

سنة الطبع ۱۳۸۹

۱۸. حجاب چرا وچگونه / ت: جمال‌الدین شکراف
۱۹. دعا و توسل / حسن طاهری خرم آبادی
۲۰. سرنوشت از دیدگاه علم وفلسفه / ت: رضا شکراف
۲۱. قرآن کریم چنانکه هست / ابلفار اسماعیل زاده

سنة الطبع ۱۳۸۸

۲۲. امامت و ولایت در قرآن / ت:رضاشکرف
۲۳. آشنایی با رهبران سلفی وهابیت / الیاس قاسم اف
۲۴. پرسش و پاسخ در مورد عاشورا / افضل الدین رحیم‌اف و توفیق اسداف
۲۵. حکمت‌نامه کودک / جمال الدین شکراف

سنة الطبع ۱۳۸۳ـ۱۳۸۷

۲۶. السلف و السلفیون / ت: توفیق اسداف / ۸۷
۲۷. مهدویت و جهانی‌سازی / ت: شکراف / ۸۷
۲۸. الهیات تطبیقی: اسلام و مسیحیت / توفیق اسداف و افضل الدین رحیم‌اف / ۸۵
۲۹. سیره پیشوایان / ت: مانیس حق‌وردی‌اف / ۸۵
۳۰. معصومان امت اسلامی (تفسیر تطبیقی آیه تطهیر) / ابلقار اسماعیل‌زاده/۸۴
۳۱. اعتقاد ما / ت: افضل الدین رحیم‌اف / ۸۳
۳۲. منجی (امام مهدی ﷺ از دیدگاه قرآن و حدیث)/ ابلفار اسماعیل‌زاده/۸۳

الكتب الأردية

سنة الطبع ۱۳۹۱

۱. قرآن و امام حسین ﷺ / مولف محسن قرائتی / ت: سید نصرت علی جعفری / چ ۲

سنة الطبع ۱۳۹۰

۲. آداب دعا / رجب علی حیدری
۳. پرتو پژوهش، ج ۱ / سید حسید اختر رضوی
۴. تعلیمات قرآن / موسسه قرآن وعترت
۵. تفسیر القرآن وهو الهدی و الفرقان / سید محمد عباس رضوی
۶. معارف قرآن وعترت / موسسه قرآن وعترت

سنة الطبع ۱۳۸۹

۷. آداب اسلامی، ج ۱ـ۲ / محمد عندلیب
۸. تاریخ شیعیان کشمیر / غلام‌محمد گلزار
۹. تحریف قرآن کی بطلان کاتحلیلی جائز / ت: عارف حسین مبارک‌پوری
۱۰. ترجمه گزیده غرر الحکم و درر الکلم / ت: محمد فائز باقری
۱۱. چگونه قرآن را حفظ کنیم / شهریار پرهیزگار
۱۲. قصه‌های قرآنی ـ قرآن قصص / صالح قنادی

سنة الطبع ۱۳۸۸

۱۳. اتحاد الفریقین / سید شجاعت حسین رضوی
۱۴. اندیشه سیاسی شهید مطهری / ت: عون علی کریمی
۱۵. مصونیت قرآن از تحریف / ت: عارف حسینی
۱۶. مفاهیم اساسی نظریه ولایت فقیه / محسن رضا جعفری

سنة الطبع ۱۳۸۷

۱۷. امتیازات علوی / ت: سید شاهد حسین رضوی هندی
۱۸. گزیده غررالحکم و دررالکلم ت: محمد فائز باقری
۱۹. نظام عادلانه اسلام / علام اکبر حیدری
۲۰. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام خمینی ﷺ

سنة الطبع ۱۳۸۶

۲۱. امام حسن و امام حسین ﷺ از نظر اهل سنت / سید محمد علی موسوی
۲۲. اهل‌بیت ﷺ سفینة النجاة / غلام محمد فخر الدین نجفی
۲۳. اهل‌بیت ﷺ کشتی نجات / محمد باقر مقدسی
۲۴. آثار و برکات نماز / رجب‌علی حیدری مظفرنگری
۲۵. بررسی و تحلیل وجود جن و کارکردهای آن / سید مرادرضا رضوی
۲۶. تعلیمات علوی / مؤسسه فکر اسلامی
۲۷. سنن النبی ﷺ / ت: کرار حسین اظهری مبارک‌پورهندی
۲۸. سید رضی؛ زندگی و کارنامه / زاهد علی هندی
۲۹. صبح انتظار / ت: اخلاق حسین
۳۰. غدیرشناسی و پاسخ به شبهات / ت: اقبال حیدر حیدری
۳۱. فی رحاب العقیده، ج ۱ـ۳ / ت: شاه مظاهر حسین
۳۲. الگوهای فضیلت / ابراهیم امینی
۳۳. مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

سنة الطبع ۱۳۸۵

۳۴. اسرار نماز / رجبعلی حیدری مظفرنگری
۳۵. تعلیمات نهج البلاغه / سعی و اهتمام: مؤسسه فکر اسلامی انگلستان
۳۶. جوابات سخنان سپاه صحابه / ت: سید ابو محمد نقوی
۳۷. سیری در صحیحین / ت: محمد منیرخان
۳۸. نفوش فقیه در غیبت امام زمان ﷺ / سید شمشاد حسین رضوی

سنة الطبع ۱۳۸۲ـ۱۳۸۴

۳۹. علوم قرآنی / حسین جوان آراسته / ۸۴
۴۰. تاریخ فدک / وزیر عباس حیدری مظفرنگری / ۸۳
۴۱. آفتاب فقاهت / محمدیعقوب بشوی / ۸۲

إصدارات مركز المصطفى العالمي للترجمة و النشر

سنة الطبع ۱۳۸۲ـ ۱۳۹۲

الكتب الإسطنبولية

۱. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رسول نور / ۹۰
۲. عدل الهی از دیدگاه امام خمینی / گردآورند: بحری اکیول / ۹۰
۳. عقاید اسلامی در پرتو قرآن حدیث وعقل / ت: بحری اکیول / ۸۹
۴. جلوه نور(حضرت فاطمه زهرا) / ت: محمد امین / ۸۳
۵. بازگشت به عصر دین / ت: قدری چلیک / ۸۲

الكتب البنكلادية

۱. چهل حدیث اسراف / ت: محمد ابوسعید / ۸۹
۲. آنچه یک زن مسلمان باید بداند / میراشرف العالم / ۸۷
۳. تاریخ سرگذشت حدیث / مطیع الرحمان / ۸۶
۴. شیعه‌شناسی در تاریخ اسلام / حیدر علی بنگالی / ۸۵
۵. تفسیر آیات ولایت / ت: محمد سمیع الحق / ۸۴
۶. داستان‌های بحارالانوار / ت: محمد علی مرتضی / ۸۴
۷. آموزش نماز / محمد زین العابدین ایوبی / ۸۲

الكتب الإفريقية

۱. التربية الدينية / ت: محمد میسر / ۹۰
۲. رابطه والدین با فرزندان / حافظ محمد سعید / ۸۹
۳. زندگی زناشویی / حافظ محمد سعید / ۸۹
۴. وهابیت؛ مبانی فکری و کارنامه عملی / ت: یونس محمدثانی / ۸۴

الكتب الإيطاليايية

۱. صحیفه سجادیه / فریده مهدوی دامغانی / ۹۰
۲. صفات شیعه / ت: عباس دیپالما / ۸۹
۳. سیرة النبویه / ت: عرفان ادیزیونی / ۸۸

الكتب الروسية

۱. داستان‌های قرآن به قلم روان / ت: محمدحسین‌اف / ۸۶
۲. در جست وجوی فرقه ناجیه / ناظم زینال او / ۸۳

الكتب الفولا (من اللغات الإفريقية)

۱. تاریخ اسلام زندگی حضرت زهرا / ت: محمد باری / ۹۰
۲. سیره پیشوایان / ت: محمد باری / ۹۰

الكتب التاميلية

۱. تاریخ شیعه و اعتقاداتشان / محمد نظام الدین / ۸۷
۲. اعتقاد ما / ت: محمد نظام‌الدین / ۸۴

الكتب الفيليبينية

۱. آشنایی با احکام / ت: منتظر داگلاس بنگالن / ۹۱
۲. شیعه پاسخ می‌گوید / ت: منتظرداگلاس بنگالون / ۹۱

الكتب البشتو

۱. شفاعت/ مولف : سید حسن طاهری خرم آبادی ت: سرفراز علی محمدی / ۹۱
۲. رویکرد اخلاقی بر باورهای وهابیت/ مولف: سید حسن طاهری خرم آبادی/ ت: محمد رحیم درانی / ۹۱
۳. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: محمد رحیم درانی / ۹۰

الكتب الأزبكية

۱. آموزش مفاهیم قرآن کریم / ت: شیرعلی‌اف / ۸۹

الكتب الألمانية

۱. بر درگاه دوست / ت: محمد اریش والدمن / ۸۳

الكتب الهندية

۱. ترجمه گزیده غرر الحکم / سید قمر غازی / ۸۹
۲. اعتقاد ما / ت: سیدقمر غازی / هندی / ۸۳

الكتب التايلاندية

۱. جایگاه زن از دیدگاه امام‌خمینی(ره)/ مولف: محمد شریف کت سیمون / ۹۱

الكتب الأويغورية

۱. نهج‌البلاغه / مولف سید رضی ت: آ عبدالرحمن (ما موهای مای)، آ سامساق (ما سوفیا) / ۹۱

الكتب الأندونيسية

۱. شفاعت/ مولف: حسن طاهری خرم‌آبادی ت: احمد مرزوقی امین / ۹۱
۲. رویکرد عقلانی برباورهای وهابیت/ نجم الدین طبسی ت: حسن تونو / ۹۱